

فَوَائِحُ سُورَةِ الْقُرْآنِ

الدكتور حسين نصار

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

معجم القرآن

فَوَائِدُ سُرُودِ الْقُرْآنِ

الدكتور حسين نصار

عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة سابقاً

الناشر مكتبة النخاس بالفاخرة

حقوق الطبع محفوظة


الطبعة الأولى

رقم الإيداع ٢٠٠٢/١٤٠٠٤

الترقيم الدولي : x - 006 - 353 - 977 I.S.B.N

الشركة الدولية للطباعة

المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر

٨٣٣٨٢٤٤ - ٨٣٣٨٢٤٢ - ٨٣٣٨٢٤٠ : 

e-mail : pic@6oct.ie-eg.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

أجمع المسلمون - ومازالوا يجمعون - على « إعجاز القرآن » ثم تفرقت السبل بمن سعى إلى الاهتداء إلى سبب هذا الإعجاز أو ما سموه « وجهه » . فسار جمهورهم وراء شعار المستوى الأدبي الفردى الذى بلغه القرآن ، وسموه « الإعجاز البيانى » و« البلاغى » و« اللغوى » و« الأدبى » والنظم عند كبار البلاغيين والمتكلمين من القدماء . وسارت طوائف متفاوتة العدد ومختلفة الآراء وراء شعارات أخرى كثيرة ، بلغت فى كتاب « معترك الأقران فى إعجاز القرآن » للسيوطى أربعة وثلاثين وجها . ولم يقنع العلماء بما ذكر بل أضافوا إليه ، ومازالوا يضيفون إلى عصرنا هذا . وتدل الدلائل على أنهم سيستمرون فى الإضافة مابقيت الحياة .

وجاء زمن عزمْتُ فيه على التأريخ للتفكير العربى فى بعض هذه الوجوه . وقد أنجزت فعلا كتبنا تعالج « الإنباء بالغيب » و« الصرفة » و« الفواصل » و« القسم » . واليوم أقدم للقارئ كتاب « الفواتح » .

والمنهج فى جميع هذه الكتب واحد ، يسعى إلى كشف أقدم ما نحن نعرض لجانب من جوانب الوجه الذى أعالجه . ويتنقل بكل واحد من هذه الجوانب فى العصور الإسلامية المتعاقبة ، لرصد ما طرأ عليه من انكماش أو تضخم أو تحول أو تغير ، وتتبع كل ماخضع له من تحولات .

ومن أجل الوفاء بمتطلبات هذا المنهج التزمت مايلى :

- الاقتصار على ما جاءنا باللغة العربية ، على الرغم من معرفتى اليقينية بأن كثيرا من أصحابه ليسوا من أصول عربية العرق ، ومن معرفتى اليقينية بوجود مسلمين كتبوا بلغات آسيوية وأوربية وأفريقية كتابات لها قيمتها الفائقة ، ومن

معرفتي اليقينية بوجود غير مسلمين (من المستشرقين) لهم جهودهم التي لا يمكن تجاهلها مؤيدة لما كتب العرب أحيانا ومفندة أحيانا أخرى .

فإذا ترجم أحد من العرب شيئا من كتابات هؤلاء الأقوام ، غُيّبت به ، وأخضعته لدراستي ، لأنه دخل مجال التفكير العربي .

- ورتبت المفكرين القدامى على سنى وفياتهم ، لعدم معرفة الوقت الذي أصدروا فيه كتبهم فى أكثر الأحيان . أما المحدثون فقد رتبهم تبعا لزمن إصدار أول طبعة من كتبهم ، إلا إذا تعذر على الاهتداء إليها .

ومن أجل الاختصار وبعض الأمور الأخرى راعيت مايلي :

- ألا أذكر فى المتن أسماء من اتفق فى رأى مع صاحب القول الأقدم ، وأقنع بذكرهم فى الحواشى .

- أن ألزم التسلسل التاريخي فى الحواشى أيضا .

- اضطررت أحيانا إلى تقديم من هو أحدث من غيره . ولكننى لم أفعل ذلك إلا عندما وجدته ينسب القول إلى أحد القدامى على حين لم ينسبه غيره إلى أحد ، وكذا عندما تعذر على الحصول على الكتاب الأقدم ، إما لأنه مازال مخطوطا . وإما لأنه كتاب كبير ومن اقتبس منه لم يحدد موضع اقتباسه ، وإما لسبب آخر . - لم أورد الأقوال التى ذكرتها برمتها وإنما تصرفت فيها بالاختصار غالبا ، حتى لا يمتلئ الكتاب بالنصوص . وراعيت فى التصرف ألا يغير مدلول النص المقتبس .

- التزمت فى الحواشى مايسميه النحاة بالحكاية ، فلم أخضع أسماء المؤلفين والكتب لعوامل الإعراب الواجبة .

- أضفت ضميمة ذكرت فيها سنى وفيات الأعلام الذين وردت أسماؤهم فى الكتاب ، ليتابع القارئ التطور التاريخي للأفكار .

وفى الكتاب الذى بين يدي القارئ الآن أؤرخ للتفكير العربي الذى دار حول فواتح سور القرآن عامة ، والحروف المقطعة خاصة .

وطبيعة بشرية أن يحب الإنسان الافتتاح الجميل ، من الصباح الصحو ،
والتحية العذبة ، والوجه البشوش ، والبسمة الرائقة ، واللقاء الودود ؛ فيفيض عليه
شعور مريح ، وتفاؤل غامر . لا يقتصر ذلك على زمان معين ، أو مكان محدد ،
أو وقائع حسية ، بل يتجاوزها كلها إلى ما يثير في جوانحه طربا لممارسته ، ويهيئ
فيه شوقا لمتابعته .

فلا عجب أن نجد الأدباء والنقاد يفتنون - منذ وقت جد مبكر - إلى أهمية
مطالع الأعمال الأدبية : قصيدة كانت - فى جاهليتهم - أو خطبة ، ثم رسالة
أو مقالة أو حكاية ، فى الإسلام ، ولأمر واضح الدلالة افتتح الشعراء قصائدهم
بالنسيب والوقوف على الأطلال ، والكتاب رسائلهم بالتحميدات ، والحكاؤون
حكاياتهم بالصلاة على النبي (الزين) .

ومن ثم نجد أقوال النقاد تتوالى فى التوصية بالفواتح . روى أبو هلال
العسكري أنهم كانوا يقولون : « أحسنوا معاشر الكتاب الابتدئات ، فإنهن دلائل
الإعجاز » (١) .

وعدوا الشعر قفلا ، أوله مفتاحه (٢) . فالمطلع أول ما يقع فى السمع من
القصيدة ، والدال على مابعده ، المتنزل من القصيدة منزلة الوجه والغرة . فإذا كان
بارعا ، وحسنا بديعا ، ومليحا رشيقا ، وصدر بما يكون فيه من تنبيه وإيقاظ لنفس
السامع ، أو أشرب بما يؤثر فيها انفعالا ، ويثير لها حالا من تعجيب أو تهويل
أو تشويق ، كان داعيا إلى الإصغاء والاستماع إلى مابعده (٣) .

ولم تكن عناية المشتغلين بفواتح القرآن أقل من عناية الأدباء بمطالع الشعر .
فقد عقد العلوى مثلا فصلا من فصول كتابه « الطراز » للمبادئ والافتتاحات ،
حتم فيه على كل من يتصدى لمقصد من المقاصد أن يكون مفتتح كلامه ملائما

(١) الصناعتين ٤٣١ .

(٢) المثل السائر ٢٣٦/٢ . الطراز ٢٦٦/٢ .

(٣) الصناعتين ٤٣٥ . الجامع الكبير ١٨٨ - ٩ . القرطاجنى ٣٠٩ - ٣١٠ . بكار ٢٦٧ -
٢٦٩ . وانظر ما أطلقه الزمخشري من صفات على القرآن إلى جانب الصفات المذكورة هنا .

لذلك المقصد دالاً عليه . وذهب فيه إلى أن هذا الفصل ركن من أركان البلاغة ،
تجب مراعاته فى النظم والنثر كليهما ، ويستحب التزامه فى الخطب والرسائل
والتصانيف [أى فى جميع أجناس الأدب] . فحيث يكون المطلع جارياً على
ذلك فهو من الافتتاح الحسن ، وحيث يكون جارياً على عكسه فهو معدود من
القبیح (١) .

واتفق السيوطى مع العلوى فى كون الافتتاحات من أحسن البلاغة عند علماء
البيان ، غير أنه وسع مفهوم الاعتناء بها ، فحدّده بأن يُتأنّق فى أول الكلام ، لأنه
أول ما يقرع السمع . فإن كان محرراً قبل السامع قيل الكلام ووعاه ، وإلا أعرض
عنه وإن كان فى نهاية الحسن . فينبغى أن يُؤتّى فيه بأعذب اللفظ وأرقّه ، وأجزله
وأسلسه ، وأحسنه نظماً وسبكاً ، وأصحّه معنى وأوضحه ، وأخلّاه من التعقيد
والتقديم والتأخير والمُلبّس أو الذى لا يناسب (٢) .

وتكشف النظرة السريعة إلى فواتح سور القرآن أنها تنقسم قسمين :

- ١ - فواتح بالألفاظ اللغوية المألوفة ذات المعانى المحددة المعروفة .
 - ٢ - فواتح بحروف إما مفردة أو كثيرة لاتتألف فى كلمات لغوية .
- وقد عنى العلماء عناية بالغة بالقسم الثانى خاصة ، فأبانوا طريقة قراءة هذه
الحروف ، وكتابتها ، وعدّها فى الآيات ، ولا سيما الزمخشري .
- قال الزمخشري : حكمها مالم تلها العوامل أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفة
كأسماء الأعداد ، فيقال : ألف ، لام ، ميم ، كما يقال : واحد ، اثنان ، ثلاثة .
فإذا وليتها العوامل أدركها الإعراب ، تقول : هذه ألفٌ ، وكتبت ألفاً ، ونظرت
إلى ألفٍ . وهكذا كل اسم عمدت إلى تأدية ذاته فحسب ، قبل أن يحدث فيه -
بدخول العوامل - شىء من تأثيراتها ، فحقّق أن تلفظ به موقوفاً (٣) .

(١) الطراز ٢/٢٦٦ - ٧ .

(٢) معترك ١/٧٤ - ٥ . الإتيان ٢/١٢٢ . شرف الدين ٨٧ .

(٣) الكشف ١/٧٨ ، ١٠٦ . الزركشى ١/١٧٢ . القرطبي ١/١٥٦ . رضا ١/١٠٣ . زر زور

وأوضح رشيد رضا العبارة في قوله : (المص) : هذه حروف مركبة في الرسم بشكل كلمة ذات أربعة حروف ، ولكنها تقرأ بأسماء هذه الأحرف ساكنة هكذا : ألف ، لام ، ميّمْ ، صاؤ (١) .

وتساءل الزمخشري : ما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف أنفسها لا على صور أسمائها ؟

وأجاب : لأن الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف ، واستمرت العادة متى تهجّيت ومتى قيل للكاتب : اكتب كيت وكيت ، أن يلفظ بالأسماء وتقع في الكتابة الحروف أنفسها ، عُمل على تلك الشاكلة المألوفة في كتابة الفواتح . وأيضاً فإن شهرة أمرها ، وإقامة ألسن الأسود والأحمر لها ، وأن اللافظ بها غير متهجّاة لا يخلّي بطائل منها ، وأن بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ماهو عليه من مورده أمنت وقوع اللبس فيها . وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي بنى عليها علم الخط والهجاء . ثم ما عاد ذلك بنكير ولا نقصان ، لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ . وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف (٢) .

وتساءل الزمخشري أيضاً : ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح دون بعض ؟ وأجاب : هذا علم توقيفي ، لا مجال للقياس فيه ، كمعرفة السور . أما (الم) فأية حيث وقعت من السور المفتتحة بها ، وهي ست . وكذلك (المص) آية ، و(المر) لم تعدّ آية ، و(الر) ليست بآية في سورها الخمس ؛ و(طسم) آية في سورتها ، و(طه) و(يس) آيتان ؛ و(طس) ليست بآية . و(حم) آية في سورها كلها ؛ و(حم عسق) آيتان ، و(كهيعص) آية واحدة ، و(ص) و(ق) و(ن) ثلاثة لم تعد آية . هذا مذهب الكوفيين ، ومن عداهم لم يعدوا شيئاً منها آية .

فإن قلت : فكيف عد ماهو في حكم كلمة واحدة آية ؟ قلت : كما عُدّ (الرحمن) وحده ، و(مدهامتان) وحدها آيتان على طريق التوقيف (٣) .

(١) المنار ٢٦٢/٨ .

(٢) الكشف ٩٤/١ - ٩٥ . الزركشي ١٧٢/١ .

(٣) الكشف ١٠٥/١ - ١٠٦ . الزركشي ١٧٠/١ - ٢٦٧/١ .

وقد أجمع كل من تعرض لهذا القسم من الفواتح على استعصائه على الإدراك ، أو احتياجه فيه إلى تدبر طويل ، وإلى أن ما يهتدى إليه المتدبر ليس بالأمر اليقيني .

ولذلك عدها المفسرون من أعوص القضايا القرآنية ، التي حيرت العلماء . ولعل من أصدق من عبر عن الموقف حيالها د. محمد غلاب في قوله : من النواحي القرآنية الخفية المهمة ، التي أهاجت غريزة حب الاستطلاع عند المستشرقين [بل أقول : عند الناس جميعا] ، وأثارت في نفوسهم رغبة البحث في القرآن . ودفعت فضولهم إلى تعقب أسرارهِ ومخبوءاته : ناحية فواتح السور ... ولا جرم أن لهم العذر في ذلك كل العذر ، فلطالما قذفت هذه الفواتح - منذ فجر الإسلام - بالرهبة في القلوب . ولشد ما أفعمت النفوس بالهيبة والجلال أحيانا ، وبالرعب والفرع أحيانا أخرى ^(١) .

ولا يخامرني أدنى شك في أن هذا القسم هو الذي جذب انتباه كل من استمع إلى القرآن أو تلاه أو تصدى لفهمه وتفسيره منذ عهد نزوله . فسبق الحديث عن هذه الحروف الحديث عن القسم الآخر .

وقد انقسم الناس حياله إلى طائفتين : طائفة اقتنعت بأنه لا سبيل إلى إدراك دلالتها ، وأخرى اجتراءت على الخوض فيها . فتباعدت الطرق بهن ، وأعطينا كثيرا من الدلالات التي لقي بعضها قبولا واسعا ، وبعضها قبولا ضيقا ، ولم يلق بعضها القبول إلا من صاحبها . ومهما يكن من شيء ، فالأمر المؤكد أنه لم يقع بواحد مما قالوا من تأويلات إلى اليوم يقين يضمها كلها ، ويُسكت المخالفين .

* * *

القسم الأول
الفواتح الحرفية

الفصل الأول

الإشارات الحروف

المتشابه

لعل الحيرة والتوقف كانا الاتجاه الأقدم في السعى إلى معرفة مدلول هذه الحروف ، تلك الحيرة التي يكشف عنها قول أبي بكر الصديق : في كل كتاب سر ، وسر الله في القرآن أوائل السور ^(١) .

وقد أورد الطبري وغيره نص هذا القول أحيانا ومعناه أحيانا أخرى دون عزو إلى صاحبه ^(٢) .

ويمائل قول أبي بكر ماحكاه أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي عن عمر وعثمان وابن مسعود أنهم قالوا : الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر ^(٣) . واتفقوا أن عليا قال : إن لكل كتاب صفوة ، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي ^(٤) ، وأنه أراد بذلك ما أراده أبو بكر ، وإن كانت كلمته توحى - إلى جانب ذلك - بالامتياز والنقاء .

(١) البغوى ٤٤/١ ، ابن الجوزى ٢٠/١ ، الرازى ٣/٢ . القرطبي ١٥٤/١ ، ١٦٥/١١ . الخازن ٢٦/١ . ابن جزى ٦٠/١ . ابن كثير ٣٦/١ . البيضاوى ١٤/١ . الزركشى ١٧٣/١ . النيسابورى ١١٩ . الشريينى ١٥/١ . أبو السعود ٢٤/١ . الشوكانى ٢٩/١ . الآلوسى ١٠٠/١ . الصالح ٢٣٦ . شرف ٣٧ . عبد التواب ١٨٢ . البوطى ١٠٧ . عائشة ١٣٥ . إسماعيل ٢٦٥ . حمادة ٢٠٩ . العمرى ١١٢ . زرزور ١٤٠ . خليف ٨٠ . كفافى ١٣٣ . فودة ٢٧١ ، شقرف ٥٤ . العدل ١٢ .
(٢) جامع ٦٨/١ . ابن عطية ٤٢٢/٩ . القرطبي ١٤٣/١٥ . الخازن ٩/٢ . حمودة ٢٧٩/٣ . صبح ١٠٠ .

(٣) ابن مسعود ١٨ . ابن عطية ١٣٨/١ . الرازى ٣/٢ ، ٨ . القرطبي ١٥٤/١ . ابن كثير ٣٦/١ . البيضاوى ١٤/١ . الشوكانى ٢٩/١ . الصالح ٢٣٦ . فودة ٢٧١ . العدل ١٢ .
(٤) البغوى ٤٤/١ . الرازى ٣/٢ . القرطبي ١٥٤/١ . الخازن ٢٦/١ . ابن كثير ٣٦/١ . البيضاوى ١٤/١ . النيسابورى ١٩/١ . الشريينى ١٥/١ . أبو السعود ٢٤/١ . الشوكانى ٢٩/١ . المنار ٢٦٧/٨ . الصالح ٢٣٦ . شرف ٣٨ . إسماعيل ٢٦٥ . أحمد ٢٠٩ . العمرى ١١٢ . زرزور ١٤٠ . فودة ٢٧١ . شقرف ٥٤ .

ولم يكتف الطبرسي بعلی ، وأضاف إليه أئمة الشيعة ، قال : هذا هو المروى عن أئمتنا ^(١) .

ومن ثم حکم ابن عباس بأن العلماء عجزوا عن إدراكها ^(٢) .
وعاد الشعبي إلى مقولة الصديق وزادها تفصيلا . قال داود بن أبي هند :
كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور فقال : يادادود ، إن لكل كتاب سرا ، وإن سر القرآن فواتح السور ، فدعها وسل عما سوى ذلك ^(٣) ، فهي من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه ^(٤) ، فنحن نؤمن بظواهرها ، ونكل العلم فيها إلى الله ^(٥) ، وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها ^(٦) .

(١) مجمع ٣٢/١

(٢) الرازي ٣/٢ . القرطبي ١٤٣/١٥ ، الخازن ٣/٣٩٣ ، ١٤٣/١٥ . ابن خلدون ١٠٥٠ - ١٠٥١ . النيسابوري ١٢٠/١ . أبو السعود ٢٤/١ . الشوكاني ٢٩/١ . الألوسي ١٠٠/١ ، ٢٣/١٦١ . إسماعيل ٢٦٥ .

(٣) البغوي ٤٤/١ . ابن عطية ١٣٨/١ . ابن الجوزي ٢٠/١ . الرازي ٣/٢ . القرطبي ١٥٤/١ . ابن كثير ٣٦/١ . النيسابوري ١٢٠/١ . معترك ١٥٥/١ . الإتيقان ١٠/٢ . الشربيني ١٥/١ . الألوسي ١٠٠/١ . المنار ١٢٢/١ . غلاب ٣٨ . زررور ١٤٠ . خليف ٨٠ . شرف ٥٤ . العدل ١٢ .

(٤) البغوي ٤٤/١ . الجبيري ٦٠ . ابن عطية ١٣٨/١ . ابن الجوزي ١٢٠/١ . الرازي ٣/٢ . الطبرسي ٣٢/١ . القرطبي ١٥٤/١ ، ١٤٣/١٥ . النسفي ٩/١ . ابن جزي ٦٠/١ . ابن كثير ٣٥/١ . البيضاوي ١٤/١ . الزركشي ١٧٣/١ . الخازن ١٥٤/١ ، ٢٠٩/٢ ، ٣/٣٩٣ . ابن خلدون ١٠٥٠ . معترك ١٥٥/١ . أبو السعود ٢٤/١ . الصالح ٢٣٦ . غلاب ٣٨ . عائشة ١٣٥ . إسماعيل ٢٦٥ . العدل ١٢ .

(٥) البغوي ٤٤/١ . ابن عطية ١٣٨/١ . الخازن ٢٦/١ . ابن كثير ٣٦/١ . الزركشي ١٧٣/١ . ابن خلدون ١٠٥١ . الشربيني ١٤/١ . الشوكاني ٢٩/١ . المنار ١٠٣/١ . شرف ٣٨ . عائشة ١٤١ . حمادة ١٦٠ . أحمد ٢٠٩ . العمري ١١٢ .

(٦) البغوي ٤٤/١ . ابن عطية ١٣٨/١ . الرازي ٤٠/٢٦ ، ١٤٦/٢٨ . القرطبي ١٥٤/١ . الخازن ٢٦/١ . الشربيني ١٤/١ . الشوكاني ٢٩/١ . شرف ٣٨ . عائشة ١٤١ . حمادة ١٦٠ . أحمد ٢٠٩ . العمري ١١٢ .

وأضاف ابن الجوزى إلى من قال هذا القول : أبا صالح ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ^(١) ؛ وابن عطية : سفيان الثوري وجماعة من المحدثين ^(٢) ؛ والرازي : الحسين بن الفضل ^(٣) ؛ والقرطبي : الربيع بن خثيم ، وأبا حاتم بن حبان ، وأبا بكر بن الأنباري ^(٤) ؛ والخازن : جابر بن عبد الله بن رئاب ^(٥) ؛ وأبو حيان ود. عائشة : أبا محمد بن علي بن أحمد اليزيدي ^(٦) .

واتفق الرازي مع الشعبي في تفويض علم الحروف المقطعة إلى الله ، لأن الكلام في أمثالها يضيق ، وفتح باب المجازفات مما لا سبيل إليه ^(٧) .

ونقل القرطبي عن الربيع بن خثيم ما يزيد كلام الشعبي وضوحا ، قال : إن الله أنزل هذا القرآن ، فاستأثر منه بعلم ما شاء ، وأطلعكم على ما شاء . فأما ما استأثر به لنفسه فليستم بنائليه فلا تسألوا عنه ، وأما الذي أطلعكم عليه فهو الذي تسألون عنه وتخبرون به . وما بكل القرآن تعلمون ، ولا بكل ما تعلمون تعملون ^(٨) .

وعقب أبو بكر بن أبي طالب على هذا القول فقال : فهذا يوضح أن حروفا من القرآن سُتِرت معانيها عن جميع العالم ، اختبأ من الله وامتحانا . فمن آمن بها أثيب وسعد ، ومن كفر وشك أثم وبُغِدَ .. قال عبد الله : ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب ، ثم قرأ : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ [سورة البقرة : ٣] ^(٩) .

(١) زاد ٢٠/١ . ابن عطية ٤٢٢/٩ . الرازي ٣/٢ . الآلوسي ١٦١/٢٣

(٢) المحرر ١٣٨/١ . ابن كثير ٣٦/١ . عائشة ١٣٥ . زرزور ١٤٠ . العدل ١٢ .

(٣) مفاتيح ٣/٢ .

(٤) الجامع ١٥٤/١ . ابن كثير ٣٦/١ . شرف ٣٨ . العدل ١٢ .

(٥) لباب ١٤٣/١٥ .

(٦) عائشة ١٣٥ . وانظر أبو حيان ٣٥/١ . معترك ١٥٥/١ . والإتقان ١٠/٢ . أحمد

٢٠٩ .

(٧) مفاتيح ١٥/١٤ ، ٣/٢٢ ، ١٤١/٢٧ .

(٨) الجامع ١٥٤/١ .

(٩) الجامع ١٥٤/١ . ابن خلدون ١٠٥١ .

وقال محمد عبده : نفوض الأمر فيها إلى المسمى سبحانه . ويسعنا في ذلك ماوسع صحابة رسول الله وتابعيهم . وليس من الدين في شيء أن يتنطع متنطع فيخترع ما شاء من العلل التي قلما يسلم مخترعها من الزلل ^(١) .

وبلغ الأمر بالدكتور عبد التواب إلى أن يتساءل : إنه لمن العجيب حقا أن ينطق النبي بهذه الرموز ، ولا يفسرها للمسلمين ، وهو مأمور بتبيين ذلك لهم بنص القرآن . فهل يبين النبي هذه الرموز في روايات ضاعت ، ولم تصلنا ، مات حاملوها في الحروب المختلفة التي استعراؤها بعد وفاة النبي ، ولم يورثوها لمن بعدهم ، فبقيت هذه الرموز - لذلك - بلا تفسير معقول حتى الآن ؟ هذا أمر لا نستطيع أن نجزم به . كل ما نستطيع أن نقوله : إن جميع الحلول التي وصلتنا حتى الآن لا تقنع البحث الحديث ، وإن هذه الرموز كانت لغزا فيما مضى ، ولا تزال لغزا حتى الآن ^(٢) .

وخشى بعض العلماء أن يتخذ متخذ من غموض الحروف متكأ للطعن في القرآن . فأعلن بعضهم أن وجود هذا المجمل المبهم في كتاب الله لا يقدح في كونه بيانا ، لأن كل مجمل فيه قد وجد بيانه في العقل أو الكتاب أو السنة ، وحينئذ يخرج عن كونه غير مفيد ^(٣) .

وأعلن أبو شهبه : لو سلمنا أنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه ، لانتفض للطعن في كون القرآن هدى وبيانا ، لأنها ألفاظ قليلة جدا بالنسبة إلى الألف المؤلف من كلمات القرآن التي تدل على معنى معروف عند المخاطبين . وهي - على هذا الوجه - جاءت لحكمة سامية ، وهي الابتلاء والاختبار ، ليظهر قوى الإيمان من ضعيفه ، وراسخ العلم من عادمه ، وهي الحكمة من وجود المتشابه في القرآن ^(٤) .

(١) المنار ١٠٣/١ .

(٢) حول ١٨٢ .

(٣) الرازي ١٠/٢ .

(٤) المدخل ٢٤٨ - ٢٤٩ . قحماوى ٥٧ ، ٧١ .

وغريب أن يخص فاروق حمادة قول أبي بكر بالشك ، قائلا لا ندرى سند
قولة الصديق ^(١) .

ولم يكن هذا رأى جميع علماء المسلمين ، بل كان منهم من رأى إمكان
معرفة مدلولها ، ومن لم يقنع بمجرد الإمكان ، بل تصدى للتأويل فعلا . فوصلت
إلينا أقوال من كعب الأخبار وابن مسعود وعلى وابن عباس وابن الحنفية وأبي
فاخته وأبي العالية وسعيد بن جبير من أهل القرن الأول ، ومن غيرهم ، ومن
تبعهم فى الأجيال تفسر بعض الحروف ، كما يتضح من الفصول الآتية .

وربما كان الزجاج أول من أعلنها صريحة : أذهب إلى أن كل حرف منها
يؤدى عن معنى ^(٢) .

وفتح ابن فارس باب العلم بالحروف أمام بعض الناس ، فأعلن أنها من السر
الذى لا يعلمه إلا الله والراسخون فى العلم ^(٣) .

وفتح ابن عطية الباب على سعتة ، فرأى أن جمهور علماء المسلمين يرون أنه
لا يوجد فى كتاب الله مالا يُفهم ^(٤) .

وذهب أبو بكر بن العربى فى « فوائد رحلته » إلى أن العرب - فى عصر
الرسول - كانوا يعرفون أن لها مدلولاً متداولاً بينهم . ولولا ذلك لكانوا أول من
أنكروا على النبى . وقد تلا عليهم (حم فصلت) و(ص) وغيرهما فلم ينكروا
ذلك ، بل صرحوا بالتسليم له فى البلاغة والفصاحة ، مع تشوفهم إلى عثرة ،
وحرصهم على زلة . فدل هذا الموقف على أن الحروف كانت أمراً معروفاً عندهم
لا إنكار فيه .

وأخذ ابن العربى يبحث عن هذا المدلول ، فتحصّل له فيه عشرون قولاً مما

(١) مدخل ١٦٠ .

(٢) القرطبى ١٥٥/١ ، ١٦٦/١١ .

(٣) الزركشى ٧٤/١ - ٥ ، العمري ١١٣ .

(٤) المحرر ٤٢٣/٩ .

دفعه إلى أن يقول : من الباطل علم الحروف المقطعة في أوائل السور ^(١) . أراد بذلك - فيما أرى - معرفة المدلول الذي كان العرب - قديما - يعرفونه ويتداولونه .

وأفاض الرازى في أكثر من موضع في الاحتجاج لكون هذه الحروف ذات مدلول معلوم . قال : اعلم أن المتكلمين أنكروا القول بسريتها ، وقالوا : لا يجوز أن يرد في كتاب الله مالا يكون مفهوما للخلق . واحتجوا على ذلك بالآيات ، والأخبار ، والمعقول .

أما الآيات فأربعة عشر :

أحدها : قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [سورة محمد : ٢٤] أمرهم بالتدبر في القرآن ، ولو كان غير مفهوم فكيف يأمرهم بالتدبر فيه .

وثانيها : قوله : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النساء : ٨٢] فكيف يأمرهم بالتدبر فيه لمعرفة نفى التناقض والاختلاف ، مع أنه غير مفهوم للخلق ؟

وثالثها قوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [سورة الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥] فلو لم يكن مفهوما ، بطل كون الرسول منذرا به ، وأيضا قوله : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ يدل على أنه نازل بلغة العرب . وإذا كان الأمر كذلك ، وجب أن يكون مفهوما . ورابعها قوله : ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ ﴾ [سورة النساء : ٨٣] والاستنباط منه لا يمكن إلا مع الإحاطة بمعناه .

خامسها : قوله : ﴿ يَذِّنُنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [سورة النحل : ٨٩] وقوله : ﴿ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [سورة الأنعام : ٣٨] .

وسادسها قوله : ﴿ هُدًى لِلنَّاسِ ﴾ [سورة البقرة : ١٨٥] ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٢] وغير المعلوم لا يكون هدى .

وسابعها قوله : ﴿ حِكْمَةً بَلِغَةً ﴾ [سورة القمر : ٥] وقوله : ﴿ وَشِفَاءً لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة يونس : ٥٧] .
وكل هذه الصفات لا تحصل فى غير المعلوم .

وثامنها قوله : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [سورة المائدة : ١٥] .

وتاسعها قوله : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة العنكبوت : ٥١] وكيف يكون الكتاب كافيا ، وكيف يكون ذكرى ، مع أنه غير مفهوم ؟

وعاشرها قوله تعالى : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ﴾ فكيف يكون بلاغا ، وكيف يقع الإنذار به مع أنه غير معلوم ؟ وقال فى آخر الآية : ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُولَئِى الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة إبراهيم : ٥٢] وإنما يكون كذلك لو كان معلوما .

والحادى عشر قوله : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ [سورة النساء : ١٧٤] فكيف يكون برهانا ونورا مبينا مع أنه غير معلوم ؟
الثانى عشر قوله : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ [سورة طه : ١٢٣ و ١٢٤] فكيف يمكن اتباعه والإعراض عنه [مع أنه] غير معلوم .

الثالث عشر : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلِّى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [سورة الإسراء : ٩] فكيف يكون هاديا مع أنه غير معلوم ؟

الرابع عشر قوله تعالى : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ ﴾ إلى قوله : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٥] والطاعة لا تمكن إلا بعد الفهم .
فوجب كون القرآن مفهوما .

وأما الأخبار فقولہ - علیہ السلام - : « إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به ، لن تضلوا : كتاب الله وسنتي » فكيف يمكن التمسك به وهو غير معلوم ؟ وعن علي أنه عليه السلام - قال : « عليكم بكتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله . ومن اتبع الهدى في غيره أضله الله . وهو حبل الله المتين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم . هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه . من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فلج . ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » .

أما المعقول فمن وجوه :

أحدها أنه لو ورد شيء لا سبيل إلى العلم به ، لكانت المخاطبة به تجرى مجرى مخاطبة العربي باللغة الزنجية . ولما لم يجر ذاك ، فكذا هذا .

وثانيها أن المقصود من الكلام الإفهام ، فلو لم يكن مفهوما لكانت المخاطبة به عبثا وسفها . وإن ذاك لا يليق بالحكيم .

وثالثها أن التحدى وقع بالقرآن ، ومالا يكون معلوما لا يجوز وقوع التحدى به (١) .

ولم يقف جهد الرازي عند هذا بل استطرد أن هناك من يخالفون المتكلمين ويحتجون بالآية والخبر والمعقول ، وتتبع أقوالهم فيما يلي :

أما الآية فهو أنه المتشابه من القرآن ، وأنه غير معلوم لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْلُم تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ والوقف هاهنا واجب لوجوه :

أحدها : أن قوله تعالى : ﴿ وَالزَّاسُّونَ فِي الْإِلْمِ ﴾ لو كان معطوفا على قوله : ﴿ إِلَّا اللَّهُ ﴾ لبقى ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ [سورة آل عمران : ٧] منقطعا عنه ، وذاك غير جائز لأنه وحده لا يفيد . ولا يجوز أن يقال إنه حال ، لأننا نقول حينئذ : إنه

حال يرجع إلى كل ماتقدم ، فيلزم أن يكون الله - تعالى - قائلاً : آمنا به ، كل من عند ربنا ؛ وهذا كفر .

وثانيها : أن الراسخين في العلم لو كانوا عالمين بتأويله لما كان لتخصيصهم بالإيمان به وجه . فإنهم لما عرفوه بالدلالة لم يكن الإيمان به إلا كالإيمان بالمحكم . فلا يكون في الإيمان به مزيد من مدح .

وثالثها : أن تأويلها لو كان مما يجب أن يُعلم لما كان طلب ذلك التأويل مذموماً ، لكن قد جعله الله ذماً حيث قال : ﴿ قَالَمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ [سورة آل عمران : ٧] .

وأما الخبر فقد روى أنه - عليه السلام قال : « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله . فإذا نطقوا به أنكره أهل الغرة بالله ؛ ولأن القول بأن هذه الفواتح غير معلومة مروى عن أكابر الصحابة ، فوجب أن يكون حقاً ، لقوله - عليه السلام : « أصحابي كالنجوم : بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

وقال بعض العارفين : العلم بمنزلة البحر فأجرى منه واد ، ثم أجرى من الوادى نهر ، ثم أجرى من النهر جدول ، ثم أجرى من الجدول ساقية . فلو أجرى إلى الجدول ذلك الوادى لغرقه وأفسده . ولو سال البحر إلى الوادى لأفسده . وهو المراد من قوله تعالى : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ [سورة الرعد : ١٧] فيحور العلم عند الله تعالى ، فأعطى الرسل منها أودية . ثم أعطت الرسل من أوديتهم أنهاراً إلى العلماء . ثم أعطت العلماء إلى العامة جداول صغاراً على قدر طاقتهم . ثم أجرت العامة سواقي إلى أهاليهم بقدر طاقتهم .

وعلى هذا ما روى في الخبر : « للعلماء سر ، وللخلفاء سر ، وللأنبياء سر ، والله - من بعد ذلك كله - سر . فلو اطلع الجهال على سر العلماء لأبادوهم . ولو اطلع العلماء على سر الخلفاء لئابذوهم . ولو اطلع الخلفاء على سر الأنبياء لخالقوهم . ولو اطلع الأنبياء على سر الملائكة لاتهموهم . ولو اطلع الملائكة على سر الله لطاحوا حائرين ، وبادوا بائرين . والسبب في ذلك أن العقول الضعيفة

لا تحتمل الأسرار القوية ، كما لا يحتمل أبصار الخفافيش نور الشمس . فلما زیدت الأنبياء فى عقولهم قدروا على احتمال أسرار النبوة . ولما زیدت العلماء فى عقولهم قدروا على احتمال أسرار ماعجزت العامة عنه . وكذلك علماء الباطن - وهم الحكماء - زید فى عقولهم ، فقدروا على احتمال ماعجزت عنه علماء الظاهر ^(١) .

وأما المعقول فهو أن الأفعال التى كُلفنا بها قسمان :

منها مانعرف وجه الحكمة فيها على الجملة بعقولنا ، كالصلاة والزكاة والصوم . فإن الصلاة تواضع محض وتضرع للخالق ، والزكاة سعى فى رفع حاجة الفقير ، والصوم سعى فى كسر الشهوة .

ومنهما مالا نعرف وجه الحكمة فيها كأفعال الحج ، فإننا لا نعرف بعقولنا وجه الحكمة فى رمى الجمرات ، والسعى بين الصفا والمروة ، والزمل ، والاضطباع .

ثم اتفق المحققون على أنه كما يحسن من الله أن يأمر عباده بالنوع الأول ، فكذا يحسن الأمر منه بالنوع الثانى ، لأن الطاعة فى النوع الأول لاتدل على كمال الانقياد ، لاحتمال أن المأمور إنما أتى به لما عرف بعقله من وجه المصلحة فيه ؛ أما الطاعة فى النوع الثانى فإنها تدل على كمال الانقياد ونهاية التسليم ، لأنه لما لم يعرف فيه وجه المصلحة البتة ، لم يكن إتيانه به إلا لمحض الانقياد والتسليم .

فإذا كان الأمر كذلك فى الأفعال ، فلم لا يجوز أيضا أن يكون الأمر كذلك فى الأقوال ، وهو أن يأمرنا الله تارة أن نتكلم بما نقف على معناه ، وتارة بما لانقف على معناه ، ويكون المقصود من ذلك ظهور الانقياد والتسليم من المأمور للآمر ؟

بل فيه فائدة أخرى ، وهى أن الإنسان إذا وقف على المعنى وأحاط به ، سقط

وقعه عن القلب . وإذا لم يقف على المقصود مع قطعه بأن المتكلم بذلك أحكم الحاكمين ، فإنه يبقى قلبه ملتفتا إليه أبدا ، ومتفكرا فيه أبدا ، ولباب التكليف إشغال السر بذكر الله والتفكير فى كلامه . فلا يبعد أن يعلم الله أن فى بقاء العبد ملتفت الذهن ، مشغول الخاطر بذلك أبدا مصلحة عظيمة له . فيتعبده بذلك تحصيلاً لهذه المصلحة ^(١) .

وأتى الرازى فى موضع آخر بردود على بعض احتجاجات المتكلمين ، فقال يرد على قولهم : (لو جاز ذلك لجاز التكلم مع العربى بلغة الزنج) ، قال : ولم لا يجوز ذلك ، وقد تكلم الله بالمشكاة ، وهو بلسان الحبشة ، والسجيل والإستبرق الفارسيين .

وفى الاحتجاج بأن القرآن أجمع هدى وبيان ، قال : لانزاع فى اشتمال القرآن على المجملات والمتشابهات . فإذا لم يقدح ذلك فى كونه هدى وبيانا ، فكذا هاهنا ^(٢) .

ورد على من يقولون : الدليل الذى دل على صحة نبوة محمد هو أن الله خصه بإنزال هذا القرآن عليه ، فما لم نعرف هذا المعنى لا يمكننا أن نعرف نبوته . ومالم نعرف نبوته لا يمكننا أن نحتج بقوله ؛ ولزم الدور ؛ رد الرازى على أصحاب هذا القول : نحن بمحض العقل نعلم أن القرآن كتاب أنزل إليه من عند الله . والدليل عليه أنه - عليه الصلاة والسلام - ماتلمذ لأستاذ ، ولا تعلم من معلم ، ولا طالع كتابا ، ولم يخالط العلماء والشعراء وأهل الأخبار ، وانقضى من عمره أربعون سنة ، ولم يتفق له شئ من هذه الأحوال . ثم بعد انقضاء الأربعين ظهر عليه هذا الكتاب العزيز المشتمل على علوم الأولين والآخرين . وصريح العقل يشهد بأن هذا لا يكون إلا بطريق الوحي من عند الله . فثبت بهذا الدليل العقلى أن القرآن كتاب أنزل على محمد من عند ربه ^(٣) .

(١) مفاتيح ٤/٢ - ٥ .

(٢) مفاتيح ٨/٢ .

(٣) مفاتيح ١٥/١٤ .

ومع ذلك انتهى إلى أن تمام السر لا يعلمه إلا الله ، ومن أعلمه الله ^(١) .
وعاد القرطبي إلى الإغلاق غير فسحة ضئيلة ، إذ أعلن أن هذه الحروف
اختصار من كلام الله ، خص الله رسوله بعلمه ^(٢) .

وهاجم ابن كثير من ذهبوا إلى أنها لتأكيد العبادة ، فقال : ومن قال من
الجهلة : إن في القرآن ما هو تعبد لا معنى له ، فقد أخطأ خطأ كبيرا ^(٣) .

وأجمل الزركشى كلام الرازي في فقرات قلائل قال فيها : قال الإمام
الرازي : وقد أنكر المتكلمون هذا القول وقالوا : لا يجوز أن يرد في كتاب الله
ما لا يفهمه الخلق ، لأن الله أمر بتدبره والاستنباط منه ، وذلك لا يمكن إلا مع
الإحاطة بمعناه ؛ ولأنه كما جاز التعبد بما لا يعقل معناه في الأفعال ، فلم لا يجوز
في الأقوال بأن يأمرنا الله تارة بأن نتكلم بما نقف على معناه ، وتارة بما لا نقف
على معناه ، ويكون القصد منه ظهور الانقياد والتسليم ^(٤) .

وأعلن البيضاوي : لعلهم أرادوا أنها أسرار بين الله ورسوله ، ورموز لم يقصد
بها إفهام غيره ، إذ يبعد الخطاب بما لا يفيد ^(٥) .

ولعله قال ذلك متأثراً بالجو الذي أبانه لنا - فيما بعد - عبد المنعم محمد
شقر في قوله : تواترت الأقوال عن علي بن أبي طالب أنه كان علم بأسرار
القرآن من الحروف المقطعة بأوائل السور ، وأن أبناءه وحفدته من أئمة البيت كان
عندهم علم ذلك . وقد أثير عنهم قولهم : « إن الحروف المتقطعات أسرار بين الله
ورسوله ، ولم يقصد بها اهتمام غيره وغير الراسخين في العلم ، من رسوله وذريته ،
والخطاب بالحروف المفردة سنة الأحباب في سنن المحاب ، فهو سر الحبيب
إلى الحبيب ، بحيث لا يطلع عليه الرقيب » ^(٦) .

وكشف د. غلاب أن فريقا من العلماء رأى أن محاولة الاجتهاد في كشف

(١) مفاتيح ٤٠/٢٦ .

(٣) ابن كثير ٣٧/١ .

(٥) أنوار ١٤/١ .

(٢) مفاتيح ٤٠/٢٦ .

(٤) البرهان ١٧٣/١ .

(٦) علم ٣٧ . شرارة ١٥ .

معانيها وفهم مراميها واجبة شرعا ، للوقوف على أسرارها والانتفاع بها ، تحقيقا للهدف الذى رمى إليه القرآن من ذكرها . وإلا فلو أراد الله أن تبقى مخبوءة ، لكان من العبث الإكثار من ذكرها إلى الحد الذى بلغ تسعا وعشرين مرة ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ^(١) .

ورأى د. زرزور أن من يذهبون إلى عدم الخوض فى تفسير هذه الحروف أصلا لأنها - فيما قالوا - مما استأثر الله بعلمه ، رآهم أضعف دليلا ، واستند فى رأيه إلى أقوال الرازى . وختم بأن قال : لا خلاف على أن الغرض من الخطاب الإفهام ، وعلى أن الصحابة والتابعين والعلماء تكلموا فى معناها ^(٢) .

* * *

(١) نظرات ٣٨ ، ٤٤ .

(٢) القرآن ١٤٠ - ١٤١ .

حروف هجاء

نقل الطبرى عن خصيف عن مجاهد قال : فواتح السور كلها - ق و ص وح م وطسم والر وغير ذلك - هجاء موضوع ^(١) .

ونقل عن بعض أهل العربية : هى حروف من حروف المعجم ، استغنى بذكر ماذكر منها فى أوائل السور عن ذكر بواقيها ، التى هى تنمة الثمانية والعشرين حرفا ، كما استغنى المخبر عمن أخبر عنه : إنه فى حروف المعجم الثمانية والعشرين ، بذكر أ ب ت ث ، عن ذكر بواقي حروفها ^(٢) .

ونقل عن السدى قال : أما (ص) فمن الحروف ^(٣) .

وروى ابن عطية عن محمد بن المستنير قطرب وغيره فى (كهيعص) : عبارة عن حروف المعجم ^(٤) .

ولعل (غيره) هو الفراء الذى ذكر ابن الجوزى أنه وقطربا صرحا أن القرآن أشار بما ذكر من الحروف إلى سائرهما . والمعنى أنه لما كانت الحروف أصولا للكلام المؤلف ، أخبر أن هذا القرآن إنما هو مؤلف من هذه الحروف .

واستطرد يقول : فإن قيل : فقد علموا أنه حروف ، فما الفائدة فى إعلامهم بهذا ؟

فالجواب أنه نبه بذلك على إعجازه . فكأنه قال : هو من هذه الحروف التى تؤلفون منها كلامكم ، فما بالكم تعجزون عن معارضته ؟ فإذا عجزتم فاعلموا أنه ليس من قول محمد ^(٥) .

(١) جامع ٦٨/١ . ابن كثير ٣٧/١ ، ٢٣٧/٤ . الإبتقان ١١/٢ . غلاب ٣٨ . شرارة ٥٨ .

(٢) جامع ٦٨/١ . الفراء ٣٦٨/١ . الطبرسى ٣٣/١ . الرازى ٧/٢ . ابن كثير ٣٧/١ .

الزركشى ١٧٨/١ .

(٣) جامع ٧٥/٢٣ .

(٤) المحرر ٤٢٤/٩ .

(٥) معانى ٣٦٨/١ ، ١٧٢/٢ . زاد ٢١/١ .

قد نفهم من كلامهم أن قطربا والفراء اقتصرا على الإشارة إلى أن الحروف المقطعة حروف هجاء ، وأن ابن الجوزى هو الذى امتد بكلامهما إلى أن وصل به إلى مجال التحدى والإعجاز . وذلك ماتدعمه أكثر المراجع . ولكن مايرد فى فصل التحدى والإعجاز يدل على أن لقطرب قولاً صريحاً فى أمر التحدى . وأتى بعض الكتاب بهذا القول دون أن ينسبوه إلى أحد ^(١) .

واتخذ أبو عبيدة معمر بن المثنى هذا الموقف فى تفسير كل السور المبدوءة بالحروف المقطعة فى كتابه « مجاز القرآن » ، والتزم بعبارة واحدة ردها فى أكثرها ، تقول عن كل حرف : « ساكن لأنه جرى مجرى فواتح السور اللواتى مجازهن مجاز حروف التهجي » ^(٢) .

وعلل الباقلانى الرمز (الم) تعليلاً دار عند المؤلفين بعده ، قال : إن الألف من أقصى الحروف مطالعاً ، واللام متوسطة ، والميم متطرفة لأنها تأخذ فى الشفة . فنبه بذكرها على غيرها من الحروف ، وبيّن أنه إنما أتاها بكلام منظوم ، مما يتعارفون من الحروف التى تتردد بين هذين الحرفين ^(٣) .

وسماها الزمخشري ذات مرة تعديد أسماء الحروف ^(٤) . وتبعه الرازى والزمكاني غير أنهما ربطا بينها وبين إرادة البرهنة على إعجاز القرآن ^(٥) ، وهو التفسير الذى نادى به الزمخشري فى غير الموضع السابق وأفاض فى الدفاع عنه . ووضح الزمكاني ما أجمله الباقلانى فذكر أن الألف واللام والميم يكثران فى الفواتح مالم يكثر غيرها من الحروف ، لكثرتها فى الكلام ، ولأن الهمزة من

(١) الطبرى ٨/٨٥ ، ١٦/١٠٣ ، ٢٤/٢٦ ، ٢٩/١١ . الرازى ٢٢/٢ . القرطبي ١٥/٢٨٩ .

غلاب ٣٨ .

(٢) مجاز ١/٢١٠ ، ٢٧٢ ، ٢٨٥ ، ٣٣٥ ، ١٥/٩٧ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٣١ ،

١٩٣ .

(٣) إعجاز ٤٦ .

(٤) الكشف ١/٩٥ .

(٥) مفاتيح ٢٢/٣ . البرهان ٥٧ .

الرئة فهي من أعمق الحروف ، واللام مخرجها من طرف اللسان ملصقة بصدر الغار الأعلى من الفم ، فصوتها يملأ ماوراءها من هواء الفم ، والميم مطبقة لأن مخرجها من الشفتين إذا أطبقتا . فزُمر بهن إلى باقى الحروف كما رمز - ﷻ - بقوله : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » إلى الإتيان بالشهادتين وغيرهما مما هو من لوازمهما ^(١) .

وأضاف الزركشى إلى ما قال الباقلانى والزملكانى : فهذه الحروف تعتمد المخارج الثلاثة ، التى يتفرع منها ستة عشر مخرجا ، ليصير منها تسعة وعشرون حرفا ، عليها مدار كلام الخلق أجمعين ..

وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف فهي مشتملة على مبدأ الخلق وتوسطه ونهايته ، مشتملة على خلق العالم وغايته ، وعلى التوسط بين البداية من الشرائع والأوامر : فتأمل ذلك فى سور البقرة وآل عمران والسجدة والروم ^(٢) .
وقطع ابن خلدون الرأى بأنها حروف هجاء فقط - مع إمكان الربط بينها وبين التحدى للإعجاز ، فأعلن : وأما الحروف المقطعة أوائل السور ، فحقيقتها حروف الهجاء ، وليس يبعد أن تكون مرادة . وقد قال الزمخشري : « فيها إشارة إلى بُعْدِ الغاية فى الإعجاز ، لأن القرآن المنزل مؤلف منها ، والبشر فيها سواء . والتفاوت موجود فى دلالتها بعد التأليف » .

وإن عُدل عن هذا الوجه الذى يتضمن الدلالة على الحقيقة ، فإنما يكون بنقل صحيح ، كقولهم فى (طه) : إنه نداء من طاهر هاد وأمثال ذلك . والنقل الصحيح متعذر ، فيجىء المتشابه فيها من هذا الوجه ^(٣) .

ورفض العدل أن تكون هذه الرموز حروف الهجاء أو أسماءها : معلنا : نحن نرى - بعدما فتح الله علينا بفضله - مايلى :

(١) البرهان ٥٩ - ٦٠ . الزركشى ١٦٨/١ - ١٦٩ .

(٢) البرهان ١٦٨/١ - ١٦٩ .

(٣) مقدمته ١٠٥٢ .

أن هذه الرموز ليست هي حروف المعجم ، وإن تشابه البعض منها .
 فالمعروف أن حروف المعجم عددها يبلغ ٢٨ حرفاً - بل وربما ٢٩ - والحروف
 التي ذكرت في أوائل السور لا يزيد عددها على ١٤ . وإن قلنا إن (الم) تشابهت
 مع الألف واللام والميم في شكلها ونطقها ، فإن (الر) يتشابه فيها الألف واللام ،
 أما (ر) ففي القراءات هي (ر) مفتوحة وليست راء ، وفي (كهيعص) يتشابه
 الكاف ، ولكن (هيع) لا تتشابه حيث تقرأ هاى عين . فهذا ليس النطق الصحيح
 للهاء والعين ... أما من ناحية إعرابها فنحن لا نرى في القراءات أى تنوين لها . فلو
 كانت هي من حروف الجر لنونت مثلاً ، ولقلنا بدلاً من أَلْف لَام مِيم ؛ أَلْف لَام
 مِيم بالتنوين . وهذا ليس الحال هنا . وعلى هذا فهي ليست حروف الهجاء
 ولا أسماءها ^(١) .

* * *

(١) الهيروغليفية ١٦ .

حروف هجاء للتعليم

نقل الفخر الرازى عن عبد العزيز بن يحيى :

إن الله إنما ذكرها لأن فى التقدير كأنه - تعالى - قال : اسمعوها مقطعة حتى إذا وردت عليكم مؤلفه كنتم قد عرفتموها قبل ذلك ، كما أن الصبيان يتعلمون هذه الحروف أولا مفردة ثم يتعلمون المركبات ^(١) .

ولعل هذا ما أراده الزركشى حين قال : ذكرت هذه الحروف لتدل على أن القرآن مؤلف من الحروف التى هى ا ب ت ث . فجاء بعضها مقطعا ، وجاء تمامها مؤلفا ، ليدل القوم الذين نزل القرآن بلغتهم ، أنه بالحروف التى يعقلونها ، وبينون كلامهم منها ^(٢) .

* * *

(١) مفاتيح ٦/٢ . النيسابورى ١٢١/١ .

(٢) البرهان ١٧٥/١ .

حروف هجاء للتعليم

نقل الفخر الرازى عن عبد العزيز بن يحيى :

إن الله إنما ذكرها لأن فى التقدير كأنه - تعالى - قال : اسمعوها مقطعة حتى إذا وردت عليكم مؤلفه كنتم قد عرفتموها قبل ذلك ، كما أن الصبيان يتعلمون هذه الحروف أولا مفردة ثم يتعلمون المركبات ^(١) .

ولعل هذا ما أراده الزركشى حين قال : ذكرت هذه الحروف لتدل على أن القرآن مؤلف من الحروف التى هى ا ب ت ث . فجاء بعضها مقطعا ، وجاء تمامها مؤلفا ، ليدل القوم الذين نزل القرآن بلغتهم ، أنه بالحروف التى يعقلونها ، وبينون كلامهم منها ^(٢) .

* * *

(١) مفاتيح ٦/٢ . النيسابورى ١٢١/١ .

(٢) البرهان ١٧٥/١ .

حروف هجاء لإبطال دعوى قِدَم القرآن

نقل الفخر الرازي عن أبي بكر التبريزي :

إن الله علم أن طائفة من هذه الأمة ستقول بِقِدَم القرآن . فذكر هذه الحروف تنبيها على أن كلامه مؤلف منها ، فيجب ألا يكون قديما .

وكان من أدلتهم قوله تعالى : ﴿حَم﴾ تقديره : هذه حم ، يعنى هذا شيء مؤلف من هذه الحروف ، والمؤلف من الحروف المتعاقبة محدث ^(١) .

وعقب الرازي على هذه الأقوال بقوله : قد ذكرنا مرارا أن جميع هذه الدلائل تدل على أن الشيء المركب من الحروف المتعاقبة والأصوات المتوالية محدث والعلم بذلك ضرورى بديهى ، لا ينازع فيه إلا من كان عديم العقل ، غير عارف بمعنى القديم والمحدث ، إنما الذى ثبت قِدَمه شيء آخر سوى ماتركب من هذه الحروف والأصوات ^(٢) .

* * *

ويدل هذا الفصل أن بعض العلماء اكتفى برصد ظاهرة وجود الحروف المقطعة وإثباتها ، وامتنع عن محاولة إيجاد تعليل لهذا الوجود ؛ وأن التبريزي رأى أنها دلالة على خلق القرآن مما يدل على أنه أحد المعتزلة . وتلك قضية طال فيها الحديث وتشعب ، حتى صارت أيام المأمون والمعتصم قضية سياسية . ولا شأن بكتابنا بها .

ولولا أن بعض العلماء فصل بين هذا الفصل وفصل التحدى بالحروف ، وعدّ كلّ منهما قولاً مستقلاً ، لجعلتهما فصلاً وقولاً واحداً ، مهد فيه هذا القول لتاليه .

* * *

(١) مفاتيح ٦/٢ ، ٢٣٦/٢٧ . شرف ٤٣ .

(٢) مفاتيح ١٥/١٤ ، ٢٣٧/٢٧ .

التحدّي

نقل ابن عطية عن قطرب وغيره : هي إشارة إلى حروف المعجم ، كأنه يقول للعرب : إنما تحديتكم بنظم من هذه الحروف التي عرفتكم ^(١) .

وأورد الرازي قولاً مماثلاً نسبته إلى المبرد ، وذكر أن جمعا من المحققين اختاروه ، قال : إن الله إنما ذكرها احتجاجا على الكفار . وذلك أن الرسول - ﷺ - لما تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن أو بعشر سور أو بسورة واحدة فعجزوا عنه ، أنزلت هذه الحروف تنبيها على أن القرآن ليس إلا من هذه الحروف ، وأنتم قادرون عليها وعارفون بقوانين الفصاحة ، فكان يجب أن تأتوا بمثل هذا القرآن . فلما عجزتم عنه ، دل ذلك على أنه من عند الله لا من البشر ^(٢) .

ونسب بعض الكتاب ما يشبه أقوال قطرب والمبرد إلى الفراء والقاضي عبد الجبار وغيرهما ^(٣) ، وأورده بعضهم الآخر دون أن ينسبه إلى أحد ^(٤) .

وقال الزمخشري في هذا الصدد : ورود هذه الحروف مسرودة على نمط التعديد كالإيقاظ وقرع العصا لمن تُحدّى بالقرآن وبغرابة نظمه ، وكالتحريك للنظر في أن هذا المثلّو عليهم - وقد عجزوا عنه من آخرهم - كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ، ليؤدبهم النظر إلى أن يستيقنوا أن لم تتساقط

(١) المحرر ١٣٩/١ . ابن الجوزي ٢/١ . الطبرسي ٣٣/١ . القرطبي ١٥٥/١ . ابن كثير ٣٨/١ . الشوكاني ٢٩/١ . المنار ١٢٢/١ . البوطي ١٠٨ .

(٢) مفاتيح ٦/٢ . الخازن ٢٦/١ . ابن كثير ٣٨/١ . المنار ١٢٢/١ . الحمصي ١٩٦ ، ١٩٨ . عبد الثواب ١٧٤ . البوطي ١٠٨ . شرارة ٤٨ . العدل ١١ ، ١٢ ، ١٥ .

(٣) تنزيه ١١ . ابن الجوزي ٢/١ . القرطبي ١٥٥/١ . ابن كثير ٣٨/١ . الشوكاني ٢٩/١ . المنار ١٠٣/١ . البوطي ١٠٨ .

(٤) الرازي ٩/٢ ، ١٧٤/٢٦ ، ٧٧/٣٠ . الزركشي ١٧٥/١ . معترك ١٥٧/١ . الإيتقان ١٣/٢ . الآلوسي ٥٨/١١ ، ١٠/٢٥ . عادل ١١٠ . الزرقاني ٢٢١/١ . قمحاوي ٧٢ . حمادة ١٦٢ . الزفزاف ١١٧ . كفاي ١٣٥ .

مقدرتهم دونه ، ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله ، بعد المراجعات المتطاولة - وهم أمراء الكلام ، وزعماء الحوار ، وهم الحراس على التساجل فى اقتضاب الخطب ، والمتهالكون على الافتتان فى القصيد والرجز - ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التى بزت بلاغة كل ناطق ، وشقت غبار كل سابق ، ولم يتجاوز الحد الخارج عن قوى الفصحاء ، ولم يقع وراء مطامع أعين البصراء إلا لأنه ليس بكلام البشر ، وأنه كلام خالق القوى والقُدر . وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل .

وقال أيضا : إن الله عدّد على العرب الألفاظ التى منها تراكيب كلامهم ، إشارة إلى التبكيت لهم ، وإلزامهم الحجة ^(١) .

وذكر ابن العربى أن مجيء الحروف على نصف حروف المعجم هو على سبيل التحدى . كأنما يقال : من زعم أن القرآن ليس بآية [= معجزة] فليأخذ الشطر الباقي ، ويركب على ألفاظه معارضة للقرآن ^(٢) .

وأجمل رشيد رضا الموقف كله ، فقال : اقتصر على جعل حكمتها الإشارة إلى إعجاز القرآن بعضُ المحققين من علماء اللغة وفنونها كالقراء وقطرب والمبرد والزمخشري ، وبعض علماء الحديث كشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية والحافظ المزى . وأطال الزمخشري فى بيانه وتوجيهه بما يراجع فى كشافه وفى تفسير البيضاوى وغيره ^(٣) .

(١) الكشاف ١/٩٥ - ٧، ١٠٣، ٢/٢٢٤، ٣/٤٤١، ٥٠٨ . الزملىكانى ٥٧ . النسفى ١/٩ - ١٠ . ابن كثير ١/٣٧ - ٣٨ . البيضاوى ١/١٢ - ١٣ . الزركشى ١/١٦٦ . ابن خلدون ١٠٥٢ . النيسابورى ١/١٣٦ . أبو السعود ١/٢٥ . الشوكانى ١/٣٠ . الآلوسى ١/١٠٣ . المنار ١/١٠٣ ، ٨/٢٦٩ . عرفة ٨١ . صبيح ١٥٠ . الصالح ٢٣٥ . حمودة ١/٧٤ . شرف ٤٧ . عائشة ١٤٠ . قطب ١/٣٨ ، ٣٦٤ . شعبان ٢٦٥ - ٢٦٦ ، ٢٦٨ . فاضل ٢١٠ - ٢١١ . شحاتة ٨٦ . زرزور ١٤٢ - ١٤٣ . العمرى ١٠٨ - ١٠٩ . ظاهرة ١٣٦ . خليف ٨١ . أبو زيد ٢٥١ . نصر ٢١٦ .

(٢) الزركشى ١/١٦٧ . ونسب حمادة ١٦٣ ، أحمد ٢٠٦ ، زرزور ١٤٣ ، العمرى ١١٠ . النص للباقلانى . وأتى به د. شحاتة ٨٦ دون نسبة .

(٣) المنار ١/١٠٣ .

ورفض د. عبد التواب هذا الرأى ، ورآه ينقصه الدليل ، علاوة على أن سياق الكلام فى الأماكن التى ذكرت فيها هذه الرموز لا يفهم منه شىء من ذلك . وقال : لو أن القرآن مثلاً قال : كهيعص حروف بها تنطقون ، فألفوا منها على طريقة القرآن إن كنتم تستطيعون ، كما قال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتَّبَعُوا يَسُورَةَ مِثْلِهِ ﴾ لقبلىنا هذا الرأى بلا تردد ، ولكن السياق لا يفهم منه ذلك إطلاقاً ^(١) .

واتفق معه العدل مصرحاً : نقول لأصحاب هذا الرأى : من ناحية أنها إعجاز فهى - وللحق - كذلك ، ولكن ليس لأنها حروف الهجاء بل لأسباب أخرى ^(٢) .

* * *

وواضح أن هذا الفصل بدأ قطرب الحديث فيه أو الإشارة القاصرة ، واستمر عند اللغويين إلى العصر الحديث ، ووصل الزمخشري به إلى الغاية ، التى امتلكت كل من جاء بعده ، وأنستهم من كان قبله ، وصار كلامه المورد العذب .

* * *

(١) حول ١٧٤ .

(٢) الهيروغليفية ١٧ .

فواصل وفواتح

روى ابن عطية : سأل أعرابي النبي - ﷺ - عن ﴿حم﴾ ما هو ؟ فقال : بدء أسماء ، وفواتح سور ^(١) .

وأعلن الشعبي أنها فواتح ^(٢) .

وأعلن مجاهد : (الم) و(حم) و(المص) و(ص) فواتح - أو مفاتيح كلام افتتح الله بها القرآن أو السور ^(٣) . وذكر ابن عطية فيمن نحا هذا النحو أبا عبيدة ، والأخفش الأوسط ^(٤) . وأضاف الطبرسي الحسن البصري وزيد بن أسلم ^(٥) والرازئي ثعلبا ^(٦) ، والقرطبي ابن كيسان ^(٧) .

وذهب ابن جنى إلى أن قراءة ابن مسعود وابن عباس افتتاح سورة الشورى (حم سق) بدون عين تؤكد أن الغرض في هذه الحروف أن تكون فواصل بين السور . ولو كانت أسماء لله لما جاز تحريف شيء منها ، لأنها لو كانت كذلك لكانت أعلاما كزيد وعمرو ، والأعلام لا طريق إلى تحريف شيء منها ، بل تؤدَّى بأعيانها .

وخشى أن يحتج عليه محتج بأسماء جبريل وإسرافيل وإبراهيم ونحوها مما له صور متعددة ، فأعلن أنها أسماء أجنبية ، ولا م التعريف لا تدخلها ، فبعدت عن أصول كلام العرب ، فاجترأوا عليها وتلقبوا بها . وليس كذلك الفواتح لأنها حروف العرب المركب منها كلامها ^(٨) .

(١) المحرر ٤/١٣ . القرطبي ٢٨٩/١٥ . أبو حيان ٤٤٦/٧ . النيسابوري ٢٤/٢٤ .

(٢) القرطبي ٣/١٧ ، ٢٢٤/١٨ .

(٣) الطبري ٦٧/١ ، ٦١/١٣ ، ٢/١٤ ، ٢٢ ، ٩٧ ، الطوسي ٤٧/١ . ابن عطية ١٣٩/١ .

القرطبي ٣٠٤/٨ ، ١٤٣/١٥ ، ٢٨٩ ، ٢/١٦ . ابن كثير ٣٦/١ . البيضاوي ١٣/١ . عبد التواب ١٧٠ . شحاتة ٨٩ .

(٤) الطبري ٦٩/١ . ابن عطية ١٣٩/١ . الإتيقان ١٣/٢ .

(٥) مجمع ٣٢/١ . (٦) مفاتيح ٧/٢ .

(٧) الجامع ٢٢٤/١٨ . (٨) المحتسب ٢٤٩/٢ . معترك ١٥٧/١ . الإتيقان ١٣/٢ .

واستنتج الكرمانى من وجود الاستفهام عقب (الم) فى أول سورة العنكبوت انقطاع الحروف عما بعدها فى هذه السورة وفى غيرها ^(١) .

وأورد الرازى فى الآراء التى تفسر هذه الحروف رأيا يقول إنها تدل على انقطاع كلام واستئناف كلام آخر . واستند هذا الرأى إلى قول ثعلب : إن العرب إذا استأنفت كلاما ، فمن شأنهم أن يأتوا بشيء غير الكلام الذى يريدون استئنافه ، فيجعلونه تنبيها للمخاطبين على قطع الكلام الأول واستئناف الكلام الجديد ^(٢) . وسار الآلوسى فى ركابهم فقال عنها : هى من الفواتح التى تُصدّر بها السور الكريمة على إحد الروايتين عن مجاهد ، بل قيل : هى كذلك عند جمهور المتقنين ^(٣) .

وأبدى د. صبحى الصالح رضاه عن هذا القول ^(٤) . ولم يقف الطبرى عند مجرد الإتيان بأقوال العلماء فى هذا الفصل والذى قبله ، بل استطرد متسائلا : هل يكون من القرآن ما ليس له معنى ؟ ثم أورد مايقوله المؤيدون فقال : معنى هذا أنه افتتح بها ليعلم أن السورة التى قبلها قد انقضت ، وأنه قد أخذ فى أخرى . فجعل هذا علامة انقطاع ماينهما ؛ وذلك فى كلام العرب ، ينشد الرجل منهم الشعر فيقول : بل * وبلدة ما الإنس من آهالها ! ويقول : لابل * ماهاج أحزانا وشجوا قد شجا * و(بل) ليست من البيت ، ولا تعد فى وزنه ، ولكن يقطع بها كلاما ، ويستأنف الآخر ^(٥) .

(١) معترك ١٥٧/١ .

(٢) مفاتيح ٧/٢ .

(٣) روح ١٤٨/١٦ .

(٤) مباحث ٢٤٣ . العمرى ١١٤ .

(٥) جامع ٦٩/١ - ٧٤ . الرازى ٧/٢ . الإتيان ١١/٢ ، ١٤ . أبو السعود ٢٤/١ . الزرقانى

٢٢٢/١ . شرف ٤٣ . إسماعيل ٢٦٥ .

ثم رفض الطبرى أن تكون الحروف فواتح لامعنى لها ، حقها الطرح ، ورمى القائل بذلك بالخطأ من وجوه شتى :

أحدها : أنه وصف الله بأنه خاطب العرب بغير ماهو من لغتها ، وغير ماهو فى لغة أحد من الآدميين .

الوجه الثانى : إضافته إلى الله أنه خاطب عباده بمالا فائدة لهم فيه ، ولا معنى له .

وذلك إضافة العبث - الذى هو منفى فى قول جميع الموحدين عن الله - إلى الله .

الوجه الثالث : أن (بل) فى كلام العرب مفهوم تأويلها ومعناها . فأما افتتاح الكلام ابتداء بمعنى التطول [: الزيادة] والحذف ، من غير أن يدل على معنى ، فذلك مما لا نعلم أحدا ادعاه من أهل المعرفة بلسان العرب ^(١) .

واتفق معه ابن كثير فى استضعاف هذا رأى ، واحتج بأن الفصل حاصل بدون الحروف فى السور التى لم تذكر فيها ، وفيما ذكرت فيه ، وبالبسمة تلاوة وكتابة ^(٢) .

وأضاف د. رمضان عبد التواب أنها لو كانت حقا فواصل بين السور لوجب أن تكون موجودة فى أول كل سورة ^(٣) .

* * *

يتضح من هذا أن فريقا من العلماء تجاوزوا مرحلة رصد الحروف المقطعة ، ولكن خشيتهم من القول بالرأى الفردى فى أمر يتصل بكتاب الله ، وقفت بهم عند أولى مراحل التفسير فقالوا بأنها علامات تفصل بين ماضى وما يأتى من كلام الله . ولكن هذا القول اقتضى أنها علامات خالية من المضمون فتصدى الطبرى لذلك ورفضه وأتى بالأدلة على أنه لا يليق بالقرآن . وقد تابعه بعض العلماء معتمدين فى أكثر ما قالوا على أقواله .

(١) جامع ٧٣/١ - ٧٤ . عبد التواب ١٧١ .

(٢) التفسير ٣٧/١ .

(٣) حول ١٧١ .

أدوات تنبيه

أعلن كثيرون أن هذه الحروف أدوات تنبيه ، وعبروا عن ذلك فى صيغ متنوعة .

نقل ابن الجوزى عن أبى روق عطية بن الحارث الهمداني : كان النبى - ﷺ - يجهر بالقراءة فى الصلوات كلها ، وكان المشركون يصفقون ويصفرون ، فنزلت هذه الحروف المقطعة ، فسمعوها فبقوا متحيرين ^(١) .

ونقل القرطبي : قال قطرب : كانوا ينفرون عند استماع القرآن . فلما سمعوا ﴿الم﴾ و﴿المص﴾ استنكروا هذا اللفظ . فلما أنصتوا له - ﷺ - أقبل عليهم بالقرآن المؤتلف ، ليثبتته فى أسماعهم وآذانهم ، ويقيم الحجة عليهم ^(٢) .

ونقل الرازى عن ابن روق وقطرب : إن الكفار لما قالوا : ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْعَوَّا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة فصلت : ٢٦] ^(٣) وتواصو بالإعراض عنه ، أراد الله - لما أحب من صلاحهم ونفعهم - أن يورد عليهم مالا يعرفونه ، ليكون ذلك سببا لإسكاتهم ، واستماعهم لما يرد عليهم من القرآن . فأنزل الله عليهم هذه الحروف . فكانوا - إذا سمعوها - قالوا كالمتعجبين : اسمعوا إلى مايجىء به محمد . فإذا أصغوا هجم عليهم القرآن . فكان ذلك سببا لاستماعهم ، وطريقا إلى انتفاعهم ^(٤) .

وذكر القرطبي أن محمد بن يزيد المعروف بالمبرد قال : هى تنبيه ^(٥) .

(١) زاد ٢١/١ . المنار ٢٦٨/٨ . صبيح ١٠١ .

(٢) الجامع ١٥٥/١ . العدل ١٣ ، ١٥ .

(٣) العدل ١٣ .

(٤) مفاتيح ٦/٢ ، ٨ ، ١١ ، ١٤٦/٢٨ ، ٩٥/٢٥ . الطبرى ٦٩/١ . الطبرسى ٣٣/١ . ابن الجوزى ٢١/١ . القرطبي ١٥٥/١ . الخازن ٢٦/١ . الزركشى ١٧٥/١ . النيسابورى ١٢١/١ . معترك ١٥٧/١ . الإنشقاق ١٣/٢ . الآلوسى ١٠٣/١ . المنار ٢٦٨/٨ . الصالح ٢٤٤ . حمودة ٧٦/١ . شرف ٤١ . غلاب ٤١ . فاروق ١٦٤ . زرزور ١٤٥ . العمرى ١١٥ . خليف ٨٢ .

(٥) الجامع ٣٠٤/٨ . المنار ١٠٣/١ ، ٢٦٢/٨ ، ٢٦٤ - ٦ . عبد التواب ١٧٣ .

وجمع ابن عطية قولى أبى روق والمبرد فى إجمال ، فقال : قال قوم : هى تنبيه كيا فى النداء ^(١) .

وقال قوم : روى أن المشركين لما أعرضوا عن سماع القرآن بمكة ، نزلت ليستغربوها فيفتحوا لها أسماعهم ، فيسمعون القرآن بعدها ، فتجب عليهم الحجة ^(٢) .

وحكى الرازى أن هناك من استضعف أن يكون المقصود من ذكر هذه الحروف إسكاتهم عن الشغب ، واحتج بأنه لو جاز ذكر هذه الحروف لهذا الغرض ، لجاز ذكر سائر الهذيانات لمثل هذا الغرض . وذلك بالإجماع باطل ^(٣) .

ثم رفض هذا القول ، واحتج - مع قول قطرب - بأمرين :

أحدهما أن هذه الحروف ماجأت إلا فى أوائل السور . وذلك يوهم أن الغرض ما ذكرنا من التنبيه .

والثانى أن العلماء قالوا : إن الحكمة فى إنزال المتشابهات هى أن المعلل لما علم اشتغال القرآن على المتشابهات ، فإنه يتأمل القرآن ويجتهد فى التفكير فيه ، على رجاء أنه ربما وجد شيئا يقوئى قوله وينصر مذهبه . فيصير ذلك سببا لوقوفه على المحكمات المخلصة له من الضلالات . فإذا جاز إنزال المتشابهات التى توهم الضلالات لمثل هذا الغرض ، فجواز إنزال هذه الحروف التى لا توهم شيئا من الخطأ والضللال لمثل هذا الغرض أولى .

أقصى ما فى الباب أن يقال : لو جاز ذلك فليجز أن يتكلم بالزنجية مع العربى ، وأن يتكلم بالهذيان لهذا الغرض ، وهذا يقدر فى كون القرآن هدى وبيانا

(١) المحرر ١٤٠/١ . معترك ١٥٦/١ . الإتيان ١٣/٢ . المنار ١٢/١١ .

(٢) المحرر ١٤٠/١ . القرطبي ١٥٥/١ . النسفى ٩/١ . الشوكانى ٢٩/١ . الصالح ٢٤٦ .

العدل ١٣ .

(٣) مفاتيح ١٠/٢ .

أيضا . لكننا نقول : لم لا يجوز أن يقال : إن الله إذا تكلم بالزنجية مع العربي - وكان ذلك متضامنا لمثل هذه المصلحة - فإن ذلك يكون جائزا ؟ وتحقيقه أن الكلام فعل من الأفعال ، والداعى إليه قد يكون هو الإفادة ، وقد يكون غيرها .

أما القول بأنه يكون هديانا ، فإننا نقول : إن عنيت بالهذيان الفعل الخالي عن المصلحة بالكلية ، فليس الأمر كذلك . وإن عنيت به الألفاظ الخالية عن الإفادة ، فلم قلت : إن ذلك يقدح فى الحكمة إذا كان فيها وجوه أخر من المصلحة سوى هذا الوجه ؟ وأما وصف القرآن بكونه هدى وبيانا فذلك لا ينافى ماقلناه ، لأنه إذا كان الغرض ماذكرناه كان استماعها من أعظم وجوه البيان والهدى ^(١) .

وجعل الرازى التنبيه للنبي نفسه ، قال : الحكيم إذا خاطب من يكون محل الغفلة أو من يكون مشغول البال بشغل من الأشغال ، يقدم على الكلام المقصود شيئا غيره ، ليلفت المخاطب بسببه إليه ، ثم يشرع فى المقصود .

وذلك المقدم على المقصود :

قد يكون كلاما له معنى مفهوم ، كقول القائل : اسمع ، واجعل بالك إلى ، وكن لى .

وقد يكون شيئا هو فى معنى الكلام المفهوم ، كقول القائل : أزيد ، ويازيد ، وألا يازيد .

وقد يكون ذلك المقدم على المقصود صوتا غير مفهوم ، كمن يصفر خلف إنسان ليلتفت إليه .

وقد يكون ذلك الصوت بغير الفم ، كما يصفق الإنسان بيديه ليقبل السامع عليه .

ثم إن موقع الغفلة كلما كان أتم ، والكلام المقصود أهم ، كان المقدم على

المقصود أكثر . ولهذا ينادى القريب بالهمزة فيقال : أزيد ، والبعيد بيا فيقال : يازيد ، والغافل بيبه أولا فيقال : ألا يازيد ^(١) .

إذا ثبت هذا فنقول : إن النبي - وإن كان يقظان الجنان - لكنه إنسان يشغله شأن عن شأن . فكان يحسن من الحكيم أن يقدم على الكلام المقصود حروفا هي كالمنبهات ^(٢) .

ثم إن تلك الحروف - إذا لم تكن بحيث يفهم معناها - تكون أتم في إفادة المقصود الذي هو التنبيه من تقديم الحروف التي لها معنى ، لأن ذلك المقدم - إذا كان كلاما منظوما وقولا مفهوما - ربما ظن سامعه أنه كل المقصود ، ولا كلام له بعد ذلك . فيقطع الالتفات إليه ، أما إذا سمع منه صوتا بلا معنى فإنه يُقبل عليه ، ولا يقطع نظره عنه ، ما لم يسمع غيره ، لجزمه بأن ماسمعه ليس هو المقصود . فإذا قدم الحروف التي لا معنى لها في الوضع ، على الكلام المقصود ، فيه حكمة بالغة .

واعلم أن التنبيه قد حصل في القرآن بغير الحروف التي لا يفهم معناها كما في قوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة الحج : ١] و﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ : اتَّقِ اللَّهَ ﴾ [سورة الأحزاب : ١] لأن تقوى الله حق تقاته أمر عظيم . فقدم عليه النداء الذي يكون للبعيد الغافل تنبيها ^(٣) .

ولم يقصر الرازي التنبيه على نفاسة المضمون بل ضم إليها نفاسة الشكل ، قال : الحروف تنبيهات قدمت على القرآن ليبقى السامع مقبلا على استماع ما يرد عليه ، فلا يفوته شيء من الكلام الرائق ، والمعنى الفائق ^(٤) .

(١) مفاتيح ٢٦/٢٢ . النيسابوري ٧٦/٢٠ . عبد التواب ١٧٣ .

(٢) مفاتيح ٢٦/٢٢ . النيسابوري ٧٦/٢٠ . معترك ١٥٦/١ . الإتيقان ١٣/٢ . العمري ١١٥ . خليف ٨٢ .

(٣) مفاتيح ٢٦/٢٢ - ٢٧ . عائشة ١٣٩ .

(٤) مفاتيح ١٤٦/٢٨ .

واستضعف ابن كثير القول بأن هذه الحروف جلبت لتفتح أسماع
المشركين ، معتلا بما يلي :

لو كان الأمر كذلك لكان ذلك فى جميع السور لا بعضها .
ولو كان كذلك لانبغى الابتداء بها فى أوائل الكلام ، سواء كان افتتاح سورة
أو غير ذلك .

ثم إن سورتي البقرة وآل عمران مدينتان ليستا خطابا للمشركين ^(١) .
وواضح أنه لم يطلع على ردود الرازى على هذه الاعتراضات أو لم يكثرث
لها .

ونبه السيوطى إلى أن أحمد بن خليل الخُوَّيِّ استجاد القول بأن الحروف
تنبيهات ، لأن القرآن كلام عزيز وفوائده غزيرة ، فينبغى أن يرد على سمع
متنبه ^(٢) .

وذكر أن ابن عطية عدّ هذا القول مغايرا للقول بأنها فواتح . ثم خالفه قائلا :
الظاهر أنه معناه ^(٣) .

وأشار الخوىي إلى أن القرآن لم يستعمل الكلمات المشهورة فى التنبيه ، مثل
ألا وأما . وعلل ذلك بأنها من الألفاظ التى يتعارفها الناس فى كلامهم ، والقرآن
كلام لا يشبه الكلام ، فناسب أن يؤتى فيه بألفاظ لم تُعهَد ، ليكون أبلغ فى قرع
الأسماع ^(٤) .

واستبعد محمد رشيد رضا جعل التنبيه للنبي - ﷺ - لأنه كان يتنبه وتغلب
الروحانية على طبعه الشريف بمجرد نزول الروح الأمين عليه ودنوه منه ، كما يعلم

(١) ابن كثير ٣٧/١ - ٣٨ .

(٢) معترك ١٥٦/١ . الإنفان ١٣/٢ . الصالح ٢٤٣ .

(٣) معترك ١٥٦/١ . الإنفان ١٣/٢ .

(٤) معترك ١٥٧/١ . الإنفان ١٣/٢ . صبيح ١٠١ . الصالح ٢٤٣ . حمودة ٧٦/١ . العمرى

مما ورد فى نزول الوحى من الأحاديث الصحيحة ، كما لا يظهر فيه وجه تخصيص بعض السور بالتنبيه ^(١) .

وذهب رضا إلى أن من حسن البيان وبلاغه التعبير - التى غايتها إفهام المراد مع الإقناع والتأثير - أن ينبه المتكلم المخاطب إلى مهمات كلامه ، ويحرص على أن يحيط علمه بما يريده هو منها ، ويجتهد فى إنزالها من نفسه فى أفضل منازلها . ومن ذلك التنبيه لها قبل البدء بها لكيلا يفوته شىء منها . وقد جعلت العرب منه هاء التنبيه وأداة الاستفتاح ^(٢) .

فأى غرابة فى أن يزيد عليها القرآن الذى بلغ حد الإعجاز فى البلاغة وحسن البيان ، ويحب أن يكون الإمام المقتدى ، كما أنه هو الإمام فى الإصلاح والهدى ؟

ومنه مايقع فى أثناء الخطاب من رفع الصوت ، وتكييفه بما تقتضيه الحال من صيحة التخويف والزجر ، أو غنة الاسترحام والعطف ، أو رنة النعى وإثارة الحزن ، أو ...

ومنه الاستعانة بالإشارات وتصوير المعانى بالحركات . ومنه كتابة بعض الكلمات أو الجمل بحروف كبيرة أو وضع خط فوقها أو تحتها ^(٣) ...

وفى موضع آخر أعلن أن الحروف المقطعة أقوى فى التنبيه من حرف الهاء الموضوع له فى أسماء الإشارة ومن كلمة (ألا) الاستفتاحية ^(٤) . ورأى د. صبحى الصالح أن السيد رشيد رضا خير من أوضح الغرض من افتتاح بعض السور القرآنية بهذه الحروف المقطعة ^(٥) .

(١) المنار ٢٦٨/٨ . الصالح ٢٤٣ . المعرى ١١٥ .

(٢) المنار ٢٦٤/٨ . الصالح ٢٤٤ . المعرى ١١٥ . زرزور ١٤٦ .

(٣) المنار ٢٦٤/٨ - ٢٦٥ . الصالح ٢٤٤ - ٥ .

(٤) المنار ١٢/١١ .

(٥) الصالح ٢٤٤ . المعرى ١١٦ .

ورتب الآراء على النحو التالي - وإن كانت المواد العلمية التي تجمعت لدى لا تؤيد قوله - قال : عندى أن ثمة قوما اتصفوا بالتعقل والحكمة ، أحبوا أن يدخلوا البيوت من أبوابها ، وأن يكونوا أصرح رأيا وأوضح تفسيرا فى بيان الغرض من أوائل السور .

وقد مرت فكرتهم بأطوار ثلاثة حتى استحالت رأيا نضيجا عميقا : فلم يزدوا فى بادئ الأمر على أن يسموا هذه الحروف فواتح ، كما وضع العرب فواتح لقصائدهم . وقد قال بهذا مجاهد من كبار التابعين . ثم انتقلت هذه الفكرة إلى مجال أوضح وأوسع حين أصبحت هذه الفواتح فى نظر بعضهم أدوات تنبيه . والخوى الذى يقرر هذا يجعل التنبيه للنبي - ﷺ . ثم جعل السيد رشيد رضا التنبيه للمشركين ^(١) .

وذهب عبد الوهاب حمودة إلى أن هذا الوجه يقويه ويسنده مايلى :

أولا : أن هذا أسلوب من أساليبهم فى استخدامهم حروفا لا معنى لها ولا مقصد منها إلا التنبيه . وقد جاء ذلك كثيرا فى أحاديث النبي - ﷺ - عندما يريد أن ينبه أذهان الصحابة إلى خطورة مايرشدهم إليه . وليس بعجيب أن يراعى القرآن عرف المخاطبين ، فإن هذه المراعاة الخطائية تساعد على التأثير واجتذاب النفوس إلى الاقتناع والإذعان . وهذا وجه من بلاغة القرآن التى أفادت فى تثبيت النبوة وبث الدعوة .

ثانيا : إن هذه السور كلها مكية إلا الزهراوين - البقرة وآل عمران - على أن فى موضوعهما مايشبه الموضوعات المكية ، إذ كانت الدعوة فيهما موجهة إلى أهل الكتاب . فلما كانت هذه السور مكية ، وأهل مكة أهل عناد وغفلة وإعراض ، وأكثر ما يستعمل هذا الأسلوب فى مخاطبة الغافلين أو الجاهلين المعرضين ، جاءت هذه السور بتلك الافتتاحات للتنبيه والإيقاظ ^(٢) .

(١) المنار ٢٩٦/٨ . الصالح ٢٤٣ - ٤ . المعرى ١١٤ - ١١٥ .

(٢) رسالة ٧٧/١ .

ورفض د. عبد التواب هذا الرأي قائلا : ليس هذا الرأي فى حاجة إلى تبين فسادة ، أو خطئه . فإن القرآن الكريم نزل بلغة العرب كما قال فى أكثر من موضع منه . والعرب تستخدم فى كلامها أدوات للتنبيه مثل ألا وأما .. إلخ . وليست هذه الرموز التى استعملها القرآن من بين تلك الأدوات التى يستعملها هؤلاء للتنبيه ، إذ لم ترد فى كلامهم ، لا شعرا ولا نثرا ...

وبعيد أن يتدع القرآن أدوات للتنبيه والخطاب ، غير التى كانت معروفة لدى العرب . فما عهدنا فيه ذلك فى أية ظاهرة لغوية أخرى . وعلى فرض صحة ذلك . فلماذا لم يستعملها المسلمون فى هذا المعنى - فيما بعد - تقليدا للقرآن الكريم ؟ ولن يغنى عن أصحاب هذا الرأي قولهم : « إن القرآن كلام لا يشبه الكلام ، فناسب أن يؤتى فيه بالفاظ تنبيه لم تُعهد ، لتكون أبلغ فى قرع السمع » لأنه لو كان القرآن قد أتى حقا بأدوات تنبيه غير معهودة لدى السامع ، لتحولت هذه الأدوات لديه من أدوات تنبيه إلى أدوات تحيير ، لأنه سينصرف إلى محاولة فهم معنى هذه الأدوات الجديدة ، ولن يلقى بالا لما يأتى بعدها ، فتضيع بذلك فائدة التنبيه ^(١) .

حكمة التنبيه

لاحظ أبو بكر الباقلانى ملاحظة اتخذها من جاء بعده قاعدة بنوا عليها ما رأوه فى حكمة استخدام هذه الحروف للتنبيه ، قال : مامن سورة افتُتحت بالحروف المقطعة إلا وقد أُشبع فيها بيان إعجاز القرآن ، وكونه حجة على رسالة محمد - ﷺ . وللتدليل على ذلك حلل سورتي غافر وفصلت ^(٢) .

وقال الرازى : كل سورة فى أوائلها حروف التهجى فإن فى أوائلها ذكر الكتاب أو التنزيل أو القرآن ، إلا ثلاث سور ، هى مريم والعنكبوت والروم ^(٣) .

(١) حول ١٧٣ - ١٧٤ .

(٢) إعجاز ٨ - ١٥ . الرازى ٢٦/٢٢ ، ٩٥ . ابن كثير ٥٣٧/٢ . الزركشى ١٧٠/١ ، معترك

٧١/١ . الصالح ٢٤٥ . غلاب ١٠٨ . شرف ٤٨ . زرزور ١٤٥ .

(٣) مفاتيح ٤٦٤/٦ . عائشة ١٣٧ - ١٣٨ .

وقال أيضا : الحكمة فى افتتاح السور التى فيها ذكر القرآن بالحروف هى أن القرآن عظيم ، له عبء ثقیل ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [سورة المزمل : ٥] وكل سورة فى أولها ذكر القرآن قُدِّم عليها منه بوجوب ثبات المخاطب لاستماعه .

لا يقال : كل سورة قرآن ، واستماعها استماع لقرآن ، سواء كان فيها ذكر القرآن لفظا أو لم يكن ، فكان الواجب أن يكون فى أوائل كل سورة منه .
وأیضا فقد وردت سور فيها ذكر القرآن ، ولم يذكر قبلها حروف ، مثل الكهف والنور والفرقان والقدر .

لأننا نقول عن الأول : لاریب فى أن كل سورة من القرآن . لكن السورة التى فيها ذكر القرآن تنبئه على كل القرآن . فإن قوله تعالى : ﴿ طه ﴿١﴾ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِنَشْفَقَ ﴾ - مع أنها بعض القرآن - فيها ذكر جميع القرآن . فیصير مثاله مثال كتاب یرد من ملك على مملوكه فيه شغل ما ، وكتاب آخر یرد منه عليه ، فيه : إنا كتبنا إليك كتبنا فيها أوامرنا فامثلها ، لاشك أن عبء الكتاب الآخر أكثر من ثقل الأول .

ونقول جوابا عن الثانى إن قوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ و﴿ تَبَارَكَ الَّذِي ﴾ - افتتاحا لسورتي الكهف والفرقان - تسبيحات مقصودة . وتسبيح الله لا يغفل عنه العبد ، فلا يحتاج إلى منبه ، بخلاف الأوامر والنواهي ، وأما ذكر القرآن فيها فليبيان عظمة من له التسبيح .

وقال : وأما سورة العنكبوت فقد افتتحت بالحروف ، وليس فيها الابتداء بالقرآن ، وذلك لأن ثقل القرآن بما فيه من التكاليف والمعاني . وهذه السورة فيها ذكر جميع التكاليف حيث قال : ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا ﴾ [سورة العنكبوت : ٢] . يعنى لا يتركون بمجرد ذلك ، بل يؤمرون بأنواع من التكاليف ، فوجد المعنى الذى فى السور التى فيها ذكر القرآن المشتمل على الأوامر والنواهي ^(١) .

(١) مفاتيح ٢٦/٢٢ . النيسابورى ٧٦/٢٠ . عائشة ١٣٩ .

وتجاوز ابن كثير مطلع السورة إلى داخلها ، فقال : كل سورة ابتدئت بهذه الحروف ففيها الانتصار للقرآن ، وتبيان أن نزوله من عند الله حق ، لاشك فيه ولا مرية ولا ريب ^(١) .

وتجاوز الزركشى الاحتجاج للقرآن إلى كل ما يتعلق به ، فقال : اعلم أن عادة القرآن العظيم في ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن ، بخلاف العنكبوت والروم ^(٢) .

وقال محمد رشيد رضا : إنما خصت سورة معينة بهذا الضرب من الافتتاح لأن النبي - ﷺ - كان يتلوها على المشركين بمكة لدعوتهم بها إلى الإسلام وإثبات الوحي والنبوة . ولإثبات ذلك حُلِّل السور الأربعة ^(٣) .

قال مثلاً في تحليل سورة الأعراف :

﴿المص﴾ هذه حروف مركبة في الرسم بشكل كلمة ذات أربعة أحرف ولكنها تقرأ بأسماء هذه الأحرف ساكنة هكذا : ألف ، لام ، ميم ، صاد ، والمختار عندنا أن حكمة افتتاح هذه السورة وأمثالها بأسماء حروف ليس لها معنى مفهوم غير مسمى تلك الحروف التي يتركب منها الكلام هي تنبيه السامع إلى ما سيلقى إليه بعد هذا الصوت من الكلام حتى لا يفوته منه شيء . فهي كأداة الافتتاح «ألا» و«هاء» التنبيه . وإنما خصت سور معينة ^(٤) من الطوال والمئين والمثنائى والمفصل بهذا الضرب من الافتتاح ؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يتلوها على المشركين بمكة لدعوتهم بها إلى الإسلام وإثبات الوحي والنبوة ، وكلها مكية إلا

(١) ابن كثير ٣٨/١ ، ٥٣٧/٢ . عائشة ١٣٩ ، ١٤٢ ، حمادة ١٦٣ - ١٦٤ . العدل ١٥ .

(٢) البرهان ١٧٠/١ . معترك ٢١/١ - ٢٢ . عائشة ١٣٩ .

(٣) المنار ٢٩٦/٨ - ٢٩٨ . الصالح ٢٤٥ .

(٤) وهى ٢٩ سورة بعدد حروف الهجاء العربية بعد الألف اللينة منها ، وهى نصف تلك الأحرف المستقلة إذا لم تعد منها لأنها لا ينطق بها وحدها ، ومن الغريب أنها جامعة لكل مخارج الحروف .

الزهاوين البقرة وآل عمران - وكانت الدعوة فيهما موجهة إلى أهل الكتاب - وكلها مفتوحة بذكر الكتاب إلا سورة مريم وسورتي العنكبوت والروم وسورة ن . وفي كل منهما معنى مما فى هذه السور يتعلق بإثبات النبوة والكتاب .

فأما سورة مريم فقد فصلت فيها قصتها بعد قصة يحيى وزكريا المشابهة لها . ويتلوها ذكر رسالة إبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس مبدؤا كل منها بقوله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ ﴾ ^(١) والمراد بالكتاب القرآن . فكأنه قال فى كل من قصة زكريا ويحيى وقصة مريم وعيسى ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ ﴾ وذكر هذه القصص فى القرآن من دلائل كونه من عند الله تعالى لأن النبى ﷺ لم يكن يعلم هذا لا هو ولا قومه كما صرح به فى سورة هود بعد تفصيل قصة نوح مع قومه بقوله : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ٤٩ . وكما قال فى آخر سورة يوسف بعد سرد قصته مع إخوته : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ ١٠٢ وختمت هذه السورة « أى سورة مريم » بإبطال الشرك وإثبات التوحيد ونفى اتخاذ الله تعالى للولد ، وتقرير عقيدة البعث والجزاء . فهى بمعنى سائر السور التى كانت تتلى للدعوة ويقصد بها إثبات التوحيد والبعث ورسالة خاتم النبیین وصدق كتابه الحكيم .

وأما سورة العنكبوت وسورة الروم فكل منهما قد افتتحت بعد ﴿ أَلَمْ ﴾ بذكر أمر من أهم الأمور المتعلقة بالدعوة . فالأول الفتنة فى الدين ، وهى إيذاء الأقوياء للضعفاء واضطهادهم لأجل إرجاعهم عن دينهم بالقوة الظاهرة . كان مشركو قريش يظنون أنهم يطفئون نور الإسلام ويطلون دعوته بفتنتهم للسابقين إليه وأكثرهم من الضعفاء ^(٢) .

(١) وردت فى سورة « مريم » فى الآيات ١٦ ، ٤١ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٦ .

(٢) المناد ٢٦٠/٨ - ٢ .

ولم ترض د. عائشة عبد الرحمن عن رد الرازى ، ووصمته بأنه غير مقنع ، بل واضح التكلف والعت . واستحسن موقف الزركشى الذى كان أوضح مسلکا وأنأى عن التكلف ، إذ اكتفى بذكر مايتعلق بالقرآن . ورضيت عن ابن كثير لعدم وقوفه عند فاتحة السورة وحدها ^(١) .

وبسبب ماضى من أقوال ، آثرد. زررور أن يصوغ الملحظ فى العبارة الآتية : « هذه الحروف ، أو السور التى افتتحت بها ، أعقبها مباشرة - وفى أغلب الأحيان - حديث عن القرآن الكريم ، وأنه تنزيل من حكيم حميد ، أو جاء هذا الحديث فى ثنايا السورة فى أحيان قليلة » ودعم هذا القول بتحليل موجز لعدد من السور ^(٢) .

وجعل عبد المنعم السيد حسن الحكمة فى ورود الآيات الموحية بكمال هذا الكتاب ومكانته ، والمعلنة عن كونه حقاً صراحاً ، وكون آياته محكمة مفصلة منزلة من عند الله ، عقب كل فاتحة من هذه الفواتح . ويلاحظ المتتبع لها أن كل آية من الآيات الواردة عقبها تثبت للقرآن مزيداً من الأوصاف والمزايا ، وتجلى أهمية القرآن بالنسبة للرسول ، وبالنسبة لمن يبلغهم ^(٣) .

* * *

جلى أن الأقوال فى هذا الفصل سارت فى طريقتين : الطريق الأول ازدحم فيه المتكلمون ويعلن أن التنبيه موجه إلى من أنزل إليهم القرآن لجذب أسماعهم - ثم أفكارهم - إليه . والطريق الثانى يكاد الخوى والرازى ينفردان بالسير فيه ، ويعلن أن التنبيه موجه إلى النبى .

وقد بدأ الحديث فى منتصف القرن الثانى ، وشارك فيه اللغويون مشاركة واضحة ، استمرت إلى العصر الحديث .

(١) الإعجاز ١٣٩ .

(٢) القرآن ١٤٤ - ١٤٥ .

(٣) ظاهرة ١٣٩ .

ولكن الجهد الأكبر كان للرازي ، الذي اضطلع بعبء البرهنة على صحة
 ما قيل في التنبيه ، سواء تنبيه المشركين أو تنبيه الرسول ، يليه جهد رشيد رضا
 فالصالح وعبد التواب .

* * *

إشارات ورموز

مجموعية

كان الحكيم الترمذى أول من أشار إلى وجود مناسبة بين الحروف المقطعة ومضمون السور التي تبدأ بها ، قال عن سورة البقرة : « إن الله أودع جميع مافى تلك السورة من الأحكام والقصص فى الحروف التى ذكرها فى أول السورة . ولا يعرف ذلك إلا نبي أو ولى . ثم بين ذلك فى جميع السورة ، ليفقه الناس » ^(١) .

وذكر الرازى فى (اللمّ) أن الألف من أقصى الحلق - وهو أول مخارج الحروف ، واللام من طرف اللسان - وهو وسط المخارج . والميم من الشفة - وهى آخر المخارج . فهذه إشارة إلى أنه لا بد أن يكون أول ذكر العبد ووسطه وآخره ليس إلا الله ، على ما قال : ﴿ فِقْرُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ ^(٢) .

وفطن الزركشى إلى هذه العلاقة فقال عن سورة (ق) : كل معانى السورة مناسب لما فى حرف القاف من الشدة والجهر والقلقلة والانفتاح ^(٣) . وإذا أردت زيادة إيضاح فتأمل ما اشتملت عليه سورة (ص) من الخصومات المتعددة . فأولها خصومة الكفار مع النبي - ﷺ - وقولهم : ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ [سورة ص : ٥] إلى آخر كلامهم ، ثم اختصاص الخصمين عند داود ، ثم تخاصم أهل النار ، ثم اختصاص الملائكة فى العلم ، وهو الدرجات والكفارات ، ثم تخاصم إبليس واعتراضه على ربه وأمره بالسجود ، ثم اختصاصه ثانيا فى شأن بنيه وخلفه ليغويهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم ... وتأمل سورة الأعراف زاد فيها (ص) لأجل ... وشرح فيها قصص آدم فمن بعده من الأنبياء ^(٤) .

(١) القرطبي ١٥٦/١ . شرف ٤٣ . شرف ٤٤ .

(٢) سورة الذاريات ٥٠ . مفاتيح ٨/٢ . البضاوى ١٤/١ . النيسابورى ١٢٢/١ . الشرينى ١٥/١ . الآلوسى ١٠٣/١ .

(٣) البرهان ١٦٩/١ . حمادة ١٦٥ . زرزور ١٤٧ . العمرى ١١١ .

(٤) البرهان ١٦٩/١ - ١٧٠ .

وزهد الزركشى إلى فكرة أخرى أعلن فيها أنه لما كان نزول القرآن فى أزمنة متطاولة ، وكان باقيا إلى آخر الزمان ، ولا كتاب بعده ؛ جعل الله الحروف كالعلائم ، تبين أن هذه السورة من قبيل تلك التى أنزلت من عشر سنين مثلا ، حتى كأنها تنمة لها ، وإن كان بينهما مدة ^(١) .

وأتى بفكرة ثالثة إذ لاحظ أن أكثر هذه الفواتح تكرارا هى (الَّـ) . وعلل ذلك بأن الألف إذا بُدئ بها أولا كانت همزة ، وهى أول المخارج من أقصى الصدر ، واللام من وسط مخارج الحروف ، وهى أشد الحروف اعتمادا على اللسان ، والميم آخر الحروف ومخرجها من الفم . وهذه الثلاثة هى أصل مخارج الحروف ، أعنى الحلق واللسان والشفيتين ، وترتبت فى التنزيل من البداية إلى الوسط إلى النهاية . فهذه الحروف تعتمد المخارج الثلاثة التى يتفرع منها ستة عشر مخرجا ، ليصير منها تسعة وعشرون حرفا ، عليها مدار كلام الخلق أجمعين .

وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف فهى مشتملة على مبتدأ الخلق ونهايته وتوسطه ، مشتملة على خلق العالم وغايته ، وعلى التوسط بين البداية من الشرائع والأوامر . فتأمل ذلك فى البقرة وآل عمران وتنزيل السجدة وسورة الروم ^(٢) .

ونقل د. محمد غلاب أن بوير من المستشرقين رأى أن فى كل فاتحة من فواتح السور رابطا بما يذكر فى سورتها . فالطاء فى ﴿طَسَّ﴾ تشير إلى الطور ، والسين إلى سيناء ، والميم إلى موسى ، لأن سورة القصص تتحدث عن موسى وطور سينين ^(٣) .

وكذلك ﴿حَم﴾ تشير إلى جهنم . ولعلها تبتدئ بحرف الجيم الذى يشبه الحاء تماما . فاختلط ذلك على العرب فنطقوه حاء ، وهو فى الحقيقة جيم ^(٤) .

(١) البرهان ١/١٧٧ .

(٢) البرهان ١/١٦٨ . معترك ١/٧١ . زرزور ١٤٤ .

(٣) نظرات ٤٣ . شرف ٦٠ .

(٤) نظرات ٤٣ . شرف ٥٤ .

وتهكم د. محمد غلاب عليه فقال : نحن لا يسعنا أن نعلق على هذا بأكثر من أنه يستوجب الضحك ، حتى فى الأوقات التى يتعسر فيها الضحك ويعز الإبتسام ^(١) .

وأضاف د. حنفى شرف : إن هذا رأى لوصح اعتباره فى فاتحة سورة القصص ، لا يصح فى غيرها ، لأنه لا ينطبق عليها ^(٢) .

وفى اعتقادى أن الرد الذى يمحى قول بوير فى ﴿حَم﴾ أن الأصل فى تلقى القرآن قديما وحديثا هو الأخذ مشافهة ، والتلاوة الصوتية ، لا التدوين الكتابى الذى يمكن فيه وقوع التحريف .

وأضيف إلى ذلك أن ﴿حَم﴾ - التى تنطق حميم - تدل على جهنم وما تحتوى عليه من عذاب ، دون دعوى تغيير الجيم إلى حاء .

صوتية

كان الكرمانى أول من فطن - فى مصادرى - إلى وجود مناسبة صوتية بين الحروف وسورها . فقد رد زيادة الصاد فى حروف سورة الأعراف إلى قوله تعالى - بعدها : ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ [سورة الأعراف : ٢] ^(٣) ، ورد زيادة الراء فى حروف سورة الرعد إلى قوله بعدها : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ﴾ [سورة الرعد : ٢] .

وفطن الزركشى إلى هذه المناسبة فطنته إلى المناسبة المضمونية ، وأفاض فى الحديث عنها ، فذهب إلى أن السورة التى بدئت بحرف مفرد خاصة مبنية على كلمات ذلك الحرف . ويوضح ذلك أنك إذا ناظرت سورة منها بما يماثلها فى عدد كلماتها وحروفها ، وجدت الحروف المفتتح بها تلك السورة أفرادا وتركيبا أكثر عددا فى كلماتها منها فى نظيرتها ومماثلتها فى عدد كلماتها وحروفها . فإن لم تجد بسورة منها ما يماثلها فى عدد كلماتها فى أفراد ذلك فى المماثلات مما

(١) نظرات ٤٣ . شرف ٥٤ .

(٢) مقدمة الخواطر ٥٤ .

(٣) أسرار ٢١ - ٢٢ .

يوجد له النظير مايشعر بأن هذه لو وُجد مايمثلها لجرى على ما ذكرت لك . وقد اطردها في أكثرها .

وقد تكرر في سورة يونس من الكلم الواقع فيها (الر) مئتا كلمة وعشرون أو نحوها ، فلهذا افتتحت بـ (الر) . وأقرب السور إليها مما يماثلها بعدها من غير المفتتحة بالحروف المقطعة سورة النحل ، وهي أطول منها ، ومايركب على (الر) من كلمها مئتا كلمة ، مع زيادتها في الطول عليها .

وتأمل سورة (ق) تجددها مبنية على كلمات ذلك الحرف من ذكر القرآن ، والخلق ، وتكرار القول ومراجعته مرارا ، والقرب من ابن آدم ، وتلقى الملكين ، وقول العتيد ، وذكر الرقيب ، وذكر السابق والقرين ، والإلقاء في جهنم ، والتقدم بالوعد ، وذكر المتقين ، وذكر القلب ، والقرن ، والتنقيب في البلاد ، وذكر القتل مرتين ، وتشقق الأرض ، وإلقاء الرواسي فيها ، وبُسوق النخل ، والرزق ، وذكر القوم ، وخوف الوعيد ، وغير ذلك .

وكذلك سورة (ن) فإن فواصلها كلها على هذا الوزن ، مع ماتضمنت من الألفاظ النونية .

من أجل ذلك حَقَّ لكل سورة منها ألا يناسبها غير الحروف الواردة في أولها ، حتى لم تكن لترد (الم) في موضع (الر) ولا (حم) في موضع (طس) ^(١) .
وذهب بعض المستشرقين مذهباً خاصاً . حكى د. زكى مبارك : كنت أتحدث عن فوائح السور مع المسيوبلانشو Blanchot فعرض على تأويلا جديرا بالدرس والتحقيق .

في رأيه أن الحروف المقطعة هي كالحروف (AOI) التي توجد في بعض المواطن من (Chansons de geste) فهي ليست إلا (Neumes) أى إشارات وبيانات موسيقية يتبعها المرتلون .

(١) البرهان ١٦٩/١ - ١٧٠ ، ٢٧١ - ٢٧٢ . معترك ٧٠/١ - ٧١ . مقال حمودة ٧٧/١ ، ومقاله ٤٦ . عائشة ١٣٤ . إسماعيل ٢٦٨ . حمادة ١٦٥ . أحمد ٢٠٨ . زرزور ١٤٧ . العمرى ١١١ .

وقد كانت الموسيقى القديمة بسيطة يشار إلى ألحانها بحرف أو حرفين أو ثلاثة . وكان ذلك كافيا لتوجيه المغنى أو المرتل إلى الصوت المقصود .

وفى الكنائس المسيحية بأوروبا ، حيث لا تزال تحفظ تقاليد الغناء الجريجورى Le Chant grégorien وفى إثيوبيا مثلا ، يوجد اصطلاح موسيقى مشابه لذلك . فإن رئيس المرتلين يبدأ الصوت بالحروف التى تذكر بالحروف المقطعة فى القرآن أو (AOI) فى نشيد رولان .

ويؤيد رأى المسيو بلانشو أن ﴿الم﴾ وأخواتها تنطق هكذا عند الترتيل (ألف . لام . ميم) فهى ليست رمزا كتابيا ، ولكنها رموز صوتية .

ومن المحتمل أن تكون تقاليد الترتيل فى القرآن سارت فى طريق كان معروفا عند أهل الجاهلية . ومن الواضح أن القرآن لم يكن همه أن يخالف الجاهليين فى كل شئ حتى فى الأصوات الموسيقية . فليس بمستبعد أن تكون فواتح السور إشارات صوتية لتوجيه الترتيل ، وأن تكون متابعة لبعض ترانيم الجاهليين .

واستطرد د. زكى مبارك يقول : ونحن - مع اعتدادنا بقيمة هذا رأى - نرى من أسباب ضعفه أن المفسرين لم يعطوه ما يستحق من العناية ، مع تطوعهم بعرض كثير من الفروض . ولو أنه كان معروفا فى الصدر الأول لما تعرض لمثل هذا الإغفال .

ومن يدرى فلعل دراسة أصول الموسيقى فى الكنائس الحبشية والشامية فى العهد الذى سبق الإسلام تعود على هذا رأى بشئ من التوضيح والتحديد . وإلى أن تظهر هذه الدراسة ، نقف أمام هذا رأى بين الشك واليقين ^(١) .

وعقب محمد صبيح على كلام د. زكى مبارك فقال : ونحن نتفق مع د. زكى مبارك فى أن لهذا رأى قيمته . ولكنه لم يهمل إهمالا كما قال ، إذ يقرب منه ما ذكر من أن هذه الحروف كانت تنبيهها من الوحي بقرب نزول القرآن ، أى

أنها أصوات كان النبي يسمعها في باطنه ، ثم يرى نفسه قد جاشت بمعاني القرآن وألفاظه . فإذا أضفنا إلى هذا ما ذكره الزمخشري من أنه أريد بها تنبيه الأذهان وقرعها قبل ابتداء قراءة السور ، كان القول قريبا من الصواب . وقد يكمله مانقل السيوطي من أنه أريد مفاجأة العرب برموز وإشارات لا عهد لهم بها ليزداد التفاتهم ، وتنبه آذانهم ونفوسهم ^(١) .

وأعلن عبد الوهاب حمودة أن بعض العلماء يرى فيها أنها رموز صوتية ، وإشارات موسيقية ، لأن القرآن نزل ليُرثَل ويُتلى . وقد كانت الموسيقى القديمة بسيطة يُشار إلى ألحانها بحرف أو حرفين أو ثلاثة ، تقابل في عصرنا الحاضر ما يعرف في النوتة بمفتاح صُل ...

وقد عددت القافات التي وردت في سورة ق ، فوجدتها (٥٧) مع أن آياتها (٤٥) . وفي سورة ن قد تكرر هذا الحرف فيها (١٢٤) مرة ، وآياتها (٥٢) . وجميع فواصل هذه الآيات تنتهي بهذا الحرف ، وهو (ن) ، إلا عشر آيات تنتهي بالحرف (م) . وهذان الحرفان متقاربان موسيقيا ، إذ هما حرفا الغنة التي تخرج من الخيشوم .

فافتتاح السور بالحرف إعلان بلون الموسيقى الشائعة فيها ، وإعلان بصوت الحرف المتكرر في ثناياها ، لتذوق الأذن الانسجام الموسيقي ، وتستعذب الائتلاف الصوتي ، ويزداد الترتيل عذوبة والقراءة حلاوة ^(٢) .

ووصف نعيم الحمصى الحروف بأنها كالمفتاح الموسيقي للآيات التي بعدها ^(٣) .

وعَدَّ عدنان زرزور الحروف من النظم القرآني البديع ، الذي يمكن التعبير عنه من خلال النقاط التالية :

(١) القرآن ١٠٣ .

(٢) مقاله ٤٦ . رسالة ٧٧/١ . حمادة ١٦٦ . زرزور ١٤٨ . الدباغ ٥٦ .

(٣) فكرة ٢٩ . فقيهي ١٨٦ .

١ - العلاقة الموسيقية بين هذه الحروف وبين فواصل الآيات التي تليها ، بحيث تقوم هذه الفواتح مقام الافتتاحيات التمهيدية في المقطوعات الموسيقية :

(أ) فهناك تمهيد بتمائل الروى نحو قوله تعالى فى سورة آل عمران :
ألف لام ميم .

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ .

(ب) وهناك تمهيد بالتقارب نحو قوله فى سورة البقرة :

ألف لام ميم .

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

(ج) وهناك أيضا التمهيد الناشئ عن التناغم فى المدود المردفة ، نحو قوله فى سورة ص :

﴿ صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾

﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ .

٢ - دلالة هذه الحروف على معانيها اللغوية من جهة ، وكثرة دورانها فى السور التى صدرت بها من جهة أخرى ، بالإضافة إلى ملاحظة الفواصل بوجه عام .

٣ - لعل هذه الدلالة وذلك التمهيد الموسيقى هما مصدر الإيحاء الفنى أو الشعورى الذى يحسه القارئ لهذه الحروف فى السور القرآنية ^(١) .

وفطن محمود بن عمر الزمخشري إلى أن الحروف المقطعة تفوق بقية الحروف فى كثرة دورانها فى الكلام ^(٢) . واستدل على ذلك بأن الألف واللام لما تكاثرا وقوعهما فيها جاءتا فى معظم هذه الفواتح ^(٣) .

(١) القرآن ١٤٦ - ١٤٨ . وانظر مناسبة الحروف .

(٢) الكشف ١٠٣/١ . النسخ ١٠/١ . ابن كثير ٣٣/١ . البيضاوى ١٣/١ . الزركشى ١٦٦/١ . الشوكانى ٣٠/١ . حمودة ٧٥/١ . اسماعيل ٢٦٨ . حمادة ١٦٣ . العمرى ١٠٩ .

(٣) الكشف ١٠٣/١ - ١٠٤ . الزركشى ١٦٦/١ . النيسابورى ١٣٧/١ . الشربى ١٥/١ .

الشوكانى ٣٠/١ . حمودة ٧٥/١ . العمرى ١٠٩ .

وصرح د. صبحى الصالح : أكثر الحروف ورودا فيها : الألف واللام ، ثم الميم ثم الحاء ثم الراء ثم السين ثم الطاء ثم الصاد ثم الهاء والياء والعين والقاف ، وأخيرا الكاف والنون ^(١) .

ترهيبية

ذكر محمد أحمد عرفة أن د. طه حسين نقل عن بعض المستشرقين أن هذه الحروف ربما قصد بها التعمية ، أو التهويل ، أو إظهار القرآن فى مظهر عميق مخيف ^(٢) .

وذكر د. غلاب أن بعض المؤولين استنتج مما شعر به عتبة بن خلف من رعب وإجلال عندما تلا عليه النبى (حم) إلى قوله : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ ، استنتجوا من هذه الحادثة ومثيلاتها أن الفواتح قد أتت بها على تلك الصورة الغامضة قصد الترهيب لا أكثر ولا أقل .

ثم فند هذا الاستنتاج ، ورآه نظرة سطحية وأقفا ضيقا ، إذ إن هذا التخريج - وإن كان قد صدر عن مسلم حسن النية - يُشعر بإرادة التهويل بل التمويه الذى لا يليق بذى الجلال والإكرام . وإنما الحقيقة هى أن تلك الفواتح قد اشتملت على أسرار هائلة ، ومخبوءات رهيبية فى ذاتها . وما اشتمل على الرهيب صح به الترهيب ^(٣) ؟

خارجية

نقل ابن عطية عن قوم أنهم قالوا : الحروف أمانة قد كان الله جعلها لأهل الكتاب أنه سينزل على محمد كتابا فى أول سورة منه حروف مقطعة ^(٤) .

(١) مباحث ٢٣٥ .

(٢) نقض ٧٩ . عائشة ١٢٩ . أبو شهبه ٢٤٨ ، ٢٥٠ . قمحاوى ٥٧ ، ٧١ .

(٣) نظرات ٣٦ .

(٤) المحرر ١٣٨/١ .

ونقل محمد أحمد عرفة عن جرجيس سايل أنه قال بعد أن استعرض بعض أقوال المفسرين المسلمين : عندى أن لما فسرها به أحد علماء النصارى وجها لعله أدنى إلى الإصابة من تفسيرهم . فقد حدس أنها أحرف وضعها كتاب محمد برأس السور اختصارا من قولهم : أوعز إليّ محمد . وذلك على حد ماوضع بعض كتابه من اليهود (كهيعص) برأس سورة مريم ، اختصارا من قوله بالعبرانية « لُ يَعْصُ » أى هكذا الأمر .

وزاد الزرقانى الأمر وضوحا حين أبان أن الدعوى كانت تزعم أن هذه الألفاظ من وضع كتبة محمد من اليهود ، تنبيها على انقطاع كلام واستئناف آخر ، ومعناها « أوعز إليّ محمد » أو « أمرنى محمد » يشيرون بذلك إلى براءتهم من الإيمان بما يأمرهم بكتابته ^(١) .

وسار لوث Loth على درب سايل ^(٢) .

وأعلن تيودور نولدكه Noldeke فى الطبعة الأولى من « تاريخ القرآن » - التى شاركه فى إصدارها شفالى Schvally سنة ١٩١٩ - أعلن أن هذه الحروف دخيلة على نص القرآن ، وإنما هى حروف أولى أو أخيرة أخذت من أسماء الصحابة الذين كانت عندهم نسخ من سور قرآنية معينة فالسين من سعد بن أبى وقاص ، والميم من المغيرة بن شعبة ، والنون من عثمان بن عفان ، والهاء من أبى هريرة ، وهكذا . وإذن فهى ليست إلا إشارات لملكية الصحف التى كانت هذه السور فيها ، تُركت فى مواضعها بدافع النسيان أو الإهمال أو عدم اليقظة ثم صارت على مر الزمن قرآنا ^(٣) .

(١) مناهل ٢١٨/١ .

(٢) قمحاوى ٧١ . غلاب ٤١ - ٤٢ .

(٣) نقض ٧٩ . المنار ١٢/١١ (حاشية) . الصالح ٢٤١ - ٢٤٢ . عبد التواب ١٧٥ . غلاب

٤٢ . شرف ٥٣ .

وقد انقسم المستشرقون على أنفسهم . فكان منهم من تابع نولدكه مثل هرشفلد Hirschfeld وبوهل Buhl . ومنهم من أحس بخطئه مثل شريكه فى الكتاب الذى حذف قوله من الطبعة الثانية منه . واستبعد ريجيس بلاشير Blachere ولوث Loth وبوير Bauer أن يدخل المؤمنون - وهم من هم ورعا وتقى - عناصر غير قرآنية فى الكتاب المنزل ، الذى لا يزيد عليه مالىس منه إلا ضعيف الإيمان قليل اليقين ^(١) .

وذكر محمد أحمد عرفه أن د. طه حسين شك فى هذه الأقوال لأن ثبوت أحدها ينفى الآخر . فكونها قُصد بها التهويل أو التعمية .. يقتضى أن الرسول نطق بها ، وأنها كانت فى عهده ؛ وكونها رموزا .. يقتضى أنها لم ينطق الرسول بها . ولا كانت فى زمنه ^(٢) .

ورمى محمد عرفة قائل هذا القول بأنه كان جاهلا أن هذه الأحرف كانت مقروءة ومحفوظة ومكتوبة فى سورها قبل كتابة المصاحف المتعددة فى خلافة عثمان . ولو علم أن الصحابة والتابعين كانوا يتشددون فى تجريد المصحف من كل مالىس قرآنا حتى إنهم امتنعوا من العُجم [: نقط الحروف] والشكل وكتابة أسماء السور ، لاستحيا من أن يقول هذا القول ^(٣) .

ونقض الزرقانى هذه الافتراءات بمايلي :

- ١ - لم يكن للرسول ﷺ - كنية من اليهود أبدا . وهاهو التاريخ حاكم عدل لا يرحم ولا يحايى ، فليسألوه إن كانوا صادقين .
- ٢ - لا دليل لهم على أن فواتح هذه السور تستعمل فى تلك المعانى التى زعموها ، لا عند اليهود ولا عند غيرهم فى أية لغة من لغات البشر .
- ٣ - لم يعرف عن اليهود الطعن فى القرآن بمثل هذا القول . ولو كان هذا

(١) الصالح ٢٤١ - ٢٤٢ . غلاب ٤٢ . شرف ٥٣ - ٥٤ .

(٢) نقض ٧٩ .

(٣) نقض ٧٩ - ٨٠ .

مطعنا عندهم لكانوا أول الناس جهرا به ، لأنهم كانوا أشد الناس عداوة للنبي - ﷺ - والمسلمين ^(١) .

ووصم د. صبحي الصالح هذا القول بأنه أغرب ما في هذا الباب ، وأبعده عن الحق والصواب ^(٢) .

ورأى د. عبد التواب الرد على هذا الرأي في منتهى البساطة . فإن مالكي النسخ التي استخدمها فيما بعد زيد بن ثابت لجمع القرآن في مصحف واحد : لو أنهم كانوا قد كتبوا حقا اختصارا لأسمائهم على النسخ التي كانوا يملكونها ، فإن المعقول أنهم كانوا يضعون ذلك على رأس النسخة ، قبل النص ، وقبل البسملة التي توجد على رأس السورة . فمن الذي نقل هذه الرموز من أماكنها ، قبل البسملة إلى أماكنها الحالية بعد البسملة ؟ إننا لانقبل القول الذي يقول بأن زيد بن ثابت أضاف هذه الرموز إلى النص سهوا منه ، أو لمجرد أنه رآها مكتوبة في بعض النسخ ، فإن الروايات تذكر أنهم لم يكونوا يكتفون في جمع القرآن بنص مكتوب في الصحف ، بل لابد أن يكون هناك حافظان - على الأقل - لمثل هذا النص . هذا إلى أننا نملك روايتين مختلفتين تدلان على أن هذه الرموز من نصوص الوحي ، نطق بها النبي - ﷺ - . وهذا يهدم الرأي القائل إنها اختصارات وضعت فيما بعد ^(٣) .

وأولى الروايتين ذكرها ابن هشام في سيرته المشهورة (ص ١٨٥) ، قال :

« قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيدا - قال يوما ، وهو جالس في نادي قریش ، والنبي عليه السلام جالس في المسجد وحده : يامعشر قریش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه ، وأعرض عليه أمورا ، لعله يقبل بعضها ، فنعطيه أيها شاء ،

(١) مناهل ٢١٩/١ .

(٢) مباحث ٢٤١ . شرف ٥٤ .

(٣) حول ١٧٦ .

ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله - ﷺ - يزيدون ويكثرون ، فقالوا : بلى ، يا أبا الوليد ، فقم إليه فكلمه . فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله - ﷺ ، فقال : يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة ، والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أمورا لتتظر فيها ، لعلك تقبل منا بعضها . قال : فقال له رسول الله - ﷺ : قل يا أبا الوليد أسمع . قال : يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد ملكا ، ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رثيا نراه ، لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا ، حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه - أو كما قال له - حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله - ﷺ ، يستمع منه ، قال : أقدر فرغت ، يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال : فاسمع مني ، قال : أفعل : قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿ حَمْدُ ٱللَّهِ ٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ ٢ ﴾ كَتَبْتُ فُصِّلْتُ ءَايَتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿ ٣ ﴾ . ثم مضى رسول الله - ﷺ - فيها يقرؤها عليه . فلما سمعها عتبة منه أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه . ثم انتهى رسول الله - ﷺ - إلى السجدة منها فسجد ، ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك . فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به . فلما جلس إليهم ، قالوا له : ماوراءك يا أبا الوليد . قال : ورائي أنى سمعت قولاً ، والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا الكهانة . يامعشر قريش أطيعونى ، واجعلوها بى . خلوا بين هذا الرجل ، وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ؛ فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كُفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب ، فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به .

قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم .»

فقرأة النبي - ﷺ - للفظ « حم » فى هذه الرواية يدل على أنه من الوحي .
والرواية الثانية ، حديث رواه أحمد بن حنبل ، رضى الله عنه ، فى كتابه المسند ج ١ ص ١٠٨ حديث ٦٥٧٥ ، قال : « حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا سعيد ، حدثنى عياش بن عباس بن هلال الصدفى ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : أتى رجل رسول الله ﷺ ، فقال : أقرئنى يارسول الله . قال له : اقرأ ثلاثاً من ذات (الر) ، فقال الرجل : كبرت سننى ، واشتد قلبى ، وغلظ لسانى ، قال : فاقراً من ذات (حم) ، فقال مثل مقالته الأولى ، فقال : اقرأ ثلاثاً من المسبحات ، فقال مثل مقالته : ثم قال الرجل : ولكن أقرئنى يارسول الله سورة جامعة ، فأقرأه (إذا زلزلت الأرض) حتى إذا فرغ منها قال الرجل : والذى بعثك بالحق ، لا أزيد عليها أبداً ، ثم أدير الرجل ، فقال الرسول - ﷺ : أفلح الرويجل ، أفلح الرويجل ... !
وهذا الحديث صحيح الإسناد ، ويدل قوله - ﷺ : « ثلاثاً من ذات الر » أى ثلاث سور من السور التى تذكر فيها كلمة « الر » ، وكذلك قوله : « من ذات حم » على أن هذه الرموز ، وأمثالها من الوحي .

وقال د. محمد غلاب : مارأى الرأى ذلك إلا لأنه - لفرط جهله وسطحيته - يتصور أن السور التى بدئت بالفواتح مدنية ، خضع فيها الرسول لتأثير اليهود . وقد فاته أن سبعا وعشرين سورة من تلك السور التسع والعشرين مكية ، وليس بينها من السور المدنية سوى اثنتين ، ولكنه الجهل ، وكفى بذلك وبالا (١) .

وأنكر محمد الصادق قمحاوى هذا القول اعتماداً على أن كتبة الوحي مشهورون غاية الشهرة ، وهم جميعاً من أجلاء الصحابة ، ولم يكن منهم أحد من اليهود .

ومع ذلك رضى عن قول بعضهم : إن هذه الحروف ليست بدعا فى القرآن ، ولا نزلت هملا فيه ، وإنما جاءت موافقة لبعض اصطلاحات اليهود والنصارى فى كتبهم . وقديما كان استعمال الرموز فى أهل الديانات . والكتب السماوية تصرح تارة وترمز أخرى . والرموز والإشارة من المقاصد السامية ، والمعانى والمغازى الشريفة . والقرآن كتاب سماوى جاء بما جاءت به الكتب قبله . فكيف يعجبون من وجود تلك الحروف فيه ، وهى موجودة فى كتبهم . على أن النسبة بين الرموز التى فى فواتح السور ورموز الجمل عند اليهود والنصارى نسبة ضئيلة جدا ^(١) .

* * *

(١) مناهل ٢٢٢/١ - ٢٢٣ . شيهات ٧١ - ٧٣ .

البرهنة على صدق محمد

أشار كثيرون - فى أثناء حديثهم عن الجوانب المتعددة للحروف المقطعة - إلى صدورها من أمى ، متعجبين من ذلك ، غير أنها إشارات سريعة ، وإنما أقف عند من أطال وركز النظر .

صرح الزمخشري ومن تبعه بأن النطق بالحروف أنفسها معتاد لكل أحد ، يستوى فيه الأميون وغيرهم ، بخلاف النطق بأسماء الحروف ، لأنه يختص به من خط وقرأ . فلما أخبر محمد - ﷺ - بها فى أوائل السور ، من غير سبق تعلم ، كان دليلا على أنه استفاد ذلك من الوحي ، وشاهدا بصحة نبوته ^(١) .

واتجه أبو السعود فى التعبير عن هذه الفكرة اتجاها خاصا تبعه فيه غيره ، قال : ليكون مطلع مايتلى عليهم مستقبلا بضرب من الغرابة ، أنموذجا لما فى الباقي من فنون الإعجاز . فإن النطق بأنفس الحروف فى تضاعيف الكلام - وإن كان على طرف الثمام ، يتناوله الخواص والعوام ، من الأعراب والأعجم - لكن التلفظ بأسمائها إنما يتأتى ممن درس وخط ، وأما ممن لم يحم حول ذلك قط ، فأعز من بيض الأنوق ، وأبعد من مناط العيوق . لاسيما إذا كان على نمط عجيب وأسلوب غريب ، منبىء عن سر سرى ، مبنى على نهج عبقرى ، بحيث يحار فى فهمه أرباب العقول ، ويعجز عن إدراكه ألباب الفحول ^(٢) .

واكتفى حسن البنا بأن ذكر أن نطق محمد - ﷺ - الذى كانوا يعلمون أنه أمى لم يقرأ ولم يكتب - نطقه بهذه الحروف على الهيئة التى لا يحذفها إلا القراء والكتابون أمر يستدعى الانتباه ويستلقت النظر ^(٣) .

* * *

(١) الكشف ٩٩/١ - ١٠٠ . الرازى ٧/٢ . النسفى ٩/١ . البيضاوى ١٢/١ . النيسابورى ١٣٧/١ . الزرقانى ٢٢٢/١ ، ٢٢٥ .

(٢) إرشاد ٢٥/١ . الآلوسى ١٠٣/١ . إسماعيل ٢٦٦ .

(٣) أحمد عادل ١١٠ .

الإشارة إلى فضل الكتابة

ذكر أحمد عادل كمال أن حسن البنا وصف ثلاثة آراء في تفسير الحروف بأنها أحقها بالنظر والتقدير ، وكان آخر هذه الثلاثة : أنها إشارة إلى فضل الكتابة وسمو منزلتها ، والتفاؤل بأنه - كما كانت معرفة البشر للكتابة إيذانا بانتقالهم من طور إلى طور في مدارج الرقى والكمال - فكذلك الاهتداء بهذه الرسالة سيكون انتقالا جديدا إلى درجة أعلى وأكمل في مدارج الحضارة الإنسانية والرقى الاجتماعي .

وقد جاء القرآن حريصا على إبراز هذا المعنى ، حتى كانت أول سورة أنزلت منه في أرجح الأقوال : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ (٢) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [سورة العلق : ١ : ٥] (١) .

* * *

الدلالة على عدد آيات السورة

نقل عبد الوهاب حمودة عن نصوح طاهر الفلسطيني :

أنه رأى أن القيم العددية لتلك الحروف إنما يقصد منها الدلالة على عدد آيات السور التي جاءت الحروف في أوائلها .

ورد عليه محمد على الهندي بأنه لو صح هذا الاتجاه ، لكان - بلا شك - تفسيراً مقنعاً لتبيان القيمة العددية لهذه الأحرف ، غير أن الفلسطيني كان مخطئاً في هذا الرأي ، لأن تطبيقه لا يصدق حتى في سورة واحدة من التسع والعشرين . فبينما نجد سورة كسورة البقرة قيمة حروفها الافتتاحية بحساب الجمل (٧١) إذاً بمجموع آياتها (٢٨٦) ، وسورة الرعد قيمة حروفها الافتتاحية (٣٧١) وهي لا تشتمل إلا على (٤٣) آية .

ووصم الهندي الفلسطيني بأن نظريته أجبرته على أن يتدع تريباً جديداً لآيات القرآن ، ويضع في كل سورة عدداً من الآيات يوافق قيمة حروفها ، فامتدت يده بالغلط والتشويه والاضطراب لكتاب مقدس ، لم يستطع ألد أعدائه ، وأشد النقاد لنصه ، أن يدعوا فيه شيئاً من ذلك ^(١) .

حساب الجمل

ذكر الطبري أن بعضهم ذهب إلى أن الحروف المقطعة حروف من حساب الجمل ، فإننا لا نعرف لهذه الحروف معنى يُفهم سوى حساب الجمل ، وغير جائز أن يخاطب الله عباده إلا بما يفهمون ويعقلون عنه ^(١) .

وروى عن ابن عباس وجابر بن عبد الله بن رثاب قالا : مرَّ أبو ياسر بن أخطب برسول الله - ﷺ - وهو يتلو فاتحة سورة البقرة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ فِيهِ﴾ . فأتى أخاه حُصَي بن أخطب من يهود فقال : تعلمون ، والله : لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل الله عليه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ فِيهِ﴾ . فقالوا : أنت سمعته ؟ قال : نعم . فمشى حصى بن أخطب في أولئك النفر من يهود إلى رسول الله - ﷺ - فقالوا : يا محمد ، ألم يُذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل عليك ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ فِيهِ﴾ ؟ فقال رسول الله - ﷺ - : بلى . فقالوا : أجاءك بهذا جبريل من عند الله ؟ قال : نعم . قالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء ، مانعهم من أن يأتوا منكم : ما مدة ملكه وما أكل أمته غيرك . وقال حصى بن أخطب ، وأقبل على من كان معه فقال لهم : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه إحدى وسبعون سنة . أفتدخلون في دين نبي إنما مدة ملكه وأكل أمته إحدى وسبعون سنة ؟ ثم أقبل على رسول الله - ﷺ - فقال : يا محمد : هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم . قال : ماذا ؟ قال : ﴿المص﴾ قال : هذه أثقل وأطول ، فهذه مئة وإحدى وستون سنة . هل مع هذا - يا محمد - غيره ؟ قال : نعم . قال : ماذا ؟ قال : ﴿المر﴾ . قال : هذه - والله - أثقل وأطول ، فهذه إحدى وثلاثون ومئتا سنة . قال : هل مع هذا غيره ، يا محمد ؟ قال : نعم ، ﴿المر﴾ . قال : فهذه - والله - أثقل وأطول ، فهذه إحدى وسبعون ومئتا سنة . ثم قال : لقد بُس علينا

(١) ابن هشام ١٧٠/٢ . جامع ٧١/١ - ٧٢ . ابن عطية ١٣٩/١ . الرازي ٧/٢ . النيسابوري ١٢١/١ - ١٢٢ . الإقناع ١٢/٢ . الشوكاني ٣١/١ . المنار ١٢٢/١ - ١٢٣ . الزرقاني ٢٢٤/١ . شرف ٤٢ . عائشة ١٣١ - ١٣٢ . حمادة ١٦١ - ١٦٢ . شرف ٣٤ - ٣٦ . أبو زيد ٢١٣ - ٢١٤ .

أمرك - يامحمد - حتى ماندرى أقليلا أعطيت أم كثيرا . ثم قاموا عنه . فقال أبو ياسر لأخيه حبي ومن معه من الأخبار : مايدريكم ، لعله قد جُمع هذا كله لمحمد . وعلق الرازي على حساب الجمل بأنه عادة معلومة عند الناس ^(١) .

وذكر الطبري عن ابن عباس أنه كان يقرأها ﴿ حم سق ﴾ بغير عين ويقول : إن السنين عمر كل فئة كانت ، والقاف كل جماعة كائنة ، ويقول : إن عليًا إنما كان يعلم العين بها ^(٢) .

ونسب ابن عطية هذا القول إلى أبي العالية (٧٠٩/٩٠) ^(٣) والطبري إلى الربيع بن أنس (٧٥٧/١٤٠) ^(٤) والطبرسي إلى مقاتل بن سليمان (١٥٠/٧٦٧) ^(٥) . والحق إنهم يروونه عن ابن عباس .

وأتى به دون أن ينسبه إلى أحد الطبرسي وابن جزى وغيرهما ^(٦) . وأعجب ابن فارس بهذا القول ، وعدّه قولاً حسناً لطيفاً ، لأن الله أنزل على نبيه الفرقان ، فلم يدعْ نظماً عجيباً ولا علماً نافعا إلا أودعه إياه ، عَلِمَ ذلك من علمه ، وجهله من جهله ^(٧) .

ولما كان قد شاع بين المسلمين أن هذه الحروف تدل على مدة بقاء أمة الإسلام ، فقد تصدى لحسابها كثيرون . فوصل مقاتل بن سليمان إلى أنها - بإسقاط المكرر منها : سبع مئة وأربع وأربعون سنة ^(٨) .

(١) مفاتيح ٩/٢ .

(٢) جامع ٥/٢٥ . النيسابوري ٢٢/٢٥ .

(٣) المحرر ١٣٩/١ . الرازي ٦/٢ . ابن كثير ٣٦/١ . البيضاوي ١٣/١ . الإتيقان ١٢/٢ .

غلاب ٣٨ . عبد التواب ١٧١ - ١٧٢ .

(٤) جامع ٦٨/١ . القرطبي ٨٨/١٣ . الزركشي ١٧٤/١ . غلاب ٣٨ .

(٥) مجمع ٣٣/١ .

(٦) مجمع ٣٣/١ . التسهيل ٦٠/١ . الزركشي ١٧٤/١ - ١٧٥ . أبو السعود ٢٤/١ .

قمحاوي ٧٢ . حمادة ١٦٦ . العمري ١١٦ . أبو زيد ٢١٩ .

(٧) الزركشي ١٤٧/١ .

(٨) الطبرسي ٣٣/١ .

وقال على بن فضال المجاشعي النحوى : حسبت هذه الحروف التى ذكرها مقاتل ، فبلغت ثلاثة آلاف وخمسا وستين . فحذفت المكررات فبقى ست مئة وثلاث وتسعون ^(١) . وأيده الطبرسى ^(٢) .

وحسبها عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي على ترتيب المغاربة للحروف ، فبلغ مجموعها تسع مئة وثلاثة ^(٣) .

وذكروا أن أبا الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن المعروف بابن برجان استخرج فى تفسيره فتح بيت المقدس واستنقاذه من العدو ، سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، من قوله تعالى : ﴿ الم غلبت الروم ﴾ ^(٤) .

وذكر الآلوسى عن العز بن عبد السلام أن على بن أبى طالب استخرج حروبه مع معاوية ، من قوله تعالى : ﴿ حم عسق ﴾ ^(٥) .

وأغرب ابن أبى الإصبع وأطال ، فأتى بأشياء شتى ، قال مثلا : ﴿ ق ﴾ لها من العدد الحسابى مئة ، وهذا العدد يشير إلى أسماء الله ، وهى تسعة وتسعون ورد بها حديث الترمذى ، وتماها اسمه الأعظم المكنون فى غيبه ، الذى لا يختص به إلا أكرم عباده عليه فى وقته . فكأنه - سبحانه - أقسم بأسمائه التى أشار إليها فى هذه الفاتحة .

وأما ﴿ ص ﴾ فلها من العدد تسعون . وإذا تحلل هذا العدد كان خمس عشرة سنة . وعددها يدل على جميع أمور العالم بأسره . وهى : الأفلاك التسعة والنيران والدرارى الخمسة والعناصر الأربعة

(١) نفسه .

(٢) نفسه .

(٣) ابن خلدون ٨٢٥ بعد التصويب الذى أجراه نصر الهورينى .

(٤) الزركشى ١٧٥/١ . الإتيان ١٢/٢ . الآلوسى ١٠٢/١ - ١٠٣ . الصالح ٢٣٧ . العمرى

١١٣ .

(٥) روح ١٠٢/١ .

والمولدات الثلاث
والجهات الست
والأقاليم السبعة
ومنازل القمر الثمانية والعشرون
والبروج الاثنا عشر
والليالي السبع
والأيام السبع
وجملة ذلك تسعون ^(١) .

وأما ﴿ ن ﴾ فلها من العدد الحسابي خمسون . وإذا تحللت كانت عشر
خمسات ، وهى تشير إلى جميع الأمور الأخروية : وهى ملك الموت ، ومنكر
ونكير ، والكتاب ، والحساب ، والميزان ، والصراط ، والجنة والنار ، وأبوابهما ،
ورضوان ، ومالك ، وخزنة النار ، والثواب ، والعقاب ، والحسنات ، والسيئات .
ومجموع ذلك خمسون ^(٢) .

ولكن عددا كبيرا من العلماء رفض هذا التفسير ^(٣) .
فأعلن الطبرى أنه كره أن يصرح باسم من حكى هذا التفسير عنه - ابن عباس
- ووصف رواته بأنهم لا يعتمد على روايتهم ونقلهم ^(٤) .
ورمى ابن كثير من زعم بأن هذه الحروف دالة على معرفة المدد ، ويستخرج
منها أوقات الحوادث والفتن والملاحم ، بأنه قد ادعى ما ليس له ، وطار فى غير
مطاره . ووصف خبر اليهود بأنه حديث ضعيف ، وهو أدل على بطلان هذا
المسلك ^(٥) .

(١) الخواطر ١٠٧ .

(٢) الخواطر ١٠٨ وبعدها إلى ١٣٥ .

(٣) انظر مع من ذكرت : المنار ١/ ١٠٣ . الرافعى ١٣٩ - ١٤٠ . الصالح ٢٣٧ . عائشة
١٣٣ ، ١٣٧ . أبو زيد ٢١٤ - ٢١٥ .

(٤) جامع ٦٨/١ . عبد التواب ١٧٢ .

(٥) ابن كثير ٣٨/١ . عائشة ١٣٣ . حمادة ١٦٢ .

وقال ابن خلدون : لا يقوم من القصة دليل على تقدير الملة بهذا العدد ، لأن دلالة هذه الحروف على الأعداد ليست طبيعية ولا عقلية ، وإنما هي بالتواضع والاصطلاح . نعم ، إنه قديم مشهور ، وقدم الاصطلاح لا يصير حجة .

وليس أبو ياسر وأخوه حيي ممن يؤخذ رأيه في ذلك دليلاً ، ولا من علماء اليهود ، لأنهم كانوا بادية الحجاز ، غُفلاً من الصنائع والعلوم ، حتى عن علم شريعتهم وفقه كتابهم وملتهم . وإنما يتلقفون مثل هذا الحساب كما تتلقفه العوام في كل ملة ^(١) .

ونقل السيوطي عن أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني أنه قال : هذا باطل لا يعتمد عليه ، فقد ثبت عن ابن عباس الزجر عن عد « أبي جاد » [: حساب الحمل] ، والإشارة إلى أن ذلك من جملة السحر . وليس ذلك بعيد ، فإنه لا أصل له في الشريعة ^(٢) .

وقال رشيد رضا : لا يزال يوجد في الناس - حتى علماء التاريخ واللغات منهم - من يرى أن في هذه الحروف رموزاً إلى بعض الحقائق الدينية والتاريخية ستظهره الأيام .

وأجمل رأيه في هذا الاتجاه وما يدعمه من أحاديث فقال : أضعف ما قيل في هذه الحروف وأسخفه أن المراد بها الإشارة بأعدادها في حساب الجمل إلى مدة هذه الأمة أو ما يشابه ذلك . وروى ابن إسحاق حديثاً في ذلك عن بعض اليهود عن النبي ، وهو ضعيف من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله ^(٣) .

وقال محمد علي الهندي : هذا التأويل ظاهر الخطأ ، واضح النقص والبعد عن الصواب . فإن القيم العددية نفسها أمر مبهم لا يؤدي إلى كشف عن معنى .

(١) المقدمة ٨٢٦ .

(٢) معترك ١٥٦/١ الإتيان ١٢/٢ . الصالح ٢٣٧ - ٢٣٨ . عبد التواب ١٧٢ . عائشة

١٣٢ . العمري ١١٣ .

(٣) المنار ١٠٣/١ ، ١٢٣ .

ونحن إذا سلمنا بصفة هذا الرأي فرضا ، فتنطبقه لا يمكن إلا في سورة واحدة من التسع والعشرين . فمثلا يقول أصحاب هذا الرأي : إن ﴿الم﴾ التي بدئت بها سورة آل عمران مجموع حروفها في حساب الجمل (٧١) ، وهى تشير بذلك إلى السنة التى يبلغ فيها الخليفة يزيد بن معاوية قوته التى فيها يتحول مجرى التاريخ . فإذا أردنا تطبيق هذا الرأي على بقية السور لانجده يستقيم معنا ، ولا تسلم لنا النظرية . لهذا لا نستطيع أن نقول إن هذا تأويل وتفسير لهذه الافتتاحات (١) .

أقول : يحسن - قبل أن نستمر - أن نصحح اسم الخليفة إلى عبد الملك بن مروان ، الذى تولى سنة ٦٥ ، أما يزيد فقد مات سنة ٦٤ .

وأضاف د. عبد التواب إلى ماسبق من نقد أن حساب الجمل لم يكن معروفا لدى العرب ، وإنما يتبع هجاء الحروف العربية ترتيبا آخر نعرفه جميعا [الألفبائى] . ويمكن أن تعزى هذه الطريقة فى الحساب إلى الفينيقيين والعبريين والسيان ، الذين تتبعه حروف هجائهم فى ترتيبها .

ولا أتفق معه ، لأن الترتيب الألفبائى لم يوجد عند العرب إلا فى العهد الأموى بعد نقط الحروف للتمييز بينها ، وأما الترتيب فكان الترتيب الأبجدي الموجود عند جميع الساميين ، وانتقل منهم إلى الشعوب الأوربية .

وقال د. فاروق حمادة عن خبر اليهود : فهذا الحديث مداره على الكلبي عن أبى صالح ، وهذه السلسلة لا يعول عليها ومخصوصة بمزيد التضعيف (٢) . وقال د. عدنان زرور عن حساب الجمل : هو لون من ألوان الرجم بالغيب ، استنبط منه بعضهم زمان وقوع بعض الحوادث ، أو الدلالة على كرامة رجل بعينه وطائفة بعينها ، مما لاتدل عليه هذه الحروف بأصل الوضع اللغوى . وربما كان ما استنبط منها أو حمل عليها يتعارض مع أبسط القواعد القرآنية نفسها (٣) .

(٢) مدخل ١٦٢ .

(١) رسالة ١٩٧/٢ .

(٣) القرآن ١٤٨ - ١٤٩ .

ويتضح من هذا أن عددًا كبيرًا من العلماء استضعف خبر اليهود ، وشك في رواته ، وأعلن ابن حجر أنه يتناقض مع ماعرف عن ابن عباس ، ورأى الهندي أن حساب الجمل لا يستقيم إلا مع سورة واحدة ، وحتى هذه السورة لا أتفق معه فيها . والتعسف واضح فيما جاء به ابن أبي الإصبع .

* * *

أقسام

عدَّ المفسرون الحروف المقطعة أقساما ، دون أن يبينوا حقيقة هذا الذى أقسم به الله أحيانا ، والإعلان بأنها أسماء لله أحيانا أخرى ، والتصريح بأنها لا يراد بها إلا نفسها أحيانا ثالثة .

نقل القرطبي عن كعب الأحبار أنه قال عن ﴿يَس﴾ : هو قسم أقسم الله به ^(١) .

وذكر غيره أنه قد روى عن ابن عباس أنها أقسام ^(٢) . وكشف ابن الجوزى أن أبا صالح هو الذى روى هذا التفسير عن ابن عباس ^(٣) .

ونسبه الطبرى إلى عكرمة ، يرويه عنه خالد الحذاء ^(٤) ، والطبرى وابن عطية والقرطبي إلى قتادة وعبد الرحمن بن زيد ^(٥) ، والقرطبي إلى الضحاك والحسن البصرى والكلبي ^(٦) .

وأتى به كثيرون دون نسبة إلى أحد ^(٧) .

(١) الجامع ٥/١٥ . الشوكاني ٣/٣٦٠ .

(٢) البغوى ٤٤/١ . الزمخشري ٩١/١ . ابن عطية ١٣٨/١ . الطبرسى ٣٣/١ . ابن الجوزى ٢٠/١ ، ٢٢ . القرطبي ٥/١٥ . النسفى ٩/١ . الخازن ٢٦/١ ، ٢/٤ ، ١٧٤ .

(٣) زاد ٢٢/١ .

(٤) الطبرى ٦٧/١ . القرطبي ٣٠٤/٨ . وانظر ابن الجوزى ٢٠/١ ، ٢٢ . ابن كثير ٣٦/١ .

(٥) جامع ١١/١٩ ، ١١/٢٩ . المحرر ٢٧١/١٢ . الجامع ٣٠٤/٨ ، ٢٢٤/١٨ .

(٦) الجامع ١٥٦/١ ، ٣٠٤/٨ ، ١٤٣/١٥ . العدل ١٣ .

(٧) الفراء ٧٥/٣ . تأويل ابن قتيبة ٢٣٠ - ٢٣٢ . الزمخشري ٣٥٩/٣ . الكرماني ٢١ .

الرازي ١٩٢/٢٧ ، ٢٣٦ ، ٢٥٦ ، ٧٧/٣٠ . القرطبي ٦١/١٦ . الخازن ٣٠/٤ . ابن جزي ٦٠/١ . البيضاوى ١٣/١ . الزركشى ١٧٣/١ . أبو السعود ٢٤/١ . الآلوسى ٢٠٣/١١ . المنار ٢٦٤/٨ . صبيح ١٥٠ . غلاب ٣٨ . شرف ٤٥ . عبد التواب ١٧٤ . إسماعيل ٢٦٥ . العمرى ١١٢ . شحانة ٨٥ . خليف ٨٠ . العدل ١٦ .

وروى الطبرى عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس : ﴿ الم ﴾ قسم أقسم الله به ، وهو من أسمائه . وكذلك فى ﴿ المص ﴾ و ﴿ كَهَيْصَل ﴾ وغيرهما ^(١) .

ونسب بعض الكتاب هذا القول إلى عكرمة والضحاك وقتادة ومحمد بن كعب والسدى ^(٢) . وأتى به بعضهم دون نسبة ^(٣) .

وعلى الأخص الأوسط الحلف بالحروف لذاتها ، فقال : إنما أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها ، لأنها مباني كتبه المنزلة ، ومبادئ أسمائه الحسنی وصفاته العليا وأصول كلام العرب ، بها يتعارفون ويذكرون الله ويوحدونه ^(٤) . واتبعه فى هذا رأى الزركشى ^(٥) ود. عبد الله شحاتة ^(٦) .

وأجاز ابن قتيبة القسم بالحروف المقطعة كلها ، وإنما اقتصر القرآن على ذكر بعضها كما يقول القائل : تعلمت ا ب ت ث ، وهو يريد سائر الحروف ، وكما يقول : قرأت ﴿ الحمد ﴾ ، يريد فاتحة الكتاب ، فيسميها بأول كلماتها ^(٧) . واتفق معه الطبرى فى الدفاع عن القسم بالحروف المقطعة ، فقال : لاشك

(١) جامع ٦٧/١ ، ٨٥/٨ ، ٣٥/١٦ . وانظر ١٠٣/١٦ ، ٣٧/١٩ ، ٨١ ، ٩٧/٢٢ ، ٧٥/٢٣ ، ٢٦/٢٤ ، ٩٣/٢٦ . الطوسى ٤٧/١ . ابن عطية ١٣٨/١ ، ١٤١ . الطبرسى ٣٣/١ . القرطبي ١٦٦/١١ ، ٨٨/١٣ ، ٣/١٥ ، ٥ ، ١٤٣ ، ٢٨٩ ، ١٢/١٧ . الخازن ٢٠٨/٢ ، ٣٩٣/٣ . ابن كثير ٣٦/١ ، الإنقان ١١/٢ ، ١٤ . الشوكاني ٣٢/١ . الألوسى ٧٤/٨ ، ٥٧/١٦ ، ١٤٨ . فودة ٢٧٢ .

(٢) الطبرسى ٣٣/١ . القرطبي ١٤٣/٥/١٥ .

(٣) شرف ٤٥ - ٤٦ . غلاب ٣٨ .

(٤) البغوى ٤٤/١ . تأويل ابن قتيبة ٢٣١ . الطبرسى ٣٣/١ . ابن الجوزى ٢٠/١ . الرازى ٧/٢ ، ٩ ، ١٤٦/٢٨ . القرطبي ١٥٦/١ . الخازن ٢٦/١ . البيضاوى ١٣/١ . أبو السعود ٢٤/١ . الألوسى ٢٠٣/١١ . الزرقانى ٢٢٢/١ . إسماعيل ٢٦٥ . العمرى ١١٢ . شحاتة ٨٥ ، ٨٩ . خليف ٨٠ .

(٥) البرهان ١٧٣/١ . العمرى ١٢ .

(٦) علوم ٨٩ .

(٧) ابن الجوزى ٢٠/١ . الرازى ٧/٢ . الخازن ٢٦/١ . ابن كثير ٣٧/١ .

في صحة معنى القسم بالله وأسمائه وصفاته ، لأن هذه الحروف كانت عنده كذلك ^(١) .

وتحرز الرازي فأعلن أنه قد ثبت أن الحلف لا يصح بهذه الحروف وما مائلها من ظواهر ، بل الحلف بإله هذه الأشياء ، فيكون التقدير : ورب حم ، ورب الكتاب المبين ^(٢) .

ثم أدار حول هذا القسم خمسة مباحث :

الأول : القسم من الله وقع بأمر واحد ، كما في قوله تعالى ﴿ والعصر ﴾ وقوله تعالى ﴿ والنجم ﴾ وبحرف واحد ، كما في قوله تعالى ﴿ ص ﴾ و﴿ ن ﴾ . ووقع بأمرين ، كما في قوله تعالى : ﴿ والضحى والليل إذا سجي ﴾ وفي قوله تعالى ﴿ والسماء والطارق ﴾ وبحرفين ، كما في قوله تعالى ﴿ طه ﴾ و﴿ طس ﴾ ، وبثلاثة أمور ؛ كما في قوله تعالى ﴿ والصفات ، فالزاجرات ، فالتاليات ﴾ وبثلاثة أحرف ، كما في ﴿ الم ﴾ وفي ﴿ طسم ﴾ و﴿ الر ﴾ وبأربعة أمور ، كما في ﴿ الذاريات ﴾ و﴿ البروج ﴾ و﴿ التين ﴾ وبأربعة أحرف ، كما في ﴿ المص ﴾ و﴿ المر ﴾ وبخمسة أمور ، كما في ﴿ الطور ﴾ و﴿ المرسلات ﴾ و﴿ النازعات ﴾ و﴿ الفجر ﴾ وبخمسة أحرف ، كما في ﴿ كهيعص ﴾ و﴿ حمصق ﴾ . ولم يقسم بأكثر من خمسة أشياء إلا في سورة واحدة وهي ﴿ والشمس وضحاها ﴾ ولم يقسم بأكثر من خمسة أصول ، لأنه يجمع كلمة الاستثقال ، ولما استثقل حين ركب لمعنى ، كان استثقالها حين ركب من غير إحاطة العلم بالمعنى أو لا لمعنى كان أشد .

البحث الثاني : عند القسم بالأشياء المعهودة ، ذكر حرف القسم وهي الواو ، فقال : ﴿ والطور ، والنجم ، والشمس ﴾ وعند القسم بالحروف لم يذكر حرف القسم ، لأن القسم لما كان بنفس الحروف كان الحرف مقسما به . فلم يورده في موضع كونه آلة القسم تسوية بين الحروف .

البحث الثالث : أقسم الله بالأشياء : كالتين والطور ، ولم يقسم بأصولها ، وهى الجواهر الفردة والماء والتراب . وأقسم بالحروف من غير تركيب ، لأن الأشياء عنده يركبها على أحسن حالها ، وأما الحروف إن ركبت بمعنى ، يقع الحلف بمعناه لا باللفظ ، كقولنا ﴿ والسماء والأرض ﴾ وإن ركبت لا بمعنى ، كان المفرد أشرف ، فأقسم بمفردات الحروف .

البحث الرابع : أقسم بالحروف فى أول ثمانية وعشرين سورة ، وبالأشياء التى عددها عدد الحروف . وهى غير (والشمس) فى أربع عشرة سورة ، لأن القسم بالأمر غير الحروف وقع فى أوائل السور وفى أثنائها ، كقوله تعالى ﴿ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴾ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿ وقوله تعالى ﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ والقسم بالحروف لم يوجد ولم يحسن إلا فى أوائل السور ، لأن ذكر ما لا يفهم معناه فى أثناء الكلام المنظوم المفهوم يخل بالفهم ، ولما كان القسم بالأشياء له موضعان والقسم بالحروف له موضع واحد جعل القسم بالأشياء فى أوائل السور على نصف القسم بالحروف فى أوائلها .

البحث الخامس : القسم بالحروف وقع فى النصفين جميعاً بل فى كل سبع ، وبالأشياء المعدودة لم يوجد إلا فى النصف الأخير بل لم يوجد إلا فى السبع الأخير غير والصافات ، وذلك لأن القسم بالحروف لم ينفك عن ذكر القرآن أو الكتاب أو التنزيل بعده إلا نادراً . ولما كان جميع القرآن معجزة مؤداة بالحروف وجد ذلك عاماً فى جميع المواضع ولا كذلك القسم بالأشياء المعدودة ^(١) .

وأورد القرطبى اعتراضات على القول بأن هذه الحروف أقسام ثم فندها . فقال : رد بعض العلماء هذا القول فقال : لا يصح أن يكون قسماً لأن القسم معقود على حروف مثل إنَّ وقد ولقد وما ، ولم يوجد هاهنا حرف من هذه الحروف ؟

والجواب أن يقال : موضع القسم قوله تعالى : ﴿ لا ريب فيه ﴾ . فلو أن
 إنسانا حلف فقال : والله : هذا الكتاب لا ريب فيه ، لكان الكلام سديدا ، وتكون
 « لا » جواب القسم . فثبت أن قول الكلبي وما روى عن ابن عباس سديد
 صحيح^(١) .

وعد د. عبد التواب هذا الرأي ليس بشيء ، لأنه فات أصحابه أن القسم له
 أدوات معينة ، مثل الواو والباء وغيرهما ، ولا توجد هنا إحدى هذه الأدوات^(٢) .

* * *

(١) الجامع ١٥٦/١ ، العدل ١٣ - ١٤ .

(٢) حول ١٧٤ .

أَسْمَاءُ اللَّهِ

نقل القرطبي عن عكرمة : قال النبي - ﷺ - : ﴿ حم ﴾ اسم من أسماء الله ، وهي مفاتيح خزائن ربك ^(١) .

ونقل عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس أن الحروف المقطعة في القرآن اسم من أسماء الله ^(٢) .

وروى الطبري عن الربيع بن أنس عن أبي العالية أنه قال في ﴿ كَهَيْعَص ﴾ : ليس منها حرف إلا وهو اسم من أسماء الله ^(٣) . وروى الطبري وابن كثير عن الشعبي : فواتح السور اسم من أسماء الله . ثم قال ابن كثير : وكذلك قال سالم ابن عبد الله وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي ^(٤) . وأضيف إليهم سعيد بن جبيرة والضحاك وقتادة وزيد بن أسلم ومالك بن أنس ^(٥) وابن قتيبة ^(٦) .

وروى الطبري عن فاطمة بنت علي أن أباها كان يقول في دعائه : يا كهيعص اغفر لي ^(٧) .

(١) الجامع ٢٨٩/١٥ .

(٢) الجامع ٧٤/١١ ، ٥/١٥ . وانظر الطبري ٣٥/١٦ . الرازي ٥/٢ . ابن كثير ٧٥/٤ ، ١١٤ ، ٢٣٧ . البيضاوي ١٤/١ . النيسابوري ١٢٠/١ . الإتيقان ١١/٢ . الآلوسي ١٠٣/١ ، ٥٧/١٦ . شرف ٤٠ .

(٣) جامع ٣٥/١٦ .

(٤) الطبري ٦٧/١ . ابن عطية ٥٢٤/١٣ . ابن كثير ٣٦/١ .

(٥) الطبري ٣٣/١٦ . عياض ١٠٦ . الرازي ٥/٢ . القرطبي ١٦٦/١١ ، ٤/١٥ ، ١٤٣ ، ٢٨٩ . الخازن ١٧٤/٤ . ابن جزي ٦٠/١ . أبو حيان ٢٢٤/٦ . ابن كثير ٣٦/١ ، ٥٨٨/٣ ، ٤/١٤ ، ٧٥ . البيضاوي ١٤/١ ، ٣٦ . الزركشي ١٧٥/١ . النيسابوري ١٢٠/١ - ١٢١ . الإتيقان ١١/٢ . أبو السعود ٢٤/١ . الشوكاني ٣٦٠/٣ ، ٤١٩ ، ٤٨٠ ، ٥٢٤ . الآلوسي ١٠٣/١ . شرف ٤٠ . الدبيل ٦٧ . حمادة ١٦١ ، ١٦٦ . إسماعيل ٢٦٥ . أبو زيد ٢١٥ ، ٢١٩ . العدل ١٦ .

(٦) تفسير ٣٦ .

(٧) الطبري ٣٥/١٦ . ابن عطية ٤٢٣/٩ . الرازي ٥/٢ . القرطبي ٧٤/١١ . البيضاوي ١٤/١ . النيسابوري ١٢٠/١ . الإتيقان ١١/٢ . الآلوسي ١٠٣/١ ، ٥٧/١٦ . شرف ٤٠ . غلاب ٤١ .

ولكن ابن عطية علق على هذا الدعاء بأنه يحتمل أن يكون ﴿كَهَيْصَ﴾ اسماً من أسماء الله ، ويحتمل أن يكون على أراد أن ينادى الله بجميع الأسماء التي تضمنها ﴿كَهَيْصَ﴾ ، كأنه أراد أن يقول : يا كريم ، يا هادي ، يا علي ، يا عزيز ، يا صادق : اغفر لي . فجمع هذا كله باختصار في قوله : يا ﴿كَهَيْصَ﴾^(١) .

ونقل عن ابن جبير عن ابن عباس قال : هي حروف ، كل واحد منها إما أن يكون من اسم من أسماء الله ، وإما من نعمة من نعمه : وإما من اسم ملك من ملائكته ، أو نبي من أنبيائه^(٢) . ولكن استبعدت د. عائشة هذا التفسير^(٣) . ونقل القرطبي أن أشهب سأل مالكا : هل ينبغي لأحد أن يتسمى بـ ﴿يَسَ﴾ ؟ فقال : ما أراه ينبغي ، لقول الله : ﴿يَسَ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ يقول : هذا اسمي يس^(٤) .

وعقب ابن العربي على هذا القول قائلا : هذا كلام بديع وذلك أن العبد يجوز له أن يتسمى باسم الرب ، إذا كان فيه معنى منه ، كقوله : عالم وقادر ومريد ومتكلم . وإنما منع مالك من التسمية لأنه اسم من أسماء الله ، لا يدرى معناه . فربما كان معناه ينفرد به الرب ، فلا يجوز أن يقدم عليه العبد .

فإن قيل : فقد قال الله : ﴿سَلِّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [سورة الصافات : ١٣٠] ؟ قلنا : ذلك مكتوب بهجاء ، فيجوز التسمية به . وهذا الذي ليس بمتهجي هو الذي تكلم مالك عليه ، لما فيه من الإشكال^(٥) . وقال القاضي عياض في ﴿ق﴾ : اسم لله^(٦) .

(١) المحرر ٤٢٤/٩ .

(٢) المحرر ١٤٠/١ . الشوكاني ٢٩/١ .

(٣) الإعجاز ١٢٩ ، ١٣٧ .

(٤) جامع ٤/١٥ . الإتيان ١١/٢ .

(٥) جامع ٤/١٥ .

(٦) الشفا ٣٤/١ .

وذكر ابن كثير أنه قد قيل في تفسير ﴿حم﴾ : اسم من أسماء الله .. وقد روى في الحديث الذي رواه أبو داود والترمذى ، من حديث الثورى عن أبي إسحاق عن المهلب بن أبي صفرة قال : حدثنى من سمع رسول الله يقول : « إن يسم فقولوا : حم ، لا يُنصرون » . وهذا إسناد صحيح ^(١) . وأعلن ابن الأثير أن معنى الحديث : اللهم لا ينصرون ^(٢) .

وروى الزركشى : يقال : إن ﴿حم﴾ اسم من أسماء الله ، أُضيفت هذه السورة إليه ، كما قيل : سور الله ، لفضلها وشرفها ، وكما قيل : بيت الله ^(٣) . وخالف ابن جنى كل من سلف ، إذ استدل بقراءة ابن مسعود وابن عباس فاتحة سورة الشورى ﴿حم سق﴾ بدون عين أنها ليست من أسماء الله لأن الأعلام لا تحرف ^(٤) .

* * *

(١) التفسير ٧٥/٤ .

(٢) النهاية لابن الأثير ٤٤٦/١ .

(٣) البرهان ١٤٨/١ .

(٤) المحتسب ٢٤٩/٢ . الإتيان ١٤/٢ .

الاسم الأعظم لله

وصرحت أقوال أخرى بأن هذه الحروف هي الاسم الأعظم للذات الإلهية روى الطبري عن محمد بن المثنى ، عن أبي النعمان ، عن شعبة ، عن السدى ، عن مرة الهمداني ، عن عبد الله بن مسعود ، أنه قال عن هذه الحروف : هي اسم الله الأعظم ^(١) . ووصف السيوطي هذا السند بالصحة ^(٢) .

ونسب بعض العلماء هذا القول إلى علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس ^(٣) . وقصره بعضهم على ابن عباس وحده ^(٤) ، وبعضهم على سعيد بن جبير أو قتادة أو الشعبي أو السدى أو أكثر من واحد منهم ^(٥) ، وأتى به بعضهم الآخر دون إسناد إلى أحد ^(٦) .

وفسر أبو حامد الغزالي الاسم الأعظم بأنه الحى القيوم ، وقال : يشهد له ورود الخبر بأن الاسم الأعظم فى آية الكرسي وأول آل عمران ^(٧) . ولكن القرطبي فسره بأنه الاسم الذى إذا سئل به أعطى ، وإذا دُعى به أجاب ^(٨) . وهو تفسير أكثر ملاءمة لما نحن فيه ، أخذه القرطبي من قول علي الذى يرد فى صفحة ٨٤ .

(١) ابن مسعود ١٧/١ . الطبري ٦٧/١ . الطوسي ٤٧/١ . النسفي ٩/١ . ابن كثير ٣٦/١ . الشوكاني ٣٢/١ .

(٢) معترك ١٥٦/١ . الإتيقان ١١/٢ .

(٣) ابن عطية ١٣٨/١ . القرطبي ١٥٥/١ . ابن كثير ٣٦/١ . الشوكاني ٢٩/١ . فودة ٢٧٢ . العدل ١٢ .

(٤) الطبري ٦٧/١ . القرطبي ٢٨٩/١٥ . الخازن ٦٥/٤ ، ٧٢ . الإتيقان ١١/٢ . الآلوسى ٥٧/١٦ .

(٥) الطوسي ٤٧/١ . البغوى ٤٤/١ . القرطبي ٧٤/١١ ، ١٤٣/١٥ . ابن كثير ٣٦/١ . عائشة ١٢٨ ، ١٣٧ .

(٦) القرطبي ٨٨/١٣ . الخازن ٢٠٩/٢ . النيسابورى ٢٤/٢٤ . الصالح ٢٤١ . غلاب ٣٨ .

(٧) جواهر ٥٨ . وانظر سورة البقرة ٢٥٥ ، آل عمران ٢ .

(٨) جامع ٧٤/١١ .

واستطرد ابن عطية بعد ما عزا القول بأن الحروف المقطعة اسم الله الأعظم إلى على وابن عباس ، فذكر أنهما قالا بعد ذلك : «إلا أنا لا نعرف تأليفه منها»^(١) . واستهوى هذا الرأي الدكتور محمد غلاب فاعتنقه وأبعد قائلا : «إن هذه الفواتح رموز لأسماء إلهية ، لها أسرار خفية ، ذات خواص خطيرة ، ترتبط بدورة الكواكب في محاورها وعلائقها بالأنظمة الكونية والسنن الناموسية وحظوظ أهل الأرض وغيرهم ممن عسى أن يكونوا على الكواكب الأخرى . وإن من تتيح له الأقدار معرفة شيء من هذه الأسرار يوكل إليه التصرف في شيء من تلك الأنظمة ، ويظفر بجانب من المساهمة في تسيير الحظوظ والمصاير إلى غاياتها المحتومة تنفيذا لتقدير العزيز العليم ..»^(٢) .

وذهب عبد الجبار شرارة إلى أن هذا الاسم محجوب عنا ، لا سبيل لأحد إلى معرفته . ونقل عن بعض مفسري الشيعة أنه لا يقدر على تأليفه منها إلا النبي والإمام ، وأن هذا الاسم إذا دعا به النبي استجاب الله دعاءه^(٣) .

ورفض د. رمضان عبد التواب هذا التفسير ، اعتمادا على أن معظم الروايات القائلة به تنسب إلى ابن عباس ، وإلى أن فكرة اسم الله الأعظم هذه غريبة عن روح الإسلام ، لا تُعرف في أي مكان سوى هذا الموضع ، ولم ترد لا في قرآن ولا في حديث ، وإلى أننا نسمع المسيحيين يحلفون في مصر أحيانا فيقولون : «واسم الله الأعظم» وتساءل : هل هذه عادة قديمة للمسيحيين في الشرق ، على الأقل ، تأثرت بها الروايات الإسلامية . وعلى كل حال ، فهذا الرأي - عندي - لا يقدم حلا للمشكلة بقدر ما يزيد لها إبهاما وغموضا^(٤) .

* * *

(١) المحرر ١٣٨/١ . عبد التواب ١٦٩ . العدل ١٢ .

(٢) نظرات ٤٤ . شرارة ١٩ .

(٣) الحروف ١٩ .

(٤) حول ١٦٩ .

اختصارات من أسماء الله

قال السيوطي : أخرج أحمد بن موسى الأصبهاني المعروف بابن مزدويه من طريق يوسف بن عطية قال : سئل محمد بن السائب الكلبي عن ﴿ كَهَيْمَص ﴾ ، فحدث عن أبي صالح عن أم هانئ بنت أبي طالب أن رسول الله - ﷺ - قال فيها : كاف ، هاد ، أمين ، عالم ، صادق ^(١) .

وإذا انتقلنا إلى الصحابة مثل أماننا عبد الله بن مسعود الذي روت كتب التفسير حديثه وأحاديث غيره من المفسرين في عبارات تختلف لفظا وتتفق مدلولاً وأتبعها فيما يلي :

(الاشتقاق)

نقل الطبري عن مرة بن شراحيل الهمداني عن ابن مسعود ، وعن أبي صالح عن عبد الله بن عباس ؛ وعن ناس من أصحاب النبي - ﷺ - قالوا في ﴿الْمَر﴾ : حرف اشتق من حروف هجاء اسم الله ^(٢) .

ونقل السيوطي عن عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن أبي حاتم عن سعيد ابن جبير في (حم) : جاء اشتقت من الرحمن ، وميم اشتقت من الرحيم ^(٣) .

(الافتتاح)

نقل ابن كثير خبر الطبري بأسانيده نفسها مع تغيير في العبارة إلى : حروف استفتحت من حروف هجاء أسماء الله ^(٤) . ونقل الرازي عن سعيد بن جبير في (طه) : هو افتتاح اسمه الطيب ، الطاهر ، الهادي ^(٥) .

(١) الإنقان ١٠/٢ . الآلوسی ٥٧/١٦ . الصالح ٢٤٠ . عبد التواب ١٦٨ . ولا يرضى كثيرون عن أبي صالح والكلبي .

(٢) تفسير ابن مسعود ١٧ . الطبري ٦٧/١ - ٦٨ . الشوكاني ٣٢/١ .

(٣) الإنقان ١١/٢ .

(٤) ابن كثير ٣٦/١ .

(٥) مفاتيح ٣/٢٢ . النيسابوري ٧٨/١٦ .

ودفعت أمثال هذه الروايات جماعة من المفسرين إلى التعبير عن مواقف من تبع ابن مسعود وابن عباس ، مثل أبي العالية رُفيع بن مهران وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي وعطاء الخراساني بأن يقولوا : هذه الحروف افتتاح أسماء الله .

روى القرطبي عن أبي العالية وعطاء في (ن) : هو افتتاح اسمه نصير ، ونور ، وناصر ^(١) .

وروى عن سعيد بن جبير في (طه) : الطاء افتتاح اسمه طاهر وطيب ، والهاء افتتاح اسمه هادٍ ^(٢) .

(التقطيع)

روى السيوطي عن إسناد الطبري وابن كثير التعبير الآتي في تفسير ﴿كَهَيْعَصَ﴾ : هو هجاء مقطع ، الكاف من الملك ، والهاء من الله ، والياء والعين من العزيز ، والصاد من المصور ^(٣) .

وذكر ابن الجوزي أنها حروف من أسماء ، فإذا أُلِّفَتْ ضربا من التأليف كانت اسما من أسماء الله . ونقل عن علي بن أبي طالب : هي أسماء مقطعة ، لو علم الناس تأليفها ، علموا اسم الله الذي إذا دُعِيَ به أجاب ^(٤) .

وروى القرطبي عن ابن مسعود وابن عباس : الر ، وحم ، ون حروف الرحمن مقطعة ^(٥) . وتردد اتخاذ الرحمن مثلا عند معظم من قال هذا القول ، مثل سعيد ابن جبير وسالم بن عبد الله والسدي والشعبي والمفسرين ^(٦) .

(١) الجامع ٢٢٤/١٨ ، وانظر ١٦٦/١١ ، ٢٨٩/١٥ ، ١٣/١٧ ، ٢٢٤/١٨ . الخازن ٦٥/٤ ، ٧٢ . ابن كثير ٣٦/١ . النيسابوري ٧٨/١٦ .

(٢) الجامع ١٦٦/١١ .

(٣) الإنقان ١٠/٢ . الآلوسی ٥٧/١٦ . وانظر المنار ٢٦٤/٨ .

(٤) زاد ٢٠/١ . ابن عطية ١٣٨/١ . القرطبي ١٥٥/١ . الصالح ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٥) الجامع ١٥٤/١ ، ٣٠٤/٨ ، ٢٨٩/١٥ ، ٢٢٤/١٨ . ابن عطية ٢٣٣،٩٤/٧ ، ٣/١٣ ، ٢٥/١٥ .

(٦) الطبري ٦٨/١ ، ٨٥/٨ ، ٥٧/١١ ، ٢٦/٢٤ ، ١٠/٢٩ . البغوي ١٧٢/٣ . ابن عطية =

(التبعيض)

أورد ابن قتيبة تفسير ابن عباس لمطلع سورة مريم كما يلي : الكاف من كاف ، والهاء من هاد ، والياء من حكيم ، والعين من عليم ، والصاد من صادق ^(١) .

وقال ابن عطية : قال ابن عباس وابن جبير والضحاك : هي حروف دالة على أسماء من أسماء الله ، الكاف من كبير . وقال ابن جبير أيضا : هي من كاف . وقال أيضا : هي من كريم .

واستطرد ابن عطية : فمقتضى أقواله أنها دالة على كل اسم فيه كاف من أسماء الله . قالوا : والهاء من هاد ، والياء من علي ، وقيل : من حكيم . قال ابن عباس : والعين من عزيز ، وقيل من عليم ، وقيل : من عدل ؛ والصاد من صادق ^(٢) .

ونقل الطبري عن سعيد بن جبير أنه قال : كاف من كريم ، ياء من حكيم ، وعين من عالم ^(٣) .

ونسب مثل هذا القول إلى مجاهد والضحاك ومحمد بن كعب القرظي والسدي والربيع بن أنس والكلبي وجعفر بن محمد الصادق ^(٤) .

= ٤٢٢/٥ ، ٩٤/٧ ، ٢٣٣ ، ٣/١٣ . ابن الجوزي ٢٠/١ . الرازي ٦/٢ ، ١٤/١٤ ، ٣/١٧ ، ٣٠/٧٧ . الخازن ٢/٢٠٨ ، ٣/١٧٢ ، ٤/٦٥ ، ٢٩٣ . أبو حيان ٥/١٢١ . ابن كثير ٨/٣٠٧ . النيسابوري ١/١٢١ ، ٨/٥٦ ، ١١/٤٧ . معترك ١/١٥٦ . الإنتقان ٢/١٠ - ١١ . الشوكاني ١/٣٢ الآلوسي ١١/٥٨ . صبيح ١٠٠ . الزرقاني ١/٢٢٥ . غلاب ٤٣ . الصالح ٢٣٩ . شرف ٤٠ ، ٦٠ . عائشة ١٣٧ . زرزور ١٤١ . فودة ٢٧٢ .

(١) تأويل ٢٣٠ . الطبرسي ١/٣٢ . الرازي ٢١/١٧٩ . القرطبي ١/١٥٦ ، ١١/٧٤ . الإنتقان ٢/١٠ . الآلوسي ١٦/٥٧ . فودة ٢٧٢ .

(٢) المحرر ٩/٤٢٣ . الطبرسي ١/٣٢ .

(٣) جامع ١٦/٢ ، ٣٣ - ٣٤ .

(٤) الطبري ١٦/٣٤ ، ٢٦/٢٤ . ابن عطية ١١/١٦٥ ، ٢٥٨ . ١٣/٨٨ . الرازي ٢١/١٧٩ القرطبي ١١/٧٤ ، ١٣/٨٨ ، ١٦/٢ . الخازن ٣/٢٥٦ ، ٤/٩٠ . أبو حيان ٦/٢٢٤ . النيسابوري =

واستخدم السدى ذات مرة كلمة بعض ، عادلا عن (من) التبعية ، وقال عن ﴿المص﴾ : هو بعض اسمه تعالى المصور ^(١) .
وتبعه الرازى فسمى هذه الحروف أبعاض أسماء الله ^(٢) .

(التعبير المباشر)

روى عن ابن عباس وحده عدة تعبيرات غير مامر . فقد قنع فى بعض أقواله بإيراد الحرف متلوا بمعناه مباشرة ، روى سعيد بن جبير عنه أنه كان يقول فى ﴿كَهَيْصَ﴾ : الكاف كاف كبير ، وفى الهاء : هاد ، والياء ياء يمين ، والعين من عالم ، وصاد صادق ^(٣) .

وسلك الطبرى وغيره المسلك نفسه مع سعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم ومحمد بن السائب الكلبي ^(٤) .

وروى القرطبي عن الضحاك عن ابن عباس فى (ن) : آخر حرف من حروف الرحمن ^(٥) .

(المعنى)

نقل القرطبي عن القشيري عن ابن عباس فى (كهيعص) : معناه كاف لخلقه ، هاد لعباده ، يده فوق أيديهم ، عالم بهم ، صادق فى وعده . ذكره الثعلبي عن مجاهد والضحاك والسدى والكلبي ^(٦) .

= ٢٨/١٦ ، ٦٠/٢٤ ، ١٠٥/٢٦ . الإتيان ١٠/٢ - ١١ . الآلوسى ٧٤/٨ ، ٥٨/١٩ . الصالح ٢٣٩ . عبد التواب ١٦٧ . شحاتة ٨٥ . حمادة ١٦١ . زرور ١٤١ . أبو زيد ٢١٥ .

(١) الخازن ٢٠٨/٢ . وانظر ابن عطية ٤٢٣/٥ . رضا ٢٦٤/٨ .

(٢) مفاتيح ٥/٢ - ٦ .

(٣) الطبرى ٣٣/١٦ - ٣٥ . الإتيان ١٠/٢ .

(٤) جامع ٣٣/١٦ - ٣٥ . النيسابورى ١٢١/١ . القرطبي ٧٤/١١ . الإتيان ١٠/٢ .

الآلوسى ٥٧/١٦ . الصالح ٢٣٩ . العدل ١١ .

(٥) الجامع ٢٢٤/١٨ . الرازى ٧٧/٣٠ .

(٦) الجامع ٧٤/١١ .

ونقل الآلوسی عن السدی فی (المص): معنى ذلك المصور ^(١) . وكذا قال السيوطی دون أن يعزو القول إلى السدی ^(٢) .

(الدلالة)

وذكر الرازی أن ابن عباس عدّ هذه الحروف دلالات على أسماء الله وصفاته، أي أنها حروف دالة على أسماء أخذت منها وحذفت بقيتها . وروى عنه : الكاف يدل على كونه كافيا ، والهاء يدل على كونه هاديا ... ^(٣) . وصرح الطبري بأن كل حرف منها دل على اسم من أسمائه ، وصفة من صفاته ، كما افتتح سورا كثيرة بتحميده وتسبيحه وتعظيمه ^(٤) .

(الإشارة)

وذكر الرازی أن ابن عباس عدّ هذه الحروف إشارات إلى أسماء الله . وروى عنه أنه قال فی ﴿الم﴾ : الألف إشارة إلى أنه أحد ، أول ، آخر ، أزلي ، أبدى ؛ واللام إشارة إلى أنه لطيف ؛ والميم إشارة إلى ملك ، مجيد ، منان ^(٥) . وتبعه في هذا التعبير عبد الوهاب حمودة ^(٦) .

(الحمل)

وذكر الرازی أيضا أن ابن عباس حمل الكاف على الكبير والكریم ، والياء على الكريم مرة ، والحكيم أخرى ^(٧) .

(١) روح ٧٤/٨ .

(٢) الإتقان ١٠/٢ . وانظر حمودة ٢٨٤/٣ .

(٣) مفاتيح ٦/٢ . وانظر القرطبي ١٥٥/١ .

(٤) جامع ١٥/١ . ابن كثير ٣٦/١ . النيسابوري ١٢١/١ . حمودة ٢٨٢/٣ . عائشة ١٢٩ . زرور ١٤١ . أبو زيد ٢١٥ . العدل ١١ ، ١٣ .

(٥) مفاتيح ٦/٢ ، ٢٠٣/١١ . النيسابوري ١٢١/١ . شرف ٥٤ . وانظر أبو السعود ٢٤/١ . الآلوسی ٢٠٣/١١ . شرف ٤٠ ، ٤٥ . شحاتة ٨٥ . إسماعيل ٢٦٥ .

(٦) رسالة ٢٨٢/٣ - ٢٨٤ .

(٧) مفاتيح ٦/٢ ، ١٧٩/٢١ .

وتبعه النيسابورى فروى عن ابن عباس مرة : الكاف محمول على الكبير والكريم ، والياء على أنه مجير ، والعين على العزيز والعدل . وأخبر عنه فى مرة أخرى أنه حمل الكاف على الكريم أو الكبير ، والياء على الكريم مرة ، وعلى الحكيم أخرى ^(١) .

(الأخذ)

وعبر بعض الكتاب عن هذا القول بالأخذ . قال الزركشى : يروى عن ابن عباس أن كل حرف من الحروف المقطعة مأخوذ من اسم من أسمائه سبحانه . فالألف من الله ، واللام من لطيف ، والميم من مجيد ^(٢) .

(المفاتيح)

واختارت جماعة أخرى أن تصف هذه الحروف بمفاتيح أسماء الله ^(٣) . نقلوا عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فى ﴿ الم ﴾ ، قال : هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الألسن ، كلها ، ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه ... فالألف مفتاح الله ، واللام مفتاح اسمه لطيف ، والميم مفتاح اسمه مجيد ^(٤) .

ونقل القرطبى عن محمد بن كعب فى ﴿ ص ﴾ : هو مفتاح أسماء الله : صمد ، وصانع المصنوعات ، وصادق الوعد ^(٥) .

(١) غرائب ١٢١/١ ، ٢٨/١٦ .

(٢) البرهان ١٧٣/١ ، ١٧٥ . الإقتان ١١/٢ . الصالح ٢٣٩ . عبد التواب ١٦٧ . الدبيل ٦٧ . المعرى ١١٢ . أبو زيد ٢١٩ .

(٣) البغوى ٤٤/١ . ابن عطية ٤١٤/١٢ . العدل ١١ ، ١٣ .

(٤) الطبرى ٦٨/١ . البغوى ٤٤/١ . الطبرى ٣٣/١ . القرطبى ١٥٥/١ . الخازن ٢٦/١ ، ٢٠٨/٢ . ابن كثير ٣٦/١ . الزركشى ١٧٤/١ . الإقتان ١٢/٢ . غلاب ٣٨ .

(٥) الجامع ١٤٣/١٥ . وانظر الطبرى ٣٣/١ . الرازى ١٧٤/٢٦ . القرطبى ١٥٥/١ ، ١٦٦/١١ ، ١٤٣/١٥ . الخازن ٢٦/١ ، ٢٠٨/٢ ، ٣٠/٤ ، ٣٣ ، ١٧٤ ، ١٩٢ ، ٢٩٣ ، ابن كثير ٣٦/١ . أبو حيان ٣٨٣/٧ . الإقتان ١١/٢ . الشوكانى ٣٢/١ ، ٤١٩/٣ . الآلوسى ١٦١/٢٣ . غلاب ١٠٨ . عائشة ١٢٩ . حمادة ١٦١ . فودة ٢٧٢ .

(الاكتفاء)

وسمى الرازى ذات مرة هذا النحو من التعبير بالاكتفاء . قال : إن الاكتفاء من الاسم الواحد بحرف واحد من حروفه عادة معلومة عند العرب . فذكر الله هذه الحروف تنبيهاً على أسمائه ^(١) .

(الاختصار)

وعمد من ترجم للمستشرق بلاشير Blachere إلى التعبير اللغوى الصريح ، فأورد أنه قال : إن أدق الأقوال القديمة فى تفسير هذه الحروف هو الذى ينص أنها اختصارات لأسماء إلهية ، وأعلن أن ﴿الر﴾ و ﴿ن﴾ مثلاً اختصار للرحمن ^(٢) .

(الرمز)

وأتى عبد الوهاب حمودة ود. محمد غلاب بتعبير جديد . ذكر الأول أن السيد محمد على الهندى ذهب إلى أن الطاء ترمز إلى اسم اللطيف ، لأنها الحرف الوسط لهذه الكلمة ^(٣) . وقال د. غلاب : الألف رمز للفظ الجلالة (الله) ، واللام رمز لللطيف ، والميم رمز للمجيد ، أو أن الألف واللام رمز للفظ الجلالة ، والراء رمز للرحمن ، والميم رمز للرحيم ... وكذلك أعلن البعض أن (ق) رمز لجبل ^(٤) .

ووافقهما فى هذا التعبير د. حفنى شرف ود. عبد التواب ، ود. عبد الله شحاتة وعبد المنعم محمد شقرف ^(٥) .

ويتضح من الأقوال أن بعض الكتاب التزموا أن يذكروا أسانيدها كاملة ،

(١) مفاتيح ٩/٢ . الإتيان ١١/٢ . (٢) غلاب ٤٣ .

(٣) رسالة ٢٨٣/٣ .

(٤) نظرات ٣٨ - ٣٩ .

(٥) الخواطر ٤١ . حول ١٧٣ . علوم ٨٥ . علم الجفر ٥٤ .

وبعضهم الآخر وقف بها عند حلقات مختلفة منها . فوصل إلينا القول منسوباً إلى ابن عباس مرة ، وإلى سعيد بن جبير الذى يروى عنه أخرى ؛ وإلى أبى العالية مرة ، وإلى راويته الربيع بن أنس أخرى . بل نسب أحياناً إلى غيرهم من الرواة المتأخرين .

ويتضح أن الرواية بالمعنى كانت سائدة ، بدليل ورود القول الواحد ، بالسند الواحد ، مع اختلافات كثيرة فى الألفاظ .

ويتضح أن هذا التفسير ضم ثلاثة اتجاهات :

الاتجاه الأول يرى أن هذه الحروف مقتطعة من أحد أسماء الله ، دون أن توجب أن يكون الحرف المقتطع مطلع الاسم أو وسطه أو ختامه .

الاتجاه الثانى يرى أن الحروف الموزعة فى سور متعددة يمكن أن تتجمع فى أسماء محددة . وكان الذى دفعهم إلى هذا الاتجاه شمول (الرحمن) على حروف ﴿الر﴾ و ﴿حم﴾ و ﴿ن﴾ .

الاتجاه الثالث لا يحدد للحرف الواحد اسماً واحداً ، بل يرى أن من الممكن أن يدل على أسماء متعددة تحتوى على هذا الحرف . ويبدو أن أبا العالية أول من ذهب فى هذا الاتجاه فى جلاء .

ويتضح أن الطبرى أول مفسر جمع ما قيل فى سبيل دعم هذا المذهب - القائل بأن الحروف مقتطعة من أسماء الله .

ما يتعلق بالذات الإلهية

ذهبت أقوال أخرى إلى أن الحروف ليست أسماء للذات الإلهية ولا مقتطعة منها ، وإنما هى مقتطعة من أفعال الله .

نقل ابن عطية عن ابن عباس أنها مقتطعة من نعم من نعم الله ^(١) .

وروى البيضاوى عن ابن عباس ، أنه قال فى ﴿ الم ﴾ : الألف من آلائه ، واللام من لطفه ، والميم من مجده ^(١) .

ولكن غيره نسب هذا القول إلى أبى العالية ، رواه عنه الربيع بن أنس ، قال : ليس منها حرف إلا وهو فى آلائه وبلائه ... الألف آلاء الله ، واللام لطفه ، والميم مجده ^(٢) .

ووقف به الطبرى ومن تبعه عند الربيع ^(٣) . ورواه غيرهم عن محمد بن كعب القرظى ، وسموه « صفات الأفعال » ^(٤) . وأتى به آخرون دون أن ينسبوه إلى أحد ^(٥) .

وروى القرطبى عن نافع عن ابن عباس فى ﴿ حم عسق ﴾ قال : الحاء حلمه ، والميم مجده ، والعين علمه ، والسين سنانه ، والقاف قدرته ، أقسم الله بها ^(٦) .

ثم روى عن محمد بن كعب : أقسم الله بحلمه ومجده وعلوه وسنانه وقدرته ، ألا يعذب من عاذ بلا إله إلا الله ، مخلصا من قلبه ^(٧) . وأتى الشوكانى بهذا القول دون نسبة ^(٨) .

ونقل القرطبى عن محمد بن كعب فى ﴿ طسم ﴾ : أقسم الله بطوله وسنائه وملكه ^(٩) . وأتى به الخازن دون عزو ^(١٠) .

(١) أنوار ١٣/١ . الزركشى ١٧٣/١ . الشوكانى ٢٩/١ . الزرقانى ٢٢٥/١ . العمري ١١٢ .

(٢) ابن كثير ٣٦/١ . الإتيان ١٢/٢ . غلاب ٣٨ .

(٣) جامع ٦٨/١ . مفاتيح ٦/٢ . ابن كثير ٣٦/١ . الزركشى ١٧٤/١ .

(٤) البغوى ٤٤/١ . الرازى ٦/٢ . أبو السعود ٢٤/١ . حمادة ١٦٦ . إسماعيل ٢٦٥ .

(٥) الطبرسى ٣٣/١ . الخازن ٣٦/١ . ابن جزى ٦٠/١ . الزركشى ١٧٥/١ . النيسابورى

١٢١/١ . غلاب ١٠٨ . حمادة ١٦٦ . الدبيل ٦٧ . أبو زيد ٢١٩ .

(٦) الجامع ٢/١٦ . الخازن ٩٠/٤ . وانظر النيسابورى ٢٢/٢٥ .

(٧) الجامع ٢/١٦ .

(٨) فتح ٥٢٥/٣ .

(٩) الجامع ٨٩/١٣ .

(١٠) لباب ٣٩٣/٣ .

ونقل عنه أيضا في ﴿ن﴾ : أقسم الله بنصره للمؤمنين ، وهو حق ^(١) .
وروى أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره ، مسندا إلى علي بن موسى الرضا قال :
سئل جعفر بن محمد الصادق عن قوله : ﴿الم﴾ فقال : في الألف ست صفات
من صفات الله :

- ١ - الابتداء ، الله هو الأول ، وابتدأ جميع الخلق ، والألف ابتداء الحروف .
- ٢ - الاستواء ، الله هو العدل الذي لا يجور ، والألف مستوٍ في ذاته .
- ٣ - الانفراد ، الله فرد ، والألف فرد .
- ٤ - وعدم الاتصال ، الله بائن - بجميع صفاته - عن خلقه ، وكذلك الألف لا تتصل بالحروف ، والحروف تتصل بها .
- ٥ - الغنى ، الله غنى عن الخلق غير محتاج إليهم ، وكلهم محتاجون إليه .
وكذلك الألف تحتاج الحروف إليها مع عدم حاجتها هي .
- ٦ - الألفة ، الله سبب ألفة الخلق ، وكذلك تألفت الألف الحروف ^(٢) .
وروى ابن عطية عن القرطبي في (حم) : أقسم الله بحلمه وملكه ^(٣) .
وروى القرطبي عن محمد بن عاصم الأنطاكي في (ق) : هو قرب الله من
عباده ، بيانه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ^(٤) [سورة ق : ١٦] .
وروى الخازن في (طه) : قيل : هو قسم ، أقسم الله بطوله وهدايته ^(٥) .

* * *

(١) الجامع ٢٢٤/١٨ .

(٢) الطبرسي ٣٢/١ - ٣٣ . الآلوسي ١٠٣/١ . يبدو أن تحريفا أصاب النص فاختلطت
الصفات . واضطرت إلى الاعتماد على نفسى فى الفصل بينها ، ومع ذلك يتضح أنها كانت فى
الأصل متداخلة .

(٣) المحرر ٣/١٣ .

(٤) الجامع ٣/١٧ .

(٥) لباب ٥٦/٣ .

ثناء على الله

جعل الرازى الوجه الخامس من وجوه دلالة الحروف المقطعة : أن كل واحد منها دال على اسم من أسماء الله وصفة من صفاته . ثم أورد تفسيراً قاله ابن عباس لـ ﴿الم﴾ ثم أعلن أنه قال فى ﴿كَهَيَّعَ﴾ : إنه ثناء من الله على نفسه ، ثم فسر كل واحد من حروفه ^(١) وأكد ذلك فى تفسيره لسورة مريم ^(٢) .

ولكنه أفرد فى مرة ثلاثة الاسمية عن الثناء : فذكر أن الوجه الخامس عشر لمدلولات هذه الحروف مارواه ابن الجوزى عن ابن عباس : أن هذه الحروف ثناء ، أثنى الله به على نفسه ^(٣) .

* * *

(١) مفاتيح ٦/٢ . شرف ٤١ .

(٢) مفاتيح ١٧٩/٢١ .

(٣) مفاتيح ٧/٢ . النيسابورى ٢٨/١٦ . شرف ٤٣ .

أسماء للنبي

روى القرطبي عن الماوردي عن علي بن أبي طالب قال : سمعت رسول الله ﷺ - يقول : « إن الله تعالى أسمانى فى القرآن سبعة أسماء : محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله » ^(١) . ونسب النسفى هذا الحديث إلى محمد بن علي المعروف بابن الحنفية ^(٢) .

وروى القاضى عياض عن مكى عن النبى - ﷺ - : « لى - عند ربى - عشرة أسماء ... » وذكر فيها طه ويس ^(٣) .

وروى عياض عن كعب الأحبار : يس : قسم أقسم الله به قبل أن يخلق السماء والأرض بألفى عام : قال : يا محمد ﴿ إِنَّكَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة يس : ٣] ثم قال : ﴿ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴾ ^(٤) .

وروى عياض عن ابن الحنفية : يس : يا محمد ، ووافقه الزجاج ^(٥) . ونقل ابن عطية أن سعيد بن جبیر قال فى ﴿ يَس ﴾ : اسم من أسماء محمد ﷺ - ودليله ﴿ إِنَّكَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة يس : ٣] وقوله : ﴿ سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴾ [سورة الصافات : ١٣٠] وقول السيد الحميرى :

يانفس : لامتحضى بالود جاهدة على المودة إلا آل ياسينا ^(٦)

وجرى على هذا رأى ابن عساكر ^(٧)

وكذا ذكر ابن عطية أن (طه) اسم لمحمد ^(٨)

(١) جامع ٥/١٥ . عياض ٢٣٢/١ .

(٢) النسفى ٢/٤ .

(٣) الشفا ٣٢/١ ، ٢٣١ . القرطبي ١٦٦/١١ ، ٤/١٥ . وانظر الإتيقان ١٣/٢ .

(٤) الشفا ٣٢/١ . القرطبي ٥/١٥ .

(٥) الشفا ٣٢/١ . القرطبي ٥/١٥ .

(٦) المحرر ٢٧٠/١٢ . القرطبي ٤/١٥ . الشوكاني ٣٥٩/٣ . وانظر الرازى ٣/٢٢ .

(٧) عياض ٣٢/١ . القرطبي ٥/١٥ . أبو حيان ٢٢٤/٦ . الإتيقان ١٣/٢ - ١٤ . الشوكاني

٣٥٥/٣ . الآلوسى ١٤٨/١٦ . شرف ٥٠ .

(٨) المحرر ٢/١٠ .

ونقل عياض عن أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى عن جعفر بن محمد الصادق فى ﴿يَس﴾ : إن الله أراد ياسيد ، يخاطب بذلك نبيه - ﷺ - (١)

وروى عن أبى بكر الوراق أن معناه : سيد البشر (٢) .
ونقل السيوطى عن الكرمانى أن معناه ياسيد المرسلين (٣) .
ونقل السيوطى عن غرائب الكرمانى فى ﴿طه﴾ : قيل : أى يابدر ، لأن الطاء تسعة فى الحساب ، والهاء بخمسة ، فذلك أربعة عشر ، إشارة إلى البدر لأنه يتم فيها (٤) .
وذكر الرازى أنه قيل : إن المراد منها : يامطمع الشفاعة للأمة ، وياهادى الخلق إلى الملة (٥) .
وذكر القرطبى أن المراد : ياطاها من الذنوب ، ياهادى الخلق إلى علام الغيوب (٦) .

وذكر ابن خلدون أن بعضهم قال : إنه نداء من طاهر وهادٍ وأمثال ذلك (٧) .
ونقل السيوطى عن على بن الحسن المعروف بابن عساكر فى ﴿ن﴾ : قيل : هو اسم من أسماء النبى (٨) .
ورفض د . غلاب تفسير ﴿طه﴾ ببدر ، لأنه رأى أن مافيه من تَعْمَل وتحميل للآية مالا تطيق شىء لا يخفى على أحد من ذوى العقليات الراجحة (٩) .

(١) الشفا ٣٢/١ . جامع ٣/١٥ . الشوكانى ٣٦٠/٣ . وانظر النسفى ٢/٤ .

(٢) جامع ٣/١٥ . الخازن ٣/٤ . الشوكانى ٣٦٠/٣ .

(٣) الإتيقان ١٤/٢ .

(٤) الإتيقان ١٤/٢ . الرازى ٣/٢٢ . غلاب ٣٩ .

(٥) مفاتيح ٣/٢٢ .

(٦) الجامع ١٦٦/١١ . النيسابورى ٧٨/١٦ .

(٧) المقدمة ١٠٥٢ .

(٨) الإتيقان ١٤/٢ .

(٩) نظرات ٣٩ .

يَا إِنْسَانُ

ونقل القرطبي عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما أن معنى ﴿يَسْ﴾ يا إنسان . وقالوا في قوله تعالى : ﴿سَلَّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [سورة الصافات : ١٣٠] أى على آل محمد ^(١) .

ولم يذكر غير القرطبي ابن مسعود فيمن قال هذا التفسير . وإنما عزاه الطبري عن عكرمة مرة إلى ابن عباس ^(٢) ، واقتصر آخرون على عزوه إلى عكرمة ^(٣) . وأعلن الطبري أن ابن عباس صرح بأن الكلمة حبشية الأصل ^(٤) .

ولكن الزمخشري أعلن أنه ذكر أنها من لغة طيء ^(٥) . ثم علق على هذا القول بما يفيد الشك فيه ، فقال : والله أعلم بصحته . وإن صح ، فوجهه أن يكون أصله يأنيسين ، فكثير النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره ، كما قالوا في القسم : مُ اللهُ ، في أيمن الله ^(٦) .

ولم ينسب الرازي التفسير إلى أحد ، ووضح كلام الزمخشري فقال : تقريره هو أن تصغير إنسان : أنيسين ، فكأنه حذف الصدر منه ، وأخذ العجز ^(٧) .

وأفاض القرطبي في الحديث عن اللغة التي جاءت منها كلمة ﴿يَسْ﴾ فقال : اختلفوا فيه : فقال سعيد بن جبير وعكرمة : هو بلغة الحبشة . وقال الشعبي : هو بلغة طيء ، والحسن : بلغة كلب . والكلبي : هو بالسريانية ، فتكلمت به العرب فصار من لغتهم ^(٨) .

(١) الجامع ٤/١٥ . الخازن ٣/٤ .

(٢) جامع ٩٧/٢٢ . الزمخشري ٣/٣١٣ - ٣١٤ . عياض ٣٢/٢ . القرطبي ٥/١٥ . النسفي

١٠٢/٤ . الخازن ٢/٤ . ابن كثير ٣/٥٨٨ . الشوكاني ٣/٣٥٩ - ٣٦٠ . الآلوسي ١٠/٢٢ .

(٣) جامع ١٠٣/١٦ ، ٩٧/٢٢ . ابن كثير ٣/٥٨٨ .

(٤) جامع ٩٧/٢٢ . المحرر ٢٧١/١٢ .

(٥) الكشف ٣/٣١٣ - ٣١٤ . ابن عطية ٢٧١/١٢ . النسفي ٢/٤ . الخازن ٢/٤ .

(٦) الكشف ٣/٣١٤ . أبو حيان ٧/٣٢٣ . الآلوسي ٢١٠/٢٢ .

(٧) مفاتيح ٤٠/٢٦ . الآلوسي ٢١٠/٢٢ .

(٨) الجامع ٤/١٥ . ابن كثير ٣/٥٨٨ . الشوكاني ٣/٣٦٠ .

وعزا ابن كثير التفسير إلى الضحاك وسفيان بن عيينة إضافة إلى ابن عباس وعكرمة ^(١)

وعنى النسفى باللغات التى تنتمى إليها ﴿طه﴾ فقال : ياإنسان . وقيل : هو بالسريانية ، وقيل : بالقبطية . فعلى هذا يكون قد وافقت العرب هذه اللغات فى هذه الكلمة . وقيل : هو ياإنسان بلغة عك ، قبيلة من قبائل العرب ^(٢) .

وقال ابن عطية فى تبرير تفسير ابن عباس : ذلك أنهم يقولون : إيسان ، بمعنى : إنسان ، ويجمعونه على أياسين ، فهذا منه ^(٣) .

ونقل أبو حيان عن ابن عباس رأيين فى أصل ﴿يس﴾ ذهب أحدهما إلى أنها كلمة حبشية ، والثانى إلى أنها طائية ^(٤) .

وذكر أن هناك فرقة قالت : يا حرف نداء ، والسين مقامة مقام إنسان ، انتزع منه حرف السين فأقيم مقامه ^(٥) .

ثم رفض كلام الزمخشري قائلا : الذى نقل عن العرب فى تصغيرهم إنسان : (أنيسان) ، بياء بعدها ألف ، فدل على أن أصله (أنيسان) ، لأن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها ، ولا نعلمهم قالوا فى تصغيره (أنيسين) . وعلى تقدير أنه بقية (أنيسين) فلا يجوز ذلك إلا أن يبنى على الضم ولا يبقى موقوفا ، لأنه منادى مقبل عليه . ومع ذلك لايجوز تصغيره ، لأن التصغير تحقير ، ويمتنع ذلك فى حق النبوة ، وماقال فى القسم بـ (م الله) قول ، ومن النحويين من يقول إن (م) حرف قسم وليس مبقى من أيمن ^(٦) .

ونقل أنه قد قيل فى ﴿طه﴾ : بالنبطية ^(٧) .

(١) تفسير ١٥٠/٣ .

(٢) النسفى ٢٥٦/٣ .

(٣) المحرر ٢٧١/١٢ . أبو حيان ٣٢٣/٧ .

(٤) البحر ٣٢٢/٧ . الآلوسى ٢١٠/٢٢ .

(٥) البحر ٣٢٢/٧ . الآلوسى ٢١١/٢٢ . حمودة ٢٨١/٣ .

(٦) البحر ٣٢٢/٧ .

(٧) البحر ٢٢٤/٦ .

ونقل الآلوسی عن الخفاجی ردا علی أبی حیان قال فیہ :
- لزوم البناء علی الضم مما لا کلام فیہ . ولكن لعل من فسرہ بذلك یقرؤه بالضم .

وأما الاعتراضان الآخران فلا ورود لهما أصلا :
فأما الأول فلأن من یقول (أنیسیان) علی خلاف القیاس - وهو الأصح - لا یلزمه فیما غیر منه أن یقدره ، كما أنه لم ینطق به حتی یقال : إنك نطقت بما لم تنطق به العرب ، بل هو أمر تقدری .

وأما الآخر فلأن التصغیر فی نحو ذلك إنما یمتنع منا ، وأما من الله فله أن یطلق علی نفسه وعظماء خلقه ماأراد ، ويحمل حينئذ علی ما یلیق کالتعظیم والتحبیب ونحوه من معانی التصغیر .

واعترض الآلوسی علی مارواه أبو حیان من أنهم یقولون (إیسان) بمعنی (إنسان) ... قائلا : فهذا منه ، ولا یخفی أنه یحتاج إلى إثبات ، وبعده لا یخفی ما فی التخریج علیه ^(١) .

وأید الفرقة التي ذهبت إلى أن ﴿ یس ﴾ مؤلفة من یاء النداء ، وحرف السین المنتزع من كلمة إنسان ، بأن نظیر ما قالت ماجاء فی « کفی بالسيف شا » أی شاهدا ، وبما ذهب إليه ابن عباس من أن ﴿ حم عسق ﴾ حروف اختصر کل واحد منها من اسم من أسماء الله ^(٢) .

ویتجلی أن محاولتهم إرجاع کلمتی (یس) و(طه) إلى إحدى اللغات لم تصب نجاحا ، وتشعبت بهم كثيرا ، وأن اعتراضات أبی حیان علی الزمخشری وجدت عند الخفاجی والآلوسی من نجح فی إضعافها والرد علیها .

(١) روح ٢٢/٢١٠ - ٢١١ .

(٢) روح ٢٢/٢١١ .

ياحيبي

نقل القرطبي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : ﴿طه﴾ : ياحيبي ، بلغة عك^(١) . وقال قطرب : هو بلغة طيء^(٢) . وأتى الشوكاني بهذا التفسير دون أن ينسبه إلى أحد^(٣) .

يارجل

نقل الطبري عن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس : ﴿طه﴾ يعني يارجل^(٤) . وذكر أنه قال ذات مرة : إن ذلك بالنبطية^(٥) ، وفي مرة أخرى بالسريانية^(٦) .

ووقف في مرة ثالثة عند سعيد بن جبير ، وذكر أنه وافق ابن عباس في معناها ، وفي أنها بالسريانية^(٧) . ونقل الرازي عن سعيد : بلسان النبط^(٨) ، والنيسابوري : بلسان القبط^(٩) . وأخشى أن تكون (القبط) محرفة عن (النبط) . واكتفى أبو صالح بأن قال : هي معربة^(١٠) .

ونقل الطبري عن ابن جريج عن مجاهد : ﴿طه﴾ : يارجل بالسريانية^(١١) .

(١) الجامع ١٦٦/١١ .

(٢) القرطبي ١٦٦/١١ .

(٣) فتح ٣٥٥/٣ .

(٤) جامع ١٠٢/١٦ . ابن عطية ٢/١٠ . الرازي ٣/٢٢ . القرطبي ٣/١٥ - ٤ . ابن كثير

١٥٠/٣ . الإتيقان ١٣/٢ .

(٥) جامع ١٠٢/١٦ .

(٦) جامع ١٠٣/١٦ . القرطبي ١٦٥/١١ - ١٦٦ . القرطبي ١٦٥/١١ - ١٦٦ .

(٧) جامع ١٠٣/١٦ .

(٨) مفاتيح ٣/٢٢ .

(٩) غرائب ٧٨/١٦ .

(١٠) ابن كثير ١٥٠/٣ .

(١١) جامع ١٠٣/١٦ . القرطبي ١٦٦/١١ .

ونقل الطبري عن عمارة عن عكرمة : ﴿طه﴾ : يارجل ، كلمة بالنبطية ^(١)
ونقل الرازي عنه : بلسان الحبشة ^(٢) ، والقرطبي : بالسريانية ^(٣) .

ونقل الطبري عن الضحّاك مثل ما نقل عن عكرمة ^(٤) .

وروى الفراء عن الحسن : (يس) : يارجل ^(٥) .

ونقل الطبري عن الحسن وقتادة : ﴿طه﴾ : يارجل ^(٦) .

وروى أبو حاتم قال : حدثنا أبو عبيدة : قال أبو طفيلة الحرمازي : (طه) :
يارجل . فأنكره يونس ... وقال له : أين سمعت هذا ؟ فقال : بالبادية . فقال له
يونس : كذبت ، ألسنت أخبرتنا أنك قدمت البصرة في حُطمة ، فكنت مؤذن
عمران القصير عشر سنين ، أو قال : نحوها ؟ أراد أنه سمعها بالبصرة وليست
عربية . وقال أبو عبيدة : لا ينبغي أن يكون اسما لأن آخره ساكن ، أجرى مجرى
الم ، الر ، المص ، كهيعص سواكن ، كأنهن حروف التهجي ، ولو كان هذا
النحو اسما لجرى فيه الإعراب ^(٧) .

ونقل الطبري عن قتادة : هي بالسريانية ^(٨) ، والنيسابوري : بالسريانية
واليونانية ^(٩) .

ونقل الرازي عن الكلبي : بلغة عكّ . وأنشد :

إن السفاهة طه في خلّائكم لا قدس الله أرواح الملائع ^(١٠)

(١) جامع ١٠٣/١٦ .

(٢) مفاتيح ٣/٢٢ . القرطبي ١٦٦/١١ . أبو حيان ٢٢٤/٦ . النيسابوري ٧٨/١٦ . الشوكاني
٣٥٥/٣ .

(٣) الجامع ١٦٦/١١ . (٤) جامع ١٠٣/١٦ .

(٥) معاني ٣٧١/٢ . القرطبي ٤/١٥ ، ٥ .

(٦) جامع ١٠٣/١٦ . الفراء ١٧٤/٢ . القرطبي ١٦٦/١١ .

(٧) مجاز ١٥/٢ (الحواشي) .

(٨) جامع ١٠٣/١٦ . الرازي ٣/٢٢ .

(٩) غرائب ٧٨/١٦ .

(١٠) مفاتيح ٣/٢٢ . النيسابوري ٧٨/١٦ .

وروى القرطبي : قيل : إنها لغة معروفة في عُكَل ، وقيل : في عك .
قال الكلبي : لو قلت في عك : يارجل ، لم يجب حتى تقول : طه ^(١) .
ونقل القرطبي عن محمد بن المستنير المعروف بقطرب : هي بلغة طيء
وأنشد البيت الذي أورده الرازي ، ونسبه إلى يزيد بن المهلهل ^(٢) .
ومال الطبري إلى هذا التفسير قائلا : الذي هو أولى بالصواب عندي من
الأقوال فيه قول من قال : معناه يارجل ، لأنها كلمة معروفة في عك ، فيما بلغني ،
وأن معناها فيهم يارجل . أنشدت لمتمم بن نويرة :

هتفت بطله في القتال فلم يجب فخفت عليه أن يكون مؤائلا

فإذا كان ذلك معروفا فيهم ، فالواجب أن يوجّه تأويله إلى المعروف فيهم من
معناه ، ولا سيما إذا وافق ذلك تأويل أهل العلم من الصحابة والتابعين ^(٣) .
وعبر الزمخشري بما يوحى بشكه فقال : والله أعلم بصحة ما يقال : إن
(طاها) في لغة عك في معنى يارجل . ولعل عك تصرفوا في (ياهذا) كأنهم في
لغتهم قالون الباء طاء فقالوا في (يا) : (طا) ، واختصروا (هاذا) فاقتصروا على
(ها) . وأثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به ، يريد بيت ابن
المهلهل ^(٤) .

ونسب الرازي التفسير إلى ابن عباس وسعيد بن جبير ، ومجاهد والحسن
والكلبي . ثم قال : لا يجوز - إن ثبت على هذا المعنى - إلا في لغة العرب . إذ
القرآن بهذه اللغة نزل . فيحتمل أن تكون لغة العرب في هذه اللفظة موافقة لسائر
اللغات التي حكيناها . فأما على غير هذا الوجه فلا يحتمل ولا يصح .

(١) الجامع ١١/١٦٥ . أبو حيان ٦/٢٢٤ . الشوكاني ٣/٣٥٥ . الآلوسی ١٦/١٤٨ .

(٢) الجامع ١١/١٦٦ . الشوكاني ٣/٣٥٥ .

(٣) جامع ١٦/١٠٣ .

(٤) الكشف ٢/٥٢٨ . الرازي ٣/٢٢ . أبو حيان ٦/٢٢٤ . الآلوسی ١٦/١٤٨ .

وقال : اعترض بعضهم على قول الزمخشري وقالوا : لو كان كذلك لوجب أن يكتب أربعة أحرف (طاها) ^(١) .

ونسب القرطبي التفسير إلى ابن عباس وسعيد والسدي فقط ، ثم عقب على ما قيل عن أصلها : الصحيح أنها - وإن وُجدت في لغة أخرى - فإنها من لغة العرب ، وأنها يمنية في عك وطىء وعكل ^(٢) .

ولم ينسب عياض التفسير إلى أحد ^(٣) .

ونسبه أبو حيان إلى من نسبه الرازي إليهم ، غير أنه حذف منهم الكلبي ، وأضاف إليهم عطاء ، كما أضاف - دون نسبة - أن الكلمة بالعبرانية ^(٤) .

وتغاضى عن شك الزمخشري ، ووصف توجيهه بأنه تخرص وحزر على عك بما لا يقوله نحوى . فلا يوجد في لسان العرب قلب يا التي للنداء طاء ، ولا حذف اسم الإشارة ، وإقرار (ها) التي للتنبيه ^(٥) .

ونسب ابن كثير التفسير إلى من نسبه أبو حيان إليهم ، ثم أضاف إليهم الضحاك ومحمد بن كعب وعطية بن سعد العوفي وقتادة والسدي والثوري وأبا مالك وابن أبيزى . ونسب بنطية الكلمة إلى ابن عباس وسعيد والثوري ^(٦) . واتفق على بن أحمد الواحدي والنيسابوري مع الرازي في نسبة التفسير ، غير أن الأول زاد الضحاك وقتادة ، وزاد الثاني قتادة وحده ^(٧) .

ونسب الشوكاني القول بنطية الكلمة إلى سعيد والسدي ، وبطائيتها إلى عكرمة والحسن وقطرب ، وبسريانيتها إلى المهدوي . ثم عقب على هذه

(١) مفاتيح ٣/٢٢ .

(٢) الجامع ١٦٦/١١ . أبو حيان ٢٢٤/٦ .

(٣) الشفا ٣٢/١ . لباب ٢٥٦/٣ . حمودة ٢٨١/٣ .

(٤) البحر ٢٢٤/٦ .

(٥) نفسه . الآلوسى ١٤٨/١٦ .

(٦) ابن كثير ١٥٠/٣ .

(٧) غرائب ٧٨/١٦ . الشوكاني ٣٥٥/٣ .

الروايات قائلا : لا مانع من أن تكون هذه الكلمة موضوعة لذلك المعنى فى تلك اللغات كلها إذا صح النقل ^(١) .

وكرر الشوكانى الحديث مهملًا عن أصول هذه الكلمة . فذكر أن بعضهم يقول : هى بلسان الحبشة ، والنبطية ، والسريانية . ويقول الكلبي : هى بلغة عك . وصرح بأن الواحدى روى عن ابن الأنبارى : لغة قريش وافقت تلك اللغة فى هذا المعنى ، لأن الله لم يخاطب نبيه بلسان غير قريش ^(٢) .

وجاء الشوكانى بمقولة لها أهمية خاصة حين قال : إذا تقرر أنها لهذا المعنى فى لغة من لغات العرب ، كانت ظاهرة المعنى ، واضحة الدلالة ، خارجة عن فواتح السور التى قدمنا بيان كونها من المتشابه فى فاتحة سورة البقرة . وهكذا إذا كانت لهذا المعنى فى لغة من لغات العجم ، واستعملتها العرب فى كلامها فى ذلك المعنى ، كسائر الكلمات الأعجمية التى استعملتها العرب الموجودة فى الكتاب العزيز . فإنها صارت بذلك الاستعمال من لغة العرب ^(٣) .

ومعنى ذلك أن طه - وأضيف إليها يس - كلمة تامة ، وليست من حروف الهجاء المقطعة . وفعلا تعامل المسلمون معهما على هذا الاعتبار ، فتسموا بهما دون غيرهما من تكوينات الحروف .

وجمع الآلوسى الأقوال فقال : وعن ابن عباس فى رواية جماعة عنه ، والحسن وابن جبير وعطاء ، وهى الرواية الأخرى عن مجاهد : أن المعنى يارجل . واختلفوا : ف قيل : هو كذلك بالنبطية ، وقيل : بالحبشية ، وقيل : بالعبرانية ، وقيل : بالسريانية ، وقيل : بلغة عكل ، وقيل : بلغة عك .

وعلق على قول ابن الأنبارى السالف : لا يخفى أن مسألة وقوع شئ بغير لغة قريش من لغات العرب فى القرآن خلافية . وقد بسط الكلام عليها فى الاتقان ، والحق الوقوع ^(٤) .

(٢) فتح ٣٥٦/٣ .

(١) فتح ٣٥٥/٣ .

(٣) نفسه .

(٤) روح ١٤٨/١٦ .

يافلان .

ونقل ابن كثير عن السدى : معنى ﴿ طه ﴾ : يافلان ^(١) .

يتضح أن ﴿ طه ﴾ و ﴿ يس ﴾ دون بقية الحروف أطبق المفسرون - أو كادوا - على أنهما كلمتان تامتان وليستا حروفاً مقتطعة ، وإن كان الشوكاني هو الذى نبه على ذلك صراحة . نستنبط ذلك من قولهم لإنهما مأخوذتان من هذه اللغة أو تلك .

وإذا أمعنا النظر فى اللغات التى ذكروا أن الكلمتين مأخوذتان منها أمكن أن نجعلها مجموعتين :

مجموعة غير سامية ، تتألف من اليونانية والقبطية .

ومجموعة سامية ، أقسمها إلى فئتين :

فئة شمالية تتألف من العبرية والسريانية والنبطية ،

وأخرى جنوبية تتألف من الحبشية ولهجات القبائل اليمنية .

وغير بعيد أن تكون الكلمتان موجودتين فى إحدى هذه اللغات السامية ، أو فيها جميعها ، أو واحدة منهما فى إحداها والأخرى فى أخرى .
وإذا صح هذا استوى أن يكون معناه يافلان ، أو ياإنسان ، أو يارجل ، فالمرادى واحد ، والمراد به رسولنا - ﷺ ، ومن ثم جاء التفسير يا حبيبى .

مايتعلق بالنبي

حكى الرازى عن جعفر بن محمد الصادق فى ﴿ طه ﴾ : الطاء طهارة أهل البيت ، والهاء هدايتهم ^(٢) .

وذهب عياض إلى هذا المذهب من التفسير ، غير أنه لم يذكر جعفر ، ونقل الصفتين من آل البيت إلى شخص الرسول - ﷺ ^(٣) .

(١) ابن كثير ٢٢٤/٦ . الآلوسى ١٤٨/١٦ .

(٢) مفاتيح ٣/٢ ، ٣/٢٢ . النيسابورى ٧٨/١٦ .

(٣) الشفا ٣٢/١ . القرطبى ١٦٦/١١ .

وروى عياض عن ابن عطاء في ﴿ق﴾ : أقسم الله بقوة قلب حبيبه محمد ، حيث حمل الخطاب ، ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله ^(١) .

وروى في ﴿حم عسق﴾ : قيل : هذا في شأن النبي - ﷺ - فالحاء حوضه المورود ، والميم ملكه الممدود ، والعين عزه الموجود ، والسين سنه المشهود ، والقاف قيامه في المقام المحمود ، وقربه في الكرامة من الملك المعبود ^(٢) .

وروى الزركشى في ﴿المص﴾ : قيل : أشار بالميم لمحمد ، وبالصاد للصديق . وفيه إشارة لمصاحبة الصاد الميم وأنها تابعة لها ، كمصاحبة الصديق لمحمد ومتابعته له ^(٣) .

وروى النيسابوري عن أهل التصوف في ﴿حم عسق﴾ : حاء حبه ، وميم محبوبة محمد ، وعين عشقه ، وقاف قربه إلى سيده . أقسم الله أنه يوحى إليه وإلى سائر الأنبياء من قبله : أنه محبوبه في الأزل ، وتبعية خلق الكائنات ^(٤) .

* * *

(١) الشفا ٣٤/١ . القرطبي ٢/١٧ . الإتيان ١٤/٢ .

(٢) القرطبي ٣/١٦ . الخازن ٩٠/٤ .

(٣) البرهان ١٧٠/١ .

(٤) النيسابوري ٢٢/٢٥ .

أَسْمَاءُ أَنْبِيَاءٍ وَمَلَائِكَةٍ

نقل ابن عطية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن كل واحد منها إما أن يكون اسم ملك من ملائكة الله أو نبي من أنبيائه (٢) .

واستبعدت د. عائشة هذا التفسير (٣) .

وروى الطبرسي عن ابن عباس أيضا في ﴿الم﴾ : الألف منه تدل على اسم الله ، واللام تدل على اسم جبرائيل ، والميم تدل على اسم محمد (٤) .

وعقب ابن الجوزي على هذا قائلا : فإن قيل : إذا كان قد تُنَوَّل من كل اسم حرفه الأول اكتفاء به ، فلم أُخِذَت اللام من جبريل ، وهي آخر الاسم ؟ فالجواب أن مبتدأ القرآن من الله ، فدل على ذلك بابتداء أول حرف من اسمه ، وجبريل انختم به التنزيل والإقراء ، فتناول من اسمه نهاية حروفه ، ومحمد مبتدأ في الإقراء ، فتناول أول حرف فيه (٥) .

ووقف الرازي بهذا القول عند الضحاك بن مزاحم . وأضاف عليه : أي أنزل الله الكتاب : على لسان جبريل ، إلى محمد (٦) .

وعلق الآلوسي على هذا القول قائلا : في ذلك إشارة إلى سر التثليث (٧) . فعابه محسن عبد الحميد ، وعده من أقبح الأقوال ، وقال : إننا إذا أعطينا المجال

(١) المحرر ١٤٠/١ . الشوكاني ٢٩/١ .

(٢) عائشة ١٢٩ ، ١٣٧ .

(٣) الإعجاز ١٣٧ .

(٤) مجمع ٣٢/١ . عياض ٣٤/١ . ابن الجوزي ٢٢/١ . الرازي ٦/٢ . القرطبي ١٥٥/١ .

ابن جزى ٦٠/١ . البيضاوي ١٣/١ . أبو السعود ٢٤/١ . شرف ٤١ . إسماعيل ٢٦٥ . العدل ١٣ .

(٥) زاد ١٢٢/١ .

(٦) مفاتيح ٦/٢ ، ٧ . البيضاوي ١٣/١ . أبو السعود ٢٤/١ . الزرقاني ٢٢٥/١ . شرف ٤١ .

إسماعيل ٢٦٥ .

(٧) روح ١٠٣/١ .

للتأويل ، وألقينا الجبل على الغارب ، جاء شخص ، فزعم أن التثليث الذى يدعيه النصارى موجود حتى فى القرآن الكريم ^(١) .

ويبدو أن أبا بكر محبى الدين محمد بن على الحاتمى المعروف بابن عربى الصوفى اعتمد على هذا القول حين قال فى الباب ١٩٨ من كتابه « الفتوحات المكية » : اعلم أن جميع الحروف المقطعة أوائل السور ملائكة . وقد اجتمعت بهم فى بعض الوقائع . وما منهم ملك إلا وأفادنى علما لم يكن عندى فهم فيه . وهم من جملة أشياخى من الملائكة . فإذا نطق القارئ بهذه الحروف كان مثل ندائهم فيجيبونه لأنه ثمة رقائق ممتدة من ذواتهم إلى أسمائهم . فإذا قال القارئ : ﴿ الم ﴾ مثلا ، قال هؤلاء الثلاثة من الملائكة : ماتقول ؟ فيقول القارئ مابعد هذه الحروف . فيقولون له : صدقت ، إن كان خيرا ، ويقولون : هذا مؤمن نطق بحق ، وأخبر بحق . فيستغفرون له . وهكذا القول فى ﴿ المص ﴾ ونحوها . وهم أربعة عشر ملكا ، آخرهم ﴿ ن ﴾ . وقد ظهوروا فى منازل القرآن على وجوه مختلفة : فمنازل ظهر فيها ملك واحد ، وهو ص وق ون . ومنازل ظهر فيها اثنان مثل طس ويس وحم ... وصورها مع التكرار تسعة وسبعون ملكا ، بيد كل ملك شعبة من الإيمان ، فإن الإيمان بضع وسبعون درجة ، والبضع من واحد إلى تسع . فقد استوفى هنا غاية البضع ^(٢) .

وذهب د. على حلمى موسى فى الصفحة ١٣ من أهرام ١٩٩٣/٣/٣ إلى أن هذه الحروف أسماء أنبياء ، واستدل على ذلك بعقد صلة بين كل فاتحة واسم النبى أو الأنبياء المذكورين فى سورتها . قال : أثبت الإحصاء القرآنى ورود أسماء الأنبياء فى ٤٩ سورة من سور القرآن ، منها ١٨ سورة وردت بها أسماء الأنبياء بكثرة ، وهى البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس وهود ويوسف ومريم وطه والأنبياء والشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والصفافات

(١) الآلوسى ٢٥٥ .

(٢) الشعرانى ٩٩/١ . شقرف ٤٨ .

وص . منها ثلاث مسماة بأسماء الأنبياء ، يونس وهود ويوسف ، وخمس لا تبدأ بحروف ، وعشر إذا رتبنا تاريخيا ظهرت في ثلاث مجموعات كالاتى :

الأولى : ص ، والمص ، وكهيعص .

الثانية : طه ، طسم ، طس .

الثالثة : الم .

وبالدراسة المتأنية نستنتج أن حرف الصاد هو للدلالة على ورود أسماء الأنبياء . ويشير حرف الكاف فى ﴿ كَهْيَعَص ﴾ إلى زكريا ، والهاء إلى إبراهيم ، والياء إلى يحيى ، والعين إلى عيسى . ويظهر الهاء فى سورة « طه » رمزا إلى هارون لأنه ورد فى هذه السورة أكثر من أى سورة أخرى .

* * *

أسماء للسور

مر بنا أن النبي - ﷺ - أجاب الأعرابي الذي سأله عن (حم) ، فقال : بدء أسماء وفواتح سور ، فلعل الشطر الأول من الجواب يعنى أنها أسماء للسور ^(١) . ولكن التفسير جاءنا صريحا من أبي فاختة سعيد بن علاثة مولى أم هانئ ، الذى ذكر أن الحروف أسماء للسور التى افتتحت بها ^(٢) .

ووافقه مجاهد وعكرمة والحسن البصرى وقتادة بن دعامة السدوسى وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن وابن جريج والخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه ويونس الجرمى ^(٣) . وأتى بهذا القول دون أن ينسبه إلى أحد كثيرون ^(٤) .

وذكر أبو عبيدة أن صاحب هذا القول احتج بقول شريح بن أوفى العبسى :
يذكرنى حاميم والرمح شاجرٌ فهلاً تلا حاميم قبل التقدم

(١) ابن عطية ٤/١٣ . القرطبي ٢٨٩/١٥ . أبو حيان ٤٤٦/٧ . النيسابورى ٢٤/٢٤ .

(٢) ابن الجوزى ٢١/١ .

(٣) الطبرى ٦٧/١ ، ٧٣ . تنزيه ١١ . الطوسى ٤٧/١ . البغوى ٤٤/١ . ابن عطية ١٣٨/١ . الطبرسى ٣٢/١ . ابن الجوزى ٢١/١ . الرازى ٤/١٢ . القرطبي ١٥٦/١ ، ٣٠٤/٨ ، ١١٨/٩ ، ٨٨/١٣ . الخازن ٢٠٨/٢ . ابن كثير ٣٦/١ . الإتقان ١١/٢ . الآلوسى ٢٠٣/١١ . أحمد ٢١١ . حمادة ١٦١ . العدل ١٣ .

(٤) أبو عبيدة ١٩٣/٢ . غريب ابن قتيبة ٣٦ ، وتأويله ٢٣٠ - ٢٣١ . الطبرى ١١/٢٩ . ابن عطية ٤٢٣/٩ ، ٢٧١/١٢ ، ٥٢٤/١٣ . الرازى ١٧٧/١٧ ، ٧٢/١٩ ، ٢٦/٢٧ ، ٩٣ . القرطبي ٧٤/١١ ، ١٦٦ ، ٣٢٣/١٣ ، ٥٦/١٦ ، ٢٢٤/١٨ . الخازن ١٧٢/٣ ، ٣٩٣ ، ٣٠/٤ ، ٣٢ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ١٧٤ ، ١٩٢ ، ٣٩٣ . ابن جزي ٦٠/١ . أبو حيان ٣٨٣/٧ . البيضاوى ١٢/١ . الزركشى ١٧٤/١ ، ٢٤٨ . النيسابورى ١٢٣/١ ، ٢٢/٢٥ . أبو السعود ٢٥/١ ، ٢/٥ . الشوكانى ٣٥٥/٣ - ٣٥٦ . الآلوسى ٩٩/١ ، ٥٩/١١ ، ٥٧/١٦ ، ١٤٨ . المنار ١٠٣/١ ، ١٥٤/٣ ، ٢٦٤/٨ . الزرقانى ٢٢١/١ . صبيح ١٠٠ . الصالح ٢٤١ . حمودة ٢٨١/٣ . غلاب ٣٨ . رزور ١٤٢ . عبد التواب ١٧٠ . العدل ١٣، ١١ .

وقول الكميت بن زيد الأسدي :

وجدنا لكم في آل حاميم آية تأولها منا تقى ومغرب^(١)
وأوضح ابن قتيبة هذا القول فقال : فإن كانت أسماء فهي أعلام تدل على
ماتدل عليه الأسماء من أعيان الأشياء وتفرق بينها . فإذا قال القائل : قرأت
(المص) أو (ص) أو (ن) دلّ بذلك على ماقرأ ، كما تقول : لقيت محمدا ،
وكلمت عبد الله . فهي تدل بالاسمين على العينين^(٢) . وإن كان قد يقع بعضها
مثل (حم) و (الم) لعدة سور ، فإن الفصل قد يقع بأن تقول : حم السجدة ، والم
البقرة ، كما يقع الوفاق في الأسماء ، فتدل بالإضافات وأسماء الآباء والكنى^(٣) .
ورجع القاضي عبد الجبار كون هذه الحروف أسماء للسور على كونها
أسماء لله ، قائلا : الحق إن قوله : (المص) اسم لقب لهذه السورة . وأسماء
الألقاب لانفيد فائدة في المسميات ، بل هي قائمة مقام الإشارات . والله أن
يسمى هذه السورة (المص) كما أن الواحد منا إذا حدث له ولد فإنه يسميه
بمحمد^(٤) .

وأعلن الزمخشري أن على هذا القول إطباق الأكثر ، وأن سيبويه جعل عنوان
الباب الذي خصصه لها في حدّ مالا ينصرف « باب أسماء السور »^(٥) .

(١) مجاز ١٩٣/٢ .

(٢) تأويل ٢٣٠ - ٢٣١ . الطبري ٦٩/١ . البغوي ٤٤/١ .

(٣) تأويل ٢٣١ . الطبري ٦٩/١ . تنزيه ١١ . الرازي ٩/٢ . الزركشي ١٧٤/١ . المنار
١٢٢/١ . الزرقاني ٢٢١/١ . أحمد ٢١١ . حمادة ١٦١ . زرزور ١٤٢ . شرف ٤٠ . خليف ٨٢ .
العدل ١٧ .

(٤) الرازي ١٥/٢ .

(٥) الكشف ٨٣/١ ، ٢٤٠/٣ ، ٣٥٩ ، ٤٤١ ، ٥٠٨ . النسي ٩/١ . ابن كثير ٣٦/١ .
البيضاوي ١٣/١ . الزركشي ١٧٤/١ . النيسابوري ١٢٠/١ ، ١٢٣ . الشريبي ١٥/١ . أبو السمود
٢٥/١ . الآلوسي ٥٩/١١ ، ٢٠٣ ، ١٦١/٢٣ . صبيح ١٠٠ . شرف ٣٩ . عائشة ١٢٩ ، ١٤١ .
أحمد ٢١١ . حمادة ١٦١ . إسماعيل ٢٦٥ . العمري ١١٣ . خليف ٨٢ . كفاي ١٣٤ . العدل
١١ .

ثم أعلن الرمخشري : هي في ذلك على ضربين :

أحدهما : مالا يتأتى فيه إعراب نحو كهيص والمر .

والثاني : مايتأتى فيه الإعراب . وهو إما أن يكون اسما فردا مثل ص ، وق ، ون ، أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد مثل حم . وطس ، ويس ، فإنها موازنة لقابيل وهابيل .

فالنوع الأول محكى ليس إلا . وأما النوع الثاني فسائغ فيه الأمران : الإعراب والحكاية . قال قاتل محمد بن طلحة السجاد ، وهو شريح بن أوفى العنسى :

يذكرنى حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم

فأعرب حاميم ومنعها من الصرف . وهكذا كل مأعرب من أخواتها ، لاجتماع سببي منع الصرف فيها ، وهما العلمية والتأنيث .

والحكاية أن تجيء بالقول - بعد نقله إلى العلمية - على استيفاء صورته الأولى ، كقولك : بدأت بـ « الحمد لله » وقرأت سورة « أنزلناها » (١) .

وتصور من يعترض على عد هذه الحروف - عند تعددها في مفتتح السورة الواحدة - أسماء لها ، ويقول إن القرآن إنما نزل بلسان العرب ، مصبوبا في أساليبهم واستعمالاتهم ، والعرب لم تتجاوز ماسموا به مجموع اسمين ، ولم يسم أحد منهم بمجموع ثلاثة أسماء وأربعة وخمسة . والقول بأنها أسماء السور حقيقة يخرج إلى ما ليس في لغة العرب ، ويؤدى أيضا إلى صيرورة الاسم والمسمى واحدا ، وإنما له محمل سوى ماذهب إليه ، وأنه نظير قول الناس : فلان يروى (قفانبك) ، و (عفت الديار) ؛ ويقول الرجل لصاحبه : ماقرأت ؟ فيقول ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [سورة الفاتحة : ٢] و ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [سورة التوبة : ١] و ﴿ يُؤْمِكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ [سورة النساء : ١١] وليست هذه الجمل بأسامى هذه القصائد ، وهذه السور والآى ، وإنما تعنى رواية القصيدة التى ذاك استهلalها وتلاوة السورة أو الآية التى تلك فاتحتها . فلما جرى الكلام على

أسلوب من يقصد التسمية ، واستفيد منها ما استفاد من التسمية ، قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة .

وكان جوابه : التسمية بثلاثة أسماء فصاعدا مستكره لعمرى ، وخروج عن كلام العرب ، ولكن إذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت ... فلا استنكار فيها ، لأنها من باب التسمية بما حقه أن يحكى حكاية ، كما سموا بتأبط شرا ، وبرق نحره ، وشاب قرناها ... وناهيك بتسوية سيويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من أسماء حروف المعجم ، دلالة قاطعة على صحة ذلك .

وأما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا ، لأنها تسمية مؤلف بمفرد ، والمؤلف غير المفرد . ألا ترى أنهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين مضمومين إليه كقولهم صاد ، فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا ، حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا ^(١) .

وأيد الرازى هذا رأى ، وقال : هو قول أكثر المتكلمين ، واختيار الخليل وسيبويه . ونقل عن عبد الله بن أحمد المروزى المعروف بأبى بكر القفال أن العرب سمت بهذه الحروف أشياء . فسموا بلام حارثة بن لام الطائى ، وكقولهم للنحاس : صاد ، وللقند : عين ، وللسحاب : غين ، وللحوت : نون ، ولجبل : قاف ^(٢) .

وأفاض الرازى فى الدفاع عن هذا القول ، وإيراد ما قد يوجه إليه من اعتراضات ، وما يدفع هذه الاعتراضات . وألتقط من هذا الجدل ما يلى :

إما أن يكون المراد من هذه الحروف جعلها أسماء الألقاب أو أسماء المعانى .

(١) الكشف ٩٨/١ - ٩٠ . الرازى ٨/٢ - ١١ . إسماعيل ٢٦٦ .

(٢) مفاتيح ٥/٢ ، ١٧٤/٢٦ ، ٧٧/٣٠ . الزركشى ١٧٤/١ . النيسابورى ١٢٠/١ ، ١٢٣ .

شرف ٣٩ . العمرى ١١٣ .

والثاني باطل لما يأتى :

١ - أن هذه الألفاظ غير موضوعة فى لغة العرب لهذه المعانى التى ذكرها المفسرون ، فيمتنع حملها عليها ، لنزول القرآن بلغة العرب .

٢ - أن المفسرين ذكروا وجوها مختلفة . وليست دلالة هذه الألفاظ على بعض ماذكروه أولى من دلالتها على الباقي . فإما أن يحمل على الكل ، وهو متعذر بالإجماع ، أو لا يحمل على شىء منها .

واعترض على هذا بأنه لانزاع فى أنها وحدها غير موضوعة لشيء . ولكن لم لايجوز أن يقال : إنها مع القرينة المخصوصة تفيد معنى معيناً ؟
ورد على هذا الاعتراض بأننا لو فتحنا هذا الباب لانفتحت أبواب تأويلات الباطنية وسائر الهذيانات .

ولما بطل هذا القسم وجب الحكم بأنها من أسماء الألقاب .
ثم أورد الاعتراضات التالية على القول بأنها أسماء للسور :

١ - المقصود من اسم العلم إزالة الاشتباه ، والقول بأن هذه الحروف أسماء للسور لايزيله . ولا يمكن الاستدلال بالاشتراك الحاصل فى الأعلام ، لأن الأعلام تفيد التعيين والتبريك ، بخلاف هذه الحروف ، فلا فائدة فيها سوى التعيين . فإذا لم تفده كانت التسمية بها عبثاً محضاً .

ورد الرازى على هذا الاعتراض بأنه لايبعد أن يكون فى تسمية السور الكثيرة باسم واحد - ثم يميز كل واحدة منها عن الأخرى بعلامة أخرى - حكمة خفية .

٢ - لو كانت هذه الحروف أسماء للسور لوجب أن يُعلم ذلك بالتواتر ، لأنها ليست على قوانين أسماء العرب . والأمور العجيبة تتوفر الدواعى على نقلها .

ورد الرازى بأن تسمية السورة بلفظة معينة ليست من الأمور العظام ، فجاز أن لاتبلغ فى الشهرة إلى حد التواتر .

٣ - لو كانت هذه الحروف أسماء للسور لوجب اشتهاار هذه السور بها لاغيرها من الأسماء ، كقولهم : سورة البقرة .

ورد الرازى بأنه لايبعد أن يصير اللقب أكثر شهرة من الاسم الأصلي . فكذا هاهنا .

٤ - هذه الألفاظ داخلة فى السورة وجزء منها ، وجزء الشىء مقدم عليه بالرتبة ، واسم الشىء متأخر عنه بالرتبة . فلو جعلناها أسماء للسور للزم التقدم والتأخر معا .

ورد الرازى بأن الاسم لفظ دال على أمر مستقل بنفسه من غير دلالة على زمانه المعين ، ولفظ الاسم كذلك ، فيكون الاسم اسما لنفسه . فإذا جاز ذلك فلم لايجوز أن يكون جزء الشىء اسما له .

٥ - لو كان الأمر كذلك لوجب أن لاتخلو سورة من سور القرآن من اسم على هذا الوجه .

ورد الرازى بأن وضع الاسم يكون بحسب الحكمة . ولايبعد أن تقتضى الحكمة وضع الحروف اسما لبعض السور دون بعض . على أن القول الحق : إنه تعالى يفعل مايشاء ^(١) .

وذكر القرطبى فى ﴿ طه ﴾ : قيل : هو اسم للسورة ومفتاح لها ^(٢) . ونسب الخازن هذا القول إلى من سماهم : جماعة من المحققين ^(٣) . وعضد ابن كثير هذا القول بنص حديث نبوى يوحى بأن هذه الحروف أسماء للسور . ذكر أنه ورد فى الصحيحين عن أبى هريرة : أن رسول الله - ﷺ - كان يقرأ فى صلاة الصبح يوم الجمعة : الم السجدة ، وهل أتى على الإنسان ^(٤) .

(١) مفاتيح ٨/٢ - ١١ . البياضى ١٣/١ - ١٤ . النيسابورى ١٢٣/١ - ١٢٤ . شرف ٥٤ - ٥٥ .

(٢) الجامع ١١/١٦٦ ، ١٣/٣٢٣ .

(٣) لباب ١/٢٦ .

(٤) ابن كثير ١/٣٦ . الزرقانى ١/٢٢١ . خليف ٨٢ .

وأخطأ الشرييني فظن أن الرازي نقض كون الحروف أسماء للسور ، معتلا بأنها لو كانت كذلك لوجب اشتهاها بها ^(١) . وقد رأينا أن ذلك اعتراض أورده الرازي ثم فنده .

ورجح رشيد رضا كونها أسماء للسور . واعترض على كون (ن) بمعنى الدواة أو الحوت ^(٢) .

وعقبت د. عائشة عبد الرحمن قائلة : لا يعنى هذا أنها أسماء السور حقيقة : بلى هى التسمية بما افتتحت به واستهلت . ونظيره قولهم : فلان يروى * قفانبك * و * عفت الديار * وقول القائل : قرأت من القرآن « الحمد لله » و « براءة » ^(٣) . وذكر د . يوسف خليف أن من مؤيدى هذا رأى من يستدلون عليه بوجود أربع سور سميت بالحروف صراحة ، وليس لها أسماء غيرها ، وهى طه ويس وص وق ^(٤) .

وعد د. محمد عبد السلام كفافى وعبد الله الشريف هذا القول من أوجه الآراء التى قرأها ^(٥) .

* * *

ونستبين من هذا أن القول بأن الحروف المقطعة أسماء للسور من أقدم تأويلات الحروف ، وأنه لقى قبولا عاما ، وأن الزمخشري والرازي هما اللذان اضطلعا بالقسط الأكبر من توضيحه والدفاع عنه .

* * *

(١) ١٥/١ .

(٢) المنار ٢٦٤/٨ .

(٣) الإعجاز ١٢٩ .

(٤) ٨٢ .

(٥) فى علوم ١٣٤ .

أسماء للقرآن

نقل القرطبي أن ابن عباس ذهب إلى أن ﴿ن﴾ اسم من أسماء القرآن ^(١) .
ونقل الطبري عن مجاهد قال : ﴿آلَمْ﴾ اسم من أسماء القرآن ^(٢) .
ونقل عن طريق معمر وسعيد عن قتادة أنها من أسماء القرآن ^(٣) .
وروى ابن عطية عنه : هي أسماء للقرآن كالفرقان والذكر ^(٤) .
وذهب إلى هذا القول الشعبي والسدي وزيد بن أسلم والكلبي وابن جريج
والخليل وسيبويه ^(٥) .
وأتى به جماعة دون نسبة إلى أحد ^(٦) .
وروى الطبري عن طريق معبد عن قتادة ذات مرة : ﴿ص﴾ : اسم من أسماء
القرآن ، أقسم الله به ^(٧) . وطبيعي أن ينسحب هذا القول على بقية الحروف .
وعلق الطبري على هذه الأقوال قائلا : فأما الذين قالوا : ﴿آلَمْ﴾ اسم من
أسماء القرآن ، فلقولهم ذلك وجهان :

(١) الجامع ١٢/١٧ .

(٢) جامع ٦٧/١ . الطوسي ٤٧/١ . ابن الجوزي ٢٢/١ . ابن كثير ٣٦/١ . شرارة ٣٠ - ٣١ .
(٣) جامع ٦٧/١ ، ٨٥/٨ ، ٥٨/١١ ، ٣٥/١٦ ، ٣٧/١٩ ، ٩٧/٢٢ ، ٧٥/٢٣ ، ٢٦/٢٤ ،
٩٣/٢٦ . الطوسي ٤٧/١ . البغوي ٤٤/١ . الطبرسي ٣٣/١ . ابن الجوزي ٢٢/١ . القرطبي
١٥٦/١ ، ٧٤/١١ ، ٨٨/١٣ ، ١٤٣/١٥ ، ٢٨٩ ، ٢/١٧ . الخازن ٢٠٨/٢ ، ١٧٢/٣ . ابن
كثير ٣٦/١ . النيسابوري ١٢١/١ . الشريبي ١٥/١ . أبو السعود ٢٥/١ . الألوسي ٥٨/١١ ،
٥٧/١٦ . إسماعيل ٢٦٦ . شرارة ٣٠ - ٣١ .

(٤) المحرر ١٢٩/١ ، ٢٧١/١٢ ، ٥٢٤/١٣ ، الإنتقان ١١/٢ . عائشة ١٢٩ .

(٥) الطبري ٦٧/١ . الطوسي ٤٧/١ . ابن الجوزي ٢٢/١ . الرازي ٦/٢ ، ٤/١٢ . ابن كثير
٣٦/١ .

(٦) عياض ٣٤/١ . القرطبي ٣٢٣/١٣ . الخازن ٣٩٣/٣ ، ٢/٤ ، ١٧٤ ، ١٩٢ . البيضاوي
١٤/١ . الشوكاني ٤٨٠/١ . الألوسي ١٦١/٢٣ . الصالح ٢٤١ . عبد التواب ١٦٩ . غلاب ٣٨ .
عائشة ١٢٩ .

(٧) جامع ٧٥/٢٣ . القرطبي ١٤٣/١٥ .

أحدهما أن يكونوا أرادوا أن ﴿الْمَدَّ﴾ اسم للقرآن كما الفرقان اسم له . وإذا كان معنى قائل ذلك كذلك ، كان تأويل قوله : ﴿الْمَدَّ﴾ (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴿ على معنى القسم ، كأنه قال : والقرآن هذا الكتاب لا ريب فيه .

والآخر منهما أن يكونوا أرادوا أنه اسم من أسماء السورة التي تعرف به كما تعرف سائر الأشياء بأسمائها التي هي لها أمارات تعرف بها . فيفهم السامع من القائل يقول : قرأت اليوم ﴿الْمَصَّ﴾ و ﴿ن﴾ ، أى السورة التي قرأها من سور القرآن ، كما يفهم عنه إذا قال : لقيت اليوم عمرا وزيدا ، وهما يزيد وعمرو عارفان من الذى لقي من الناس (٢) .

ورجح ابن كثير الوجه الثانى ، لأن المتبادر إلى فهم سامع من يقول : قرأت ﴿الْمَصَّ﴾ أن يكون ذلك عبارة عن سورة القرآن لا لمجموع القرآن (٣) .

وروى ابن قتيبة أن الكلبي ذهب إلى أن ﴿كَهَيْعَصَ﴾ مختصرة من صفات للقرآن ، وذكر أنه قال : هو كتاب كافٍ ، هادٍ ، حكيم ، عالم ، صادق (٤) . ورفض د. عبد التواب هذا القول (٥) .

ورفض د. محمد غلاب أن تكون هذه الحروف أسماء للقرآن قائلا : لسنا ندرى : كيف يكون معنى الآية الكريمة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْوَقْرَانِ الْمَجِيدِ﴾ عند صاحب هذا رأى ؟ أليكون معناها أقسم بالقرآن والقرآن المجيد ؟ هذا لعمر الحق كلام له خبيء ، معناه ليست لنا عقول (٥) .

وغاب عنه ما اعتادت العربية من التكرار باللفظ نفسه أو بمرادفه للتأكيد ، والقسم موضع من المواضع التي تحتاج إليه .

وعد د. عبد التواب هذا رأى غير صحيح ، يمكن أن يسقط من حسابنا ،

(١) الجامع ٦٩/١ .

(٢) ابن كثير ٣٦/١ .

(٣) تأويل ٢٣٠ .

(٤) حول ١٧٤ .

(٥) نظرات ٣٨ .

اعتمادا على وجود فرق بين التسميتين ، فإن الفرقان والذكر .. إلخ لها معان واضحة مفهومة ، بعكس الرموز . وحتى لو سلمنا بأن التسمية قد تكون أحيانا عديمة المعنى ، كأن يسمى إنسان ابنه بشخنعب مثلا ، فإن الكلام لا يستقيم إذا رفعنا الكثير من هذه الرموز ، ووضعنا بدلا منها لفظ القرآن ، مثل ﴿ كَهَيَّصَ ۖ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُ زَكِرَّى ﴾ [سورة مريم : ١] = القرآن ، ذكر رحمة ربك عبده زكريا .. (١) .

ورفض شرارة هذا الرأي اعتمادا على ابن كثير ود. عبد التواب ، وأضاف إليهما أن التسمية بهذه الأحرف للقرآن لم تشتهر بين العلماء ، وليس للتسمية بها وجه حكمة معقول (٢) .

(١) حول ١٧٠ . الزنجاني ٩٤ .

(٢) شرارة ٣٠ - ٣١ .

الدلالة على معاني شتى

أذكر هنا قول أبي العالية (الذى عزاه بعضهم للربيع) الذى أورده الطبرى . وأعلن أنه يريد أن كل حرف منها مأخوذ من كلمات شتى ، ودال على معانى جميع هذه الكلمات . وقصر بهم عن تمام حروف الكلمة أن جميع حروفها لو أظهرت ، لم تدل إلا على معنى واحد . ولما كان الله قد أراد الدلالة بكل حرف منها على معان كثيرة لم يجوز إلا أن يفرد الحرف الدال على تلك المعانى ، ليعلم المخاطبون به ما أراد (١) .

وعاب الطبرى الربيع بأنه قصر دلالة كل حرف على ثلاثة معان فقط ، واستصوب أن كل حرف منها يحوى ماقاله الربيع وماقاله غيره من المفسرين ، لم يستثن من ذلك إلا ما عابوه (٢) .

ثم قدم اعتراضا يقول : وكيف يجوز أن يكون حرف واحد شاملا الدلالة على معان كثيرة مختلفة ؟

وكان جوابه : كما جاز أن تكون كلمة واحدة تشتمل على معان كثيرة مختلفة ، كقولهم (أمة) للجماعة من الناس ، والحين من الزمان ، والرجل المتعبد لله ، والدين والملة ... فى أشباه كثيرة يطول الكتاب بإحصائها ! كذلك الحروف المقطعة (٣) .

ولو أن الله أراد بها الدلالة على معنى واحد مما تحتمله - دون سائر المعانى غيره - لأبان ذلك لهم رسول الله - ﷺ - إبانة غير مشككة ، إذ كان إنما أنزل كتابه على رسوله ليبين لهم ما اختلفوا فيه . وفى تركه - ﷺ - إبانة ذلك أوضح الدليل على أنه مراد به جميع وجوهه التى هو محتمل لها . كذلك يسأل كل من تأول شيئا من ذلك ، على وجه دون الأوجه الأخر ،

(١) جامع ٧٠/١ - ٧١ ، ٨٥/٨ . وانظر الرازى ١٤/١٤ .

(٢) جامع ٧٢/١ .

(٣) جامع ٧٢/١ - ٧٣ . ابن كثير ٣٦/١ . غلاب ٣٨ .

عن البرهان على دعواه . ثم يعارض بقول مخالفه في ذلك ، ويسأل الفرق بينه وبينه ، من أصل أو مما يدل عليه أصل ^(١) .

وسار أحمد بن فارس على الدرب الذي اقترحه الطبرى ووسعه ، فذهب إلى أن الله افتتح السور بهذه الحروف إرادة منه للدلالة بكل حرف منها على معان كثيرة لا على معنى واحد . فتكون جامعة : لأن تكون افتتاحا ، وأن يكون كل واحد منها مأخوذا من اسم من أسماء الله ، وأن يكون الله قد وضعها هذا الوضع فسمي بها ، أو أن يكون كل حرف منها في آجال قوم وأزاق آخرين . وهى - مع ذلك - مأخوذة من صفات الله فى إنعامه وإفضاله ومجده ، وأن الافتتاح بها سبب لأن يسمع القرآن من لم يكن سمع ، وأن فيها إعلاما للعرب أن القرآن الدال على نبوة محمد هو بهذه الحروف ، وأن عجزهم عن الإتيان بمثله - مع نزوله بالحروف المتعالمة بينهم - دليل على كفرهم وعنادهم وجحودهم ، وأن كل عدد منها - إذا وقع فى أول كل سورة - فهو اسم لتلك السورة ^(٢) .

وعارض ابن كثير كلام الطبرى قائلا : ليس هذا كما ذكره أبو العالية ، فإن أبا العالية زعم أن الحرف دل على هذا ، وعلى هذا ، وعلى هذا ، معا . ولفظة الأمة وما أشبهها من الألفاظ المشتركة فى الاصطلاح إنما دل فى القرآن فى كل موطن على معنى واحد ، دل عليه سياق الكلام . فأما حمله على مجموع محامله - إذا أمكن - فمسألة مختلف فيها بين علماء الأصول .

ثم إن لفظ الأمة يدل على كل من معانيها فى سياق الكلام بدلالة الوضع . فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر ، من غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر فى التقدير أو الإضمار بوضع ولا بغيره ، فهذا مما لا يفهم إلا بتوقيف . والمسألة مختلف فيها . وليس فيها إجماع حتى يحكم به ^(٣) .

(١) جامع ٧٣/١ .

(٢) الزركشى ١٧٥/١ . حمادة ١٦٦ . زرزور ١٤٩ . العمري ١١٦ . أبو زيد ٢١٩ .

(٣) ابن كثير ٣٦/١ - ٣٧ .

وعاد الآلوسى إلى درب الطبرى ووسعه . فذكر أن كل ماذكر الناس فيها
 رشفة من بحار معانيها . ومن ادعى قصرا ، فمن قصوره ؛ أو زعم أنه أتى بكثير ،
 فمن قلة نوره . والعارف يقول باندماج جميع مذكوره فى صدف فرائدها ،
 وامتزاج سائر ماسطوره فى طعام فوائدها . فإن شئت فقل : كما أنها مشتملة على
 هاتيك الأسرار ، يشير كل حرف منها إلى اسم من أسمائه ، وإن شئت فقل ...
 وإن شئت فقل غير ذلك . حَدَّثَ عن البحر ، ولا حَرْج ^(١) .

وذهب عبد الوهاب حمودة إلى أنه لا ضرر من تعدد الأسرار ، واختلاف
 الحكم ، مادام لا تناقض بينها ولا تعارض فى ورودها . فالواجب ألا تفسر هذه
 الحروف تفسيرا واحدا ، بل يمكن أن نرى فى بعضها الدلالة على تنبيه السامعين ،
 وفى بعضها الآخر الدلالة على الإعجاز ، كما يمكن أن نرى فى بعضها دلالة على
 نوع الموسيقى التى تحكم السورة ^(٢) .

ولكن د. عبد التواب لم يستطع أن يقتنع برأى حمودة ، اعتمادا على أنه إذا
 كانت هذه الرموز يربطها فيما بينها رباط واحد ، هو أنها جميعا تتكون من حروف
 هجائية ، منطوق بها كما تنطق الحروف الهجائية المجردة ، فإنها تتطلب جميعا
 تفسيرا واحدا ^(٣) .

ولكن د. غلاب خالف د. عبد التواب ووافق حمودة وقال : هى حروف
 مقطعة من أسماء وأفعال ، كل حرف من ذلك لمعنى غير معنى الحرف الآخر ،
 ونقل : هى حروف يشتمل كل حرف منها على معان شتى مختلفة ^(٤) .

وقال د. زرزور : ليس هناك ما يمنع من أن يراد بهذه الفواتح أكثر من معنى ،
 وأنها جاءت لتؤدى أكثر من غرض فى الكتاب الكريم ... والذى يترجع عندنا أنه
 أريد بها - والله أعلم - المعنيين الرئيسيان : التحدى والإعجاز من ناحية ،

(١) روح ١٠٣/١ .

(٢) رسالة ٧٤/١ . عبد التواب ١٧٤ .

(٣) حول ١٧٥ .

(٤) نظرات ٣٨ .

والدلالة الموسيقية والتمهيد النفسى والشعورى من جهة أخرى . وهذا لا يتعارض مطلقاً مع ماذهب إليه بعض السلف من اعتبارها أسماء للسور القرآنية . بل إن فيما ذهب إليه السلف مايشير إلى هذا الرأى الأخير لأنهم قالوا فى الفواتح : إنها أسماء السور ومفاتها (١) .

ويلى بيان للأشياء الفردية التى فسروا الحروف بها .

* * *

تفسير ﴿ ت ﴾

الدواة

نقل ابن كثير عن ابن عساكر عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : إن أول شىء خلقه الله القلم ، ثم خلق النون - وهى الدواة - ثم قال له : اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب ما يكون - أو ماهو كائن - من عمل أو رزق أو أثر أو أجل . فكتب ذلك إلى يوم القيامة . فذلك قوله : ﴿ ت ﴾ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿ ١ ٢ ٣ ﴾ ثم ختم على القلم ، فلم يتكلم إلى يوم القيامة . ثم خلق العقل وقال : وعزتى لأكملنك فيمن أحببت ، ولأنقصنك ممن أبغضت (٢) .

وسار على هذا التفسير عبد الله بن عباس والضحاك والحسن البصرى وقتادة . واعتمدوا على قول الشاعر :

إذا ما الشوق برّح بى إليهم أَلْقَتْ النونَ بالدمع السَّجوم (٣)

(١) القرآن ٤٩ .

(٢) ابن كثير ٤/٤٢٥ .

(٣) الطبرى ١٠/٢٩ . الزمخشري ١٤٠/٤ ، ابن عطية ٢٥/١٥ ، الرازى ٧٧/٣٠ . القرطبي ٢٢٣/١٨ . ابن كثير ٤/٤٢٥ . النسفى ٢٩٣/٤ . الخازن ٢٩٣/٤ . أبو حيان ٣٠٧/٨ . الإنفان ١٤/٢ . الآلوسى ٢٨/٢٨ . المنار ١٩٨/٨ . حمودة ٢٨٠/٣ .

اللوح

وروى الطبري عن معاوية بن قرة عن أبيه عن الرسول - ﷺ - قال : ﴿ تَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ لوح من نور يجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ^(١) .
ونقل السيوطي أنه قد قيل : إن ﴿ تَّ ﴾ هو اللوح المحفوظ ^(٢) .

الحوت

ونقل ابن كثير عن الطبراني عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله - ﷺ - : إن أول ما خلق الله القلم والحوت . قال للقلم : اكتب . قال : ما أكتب ؟ قال : كل شيء كائن إلى يوم القيامة . ثم قرأ ﴿ تَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ فالتون الحوت ، والقلم القلم ^(٣) .

وينسب إلى ابن عباس أن ﴿ تَّ ﴾ الحوت الذي تحت الأرض ، وتستقر الأرض على ظهره ^(٤) .

وينسب مثل ذلك إلى مرة الهمداني ومجاهد والسدي والكلبي ومقاتل وعطاء الخراساني ^(٥) .

وذكر الرازي أن الذين فسروا ﴿ تَّ ﴾ بالحوت افترقوا : فمنهم من قال : إنه قسم بالحوت الذي على ظهره الأرض ، وهو في بحر تحت الأرض السفلى ،

(١) جامع ١٠/٢٩ - ١١ . الزمخشري ١٤٠/٤ . ابن عطية ٢٥/١٥ . الرازي ٧٧/٣٠ . القرطبي ٢٢٣/١٨ . أبو حيان ٣٠٧/٨ . ابن كثير ٤٢٥/٤ . الآلوسي ٢٨/٢٨ .

(٢) الإتيقان ١٤/٢ .

(٣) ابن كثير ٤٢٥/٤ . الإتيقان ١٤/٢ .

(٤) الطبري ١٠/٢٩ - ٩ . الرازي ٧٧/٣٠ . ابن كثير ٤٢٥/٤ ، النسفي ٢٩٣/٤ . القرطبي ٢٢٣/١٨ . أبو حيان ٣٠٧/٨ .

(٥) الطبري ١٠/٢٩ . البغوي ٣٧٤/٤ . الزمخشري ١٤٠/٤ . الرازي ٧٧/٣٠ . القرطبي ٢٢٣/١٨ . أبو حيان ٣٠٧/٨ . ابن كثير ٤٢٥/٤ . الآلوسي ٢٨/٢٩ . المنار ١٩٨/٨ . حمودة ٢٨١/٣ .

ومنهم من قال : إنه قسم بالحوث الذى احتبس يونس - ﷺ - فى بطنه ؛ ومنهم من قال : إنه قسم بالحوث الذى لطح سهم نمرود بدمه ^(١) .

النصر

وروى القرطبي عن محمد بن كعب القرظي : أقسم الله بنصره للمؤمنين ؛ وهو حق ، بيانه قوله : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الروم : ٤٧] ^(٢) .

النهر

وروى القرطبي أيضا عن جعفر بن محمد الصادق : هو نهر من أنهار الجنة ^(٣) .

القلم

ونقل السيوطي عن الكرمانى عن الجاحظ : هو القلم ^(٤) .

المداد

وذكر الرازى أنه المداد الذى تكتب به الملائكة ^(٥) .
ورفض الرمخشري تفسير النون بالدواة أو اللوح أو الحوت ، قائلا : ما أدرى :
أهو وضع لغوى أم شرعى ، ولا يخلو - إذا كان اسما - من أن يكون جنسا
أو علما فلا بد له من أن يقع فى تأليف الكلام ، [ولا بد له من الإعراب] ^(٦) واتفق
معه أبو حيان قائلا : لعله لا يصح شيء من ذلك ^(٧) .

(١) مفاتيح ٧٧/٣٠ . ابن كثير ٤/٤٢٥ . النيسابورى ١٤/٢٩ .

(٢) القرطبي ٢٢٤/١٨ .

(٣) القرطبي ٣٠٧/٨ ، ٢٢٤/١٨ . أبو حيان ٣٠٧/٨ . الآلوسى ٢٨/٢٩ .

(٤) الإتيقان ١٤/٢ .

(٥) مفاتيح ٧٧/٣٠ . الإتيقان ١٤/٢ .

(٦) الكشف ١٤٠/٤ - ١٤١ . الرازى ٧٧/٣٠ . أبو حيان ٣٠٧/٨ . الآلوسى ٢٨/٢٩ .

(٧) البحر ٣٠٧/٨ . الآلوسى ٢٨/٢٩ .

وعلق الآلوسى على الرضى قائلا : كأنه - إن كان مطلعا على الروايات التى ذكرناها - لم يعتبر تصحيح الحاكم فيما روى أولا عن ابن عباس ، ولا كون أحد رواته الضياء فى المختارة التى هى فى الاعتبار قرينة من الصحاح ، ولا كثرة راويه عنه ، وهو الذى يغلب على الظن ، لكثرة الاختلاف فيما روى عنه فى تعيين المراد به ...

ولا يخفى - أنه إن أريد الحوت أو نهر فى الجنة - يصير الكلام من باب كم الخليفة وألف باذنجانة . وأما إن أريد الدواة . فالتنكير آيب عن ذلك أشد الإباء . على أنه - كما سمعت عن الزمخشري - لغة لم تثبت . والرد عليه إنما يتأتى بإثبات ذلك عن النقات ، وأتئى به ؟ وذكر صاحب القاموس لا ينتهض حجة على أنه معنى لغوى .

وفى صحة الروايات كلام . والبيت الذى أنشده ابن عطية لم يثبت عربيا . وكونه بمعنى الحوت أطلق على الدواة مجازا بعلاقة المشابهة ، فإن بعض الحيتان يستخرج منه شيء أشد سوادا من النّفس يكتب به . ولا يخفى مافيه من السماجة . فإن ذلك البعض لم يشتهر حتى يصح جعله مشبها به ، مع أنه لا دلالة للمنكر على ذلك الصنف بعينه : وكونه بمعنى الحرف مجازا عنها أدهى وأمر . كذا قيل ^(١) .

ورفض رشيد رضا هذه التفسيرات أيضا . قال : نعم ، قد قيل : إن (ن) هنا بمعنى الدواة ، ولذلك قرن بالقلم لبيان أن هذا الدين يقوم بالعلم والكتابة ، كما قال فى أول منازل عليها قبلها : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ [الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ] سورة العلق : ٣ ، ٤ [وقيل : إنه بمعنى الحوت لأن فى السورة ذكرا لصاحب الحوت يونس . ولو صح هذا أو ذاك لما كتبت النون مفردة ، ونطقت ساكنة ، بل كانت تذكر مركبة ومعربة كقوله : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا ﴾ [سورة الأنبياء : ٨٧] ^(٢) .

أضيف إلى ذلك أن قارئ حديثي أبي هريرة وابن عباس لن يفوته أنهما يتحدثان عن أمر واحد على الرغم من الاختلاف بينهما ، كما أن تفسير (ن) بالحوث أو النصر أو النهر يفقد سياق الآيات اتساقها .

تفسير (ق)

اسم جبل

قال الآلوسی : أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس قال : خلق الله من وراء هذه الأرض بحرا محيطا ، ومن وراء ذلك جبلا يقال له (قاف السماء) الدنيا مترفة عليه . ثم خلق من وراء ذلك الجبل أرضا مثل تلك الأرض سبع مرات ، ثم خلق من وراء ذلك بحرا محيطا بها . ثم خلق وراء ذلك جبلا يقال له : قاف السماء الثانية ، مترفة عليه ، حتى عد سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبل .

ولم أجد أنا حديث ابن عباس هذا منسوبا إليه في سورة ق من تفسير الطبري .

واستمر الآلوسی يقول : وأخرج ابن أبي الدنيا في العقوبات ، وأبو الشيخ ، عن ابن عباس أيضا ، أنه قال : خلق الله جبلا يقال له : قاف ، محيطا بالعالم ، وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض . فإذا أراد الله أن يزلزل قرية ، أمر ذلك الجبل فحرك العرق الذي يلي تلك القرية ، فيزلزلها ويحركها . فمن ثم تحرك القرية دون القرية ^(١) .

وقال السيوطي : قيل ﴿ ق ﴾ : جبل محيط بالأرض ، أخرجه عبد الرزاق عن مجاهد ^(٢) .

ونقل القرطبي عن عبد الله بن بريدة في ﴿ حم عسق ﴾ : اسم الجبل

(١) روح ١٧١/٢٦ .

(٢) الإتقان ١٤/٢ . الفراء ٧٥/٣ . عياض ٣٤/١ . الرازي ١٤٥/٢٨ . غلاب ٣٨ .

المحيط بالدنيا ^(١) . ونقل الآلوسی عن ابن بريدة : جبل من زمرد محيط بالدنيا ، عليه كنفا السماء ^(٢) .

وقال الخازن : جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء ، متصلة عروقه بالصخرة التي عليها الأرض والسماء كهيئة القبة ، وخضرة السماء منه ، والعالم داخله ، ولا يعلم ماوراءه إلا الله . ويقال : هو من وراء الحجاب الذى تغيب الشمس من ورائه مسيرة سنة ^(٣) .

وقال السيوطى فى ﴿ حم عسق ﴾ : إنه جبل ﴿ ق ﴾ ^(٤) .

وكان من العلماء من رفض هذه الأقوال وأمثالها . فاستضعف الرازى التفسير بأنه جبل اعتمادا على الوجوه الآتية :

أحدها أن القراءة الوقف ، ولو كان اسم جبل ، لما جاز الوقف فى الإدراج ، لأن من قال ذلك قال بأن الله أقسم به .

وثانيها أنه لو كان كذلك ، لذكر بحرف القسم كما فى قوله تعالى : ﴿ والطور ﴾ ، وذلك لأن حرف القسم يحذف حيث يكون المقسم به مستحقا لأن يُقسم به ، كقولنا : الله لأفعلن كذا ، ولا يحسن أن يقال : زيد لأفعلن .

ثالثها أنه لو كان كما ذكر لكان يكتب قاف مع الألف والفاء كما يكتب ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ [سورة الغاشية : ١٢] ويكتب ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [سورة الزمر : ٣٦] ، ولكنه فى جميع المصاحف يكتب حرف (ق) .

رابعها : أن الظاهر أن الأمر فيه كالأمر فى (ص ، ن ، حم) وهى حروف

(١) الجامع ٢/١٦ . وانظر الطبرى ٩٣/٢٦ ، ابن عطية ٥٢٤/١٣ . الرازى ١٤٥/٢٨ . ابن كثير ٢٣٦/٤ .

(٢) روح ١٧١/٢٦ .

(٣) لباب ١٧٤/٤ . وانظر النيسابورى ١٠٤/٢٦ - ١٠٥ .

(٤) الإتيقان ١٤/٢ .

لا كلمات . فإن قيل : هو منقول عن ابن عباس ، نقول المنقول عنه أن قاف اسم جبل ، وأما أن المراد في هذا الموضع به ذلك ، فلا ^(١) .

وذكر الآلوسی أن أحمد بن إدريس المعروف بالقرافي أعلن أن جبل قاف لا وجود له ، وبرهن عليه بما برهن ، ثم قال : لا يجوز اعتقاد مالا دليل عليه ^(٢) . وعاب ابن كثير الخبر المنسوب إلى ابن عباس ، فرماه بأنه أثر غريب لا يصح سنده ، لأن فيه انقطاعا .

ولم يقتصر على ذلك بل رفض كل المرويات وأمثالها ، فقال : كأن هذا من خرافات بنى إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس ، لما رأى من جواز الرواية عنهم فيما لا يصدق ولا يكذب .

وعندى أن هذا وأمثاله من اختلاق بعض زنادقهم ، يلبسون به على الناس أمر دينهم ، كما افترى في هذه الأمة - مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها - أحاديث عن النبي - ﷺ - وما بالعهد من قدم . فكيف بأمة بنى إسرائيل ، مع طول المدى ، وقلة الحفاظ النقاد فيهم ، وشربهم الخمر ، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه ، وتبديل كتب الله وآياته ؟ وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله : « وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج » فيما قد يجوزه العقل . فأما فيما تحيله العقول ، ويحكم فيه بالبطلان ، ويغلب على الظنون كذبه ، فليس من هذا القبيل ^(٣) .

ولكن أحمد بن محمد المعروف بابن حجر الهيتمي تعقب القرافي فقال : يرد ذلك ماجاء عن ابن عباس من طرق خرّجها الحفاظ ، وجماعة منهم ممن التزموا تخريج الصحيح . وقول الصحابي ذلك ونحوه مما لا مجال للرأى فيه ، حكمه حكم المرفوع إلى النبي - ﷺ - . وقال : وكما يندفع بذلك قوله : لا وجود

(١) مفاتيح ١٤٧/٢٨ .

(٢) روح ١٧١/٢٦ .

(٣) ابن كثير ٢٣٦/٤ - ٢٣٧ .

له ، يندفع قوله : ولا يجوز اعتقاد .. إلخ ، لأنه إن أراد بالدليل مطلق الأمانة ، فهذه عليه أدلة ، أو الأمانة القطعية فهذا مما يكفى فيه الظن كما هو جليّ (١) .

وكان الآلوسی على حق حين ختم حديثه بقوله : الذى أذهب إليه مآذهب إليه القرافى من أنه لا وجود لهذا الجبل بشهادة الحس . فقد قطعوا هذه الأرض برها وبحرها على مدار السرطان مرات فلم يشاهدوا ذلك . والظن فى صحة هذه الأخبار - وإن كان جماعة من رواتها ممن التزم تخريج الصحيح - أهون من تكذيب الحس . وليس ذلك من باب نفى الوجود لعدم الوجدان كما لا يخفى على ذوى العرفان (٢) .

ولو كان الآلوسی يعيش معنا عصر الصواريخ ومركبات الفضاء التى مكنت الإنسان من رؤية كل بقعة فى الأرض وحولها ، لآزداد اطمئنانا إلى الرأى الذى رأى .

اسم بحر

روى القرطبي عن عكرمة : سأل نافع بن الأزرق عبد الله بن عباس عن ﴿ص﴾ فقال : كان بحرا بمكة ، وكان عليه عرش الرحمن ، إذ لا ليل ولا نهار (٣) .

وروى عن سعيد بن جبیر قال : بحر يحيى الله به الموتى بين النفختين (٤) . وعلق الآلوسی على هذين القولين بما يوحى بالشك ، إذ قال : والله أعلم بصحة هذين الخبرين (٥) .

ولا أشك أنه ينطبق عليهما ما نقلت من قول ابن كثير فى تفسير ﴿ق﴾ .

(١) الآلوسی ١٧١/٢٦ .

(٢) نفسه .

(٣) الجامع ١٤٣/١٥ . النيسابورى ٨٢/٢٣ . الإتيقان ١٤/٢ . الآلوسی ١٦١/٢٣ .

(٤) الجامع ١٤٣/١٥ . النيسابورى ٨٢/٢٣ . الإتيقان ١٤/٢ . الشوكاني ٤١٩/٣ . الآلوسی

١٦١/٢٣ .

(٥) روح ١٦١/٢٣ .

أسماء مختلفة

نقل القرطبي عن جعفر بن محمد بن علي في ﴿ طسم ﴾ : الطاء شجرة طوبى ، والسين سدرة المنتهى ، والميم محمد - ﷺ ؛ وعن عبد الله بن محمد ابن عقيل : الطاء طور سينا ، والسين الإسكندرية ، والميم مكة ^(١) .

ونقل الرازي عن الثعلبي في ﴿ طه ﴾ : الطاء شجرة طوبى ، والهاء الهاوية ، فكأنه أقسم بالجنة والنار . وقال الرازي : الطاء طبول الغزاة ^(٢) ، والهاء هيتهم في قلوب الكفار ، قال الله : ﴿ سَكُنْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبُ ﴾ [سورة آل عمران : ١٥١] ^(٣) . وقال القرطبي : قيل : الطاء طرب أهل الجنة في الجنة ، والهاء هوان أهل النار في النار ^(٤) .

* * *

(١) الجامع ٨٨/١٣ .

(٢) في الأصل : القراء ، والتصحيح عن القرطبي .

(٤) مفاتيح ٣/٢٢ . القرطبي ١٦٦/١١ . النيسابوري ٧٧/١٦ - ٧٨ .

(٥) الجامع ١٦٦/١١ .

مختصرة من جمل وعبارات

إذا كان من المفسرين من ذهب إلى أن هذه الحروف مقطعة من أسماء مفردة ، فقد كان منهم من ذهب إلى أنها مقطعة من مركبات . روى ابن الجوزي أن عبد الله بن مسعود قال في ﴿الم﴾ : أنا الله أعلم ^(١) .
وأورد فيما يلي الحروف وما قيل فيها من هذا القبيل :

﴿الر﴾

روى أبو صالح وسعيد بن جبير وأبو الضحى مسلم بن صبيح الهمداني عن ابن عباس : أنا الله أرى ^(٢) وذكر الخازن أن الضحاك وافقه ^(٣) ، والقرطبي أن الزجاج مال إلى هذا القول ^(٤) .

وروى الرازي أنه قيل في تفسيره : أنا الرب لا رب غيري ^(٥) .

وجاء بعضهم بقول ابن عباس دون أن ينسبه إليه أو إلى غيره ^(٦) .

ووضح عبد الوهاب حمودة قول ابن عباس فقال : أنا الله أرى كل شيء يُصَنَعُ معك - يا محمد - وأطلع على كل أفعال خصومك ؛ أو أن الراء اسم فاعل من (أرى) كما في خطابه - تعالى - لموسى وهارون : ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَتَمَعُ وَأَرَى﴾ [سورة طه : ٤٦] ، سأنزل من العقاب بأعدائك ما يستحقون ^(٧) .

(١) ابن مسعود ١٧ . ابن الجوزي ٢٢/١ .

(٢) الطبري ٥٧/١١ ، البغوي ٤٤/١ ، ١٧٢/٣ . ابن عطية ١٣٩/١ . الرازي ٦/٢ ، ١٥٥ ، ٣/١٧ . القرطبي ١٥٥/١ ، ٣٠٤/٨ ، ٣٢٣/١٣ . الخازن ١٧٢/٣ . أبو حيان ١٢١/٥ ، ٣٠٤/٨ . ابن كثير ٤١٤/٢ . الزركشي ١٧٤/١ . النيسابوري ٤٧/١١ . الإتيقان ١٠/٢ . الشرييني ١٥/١ . الآلوسي ٥٨/١١ . صبيح ١٠٠ . عائشة ١٢٩ . فودة ٢٧٢ . أبو زيد ٢١٦ . العدل ١٣ .

(٣) مفاتيح ٣/١٧ .

(٤) لباب ١٧٢/٣ .

(٥) الجامع ٣٠٤/٨ .

(٦) أبو حيان ١٢١/٥ . صبيح ١٥٠ . الصالح ٢٣٩ .

(٧) رسالة ٢٨٢/٣ .

ونقل السيوطي عن الكرمانى فى غرائب : قيل أنا الله أعلم وأرفع ^(١) . وأخطأ
 د. صبحى الصالح فظن أن الكرمانى يرويه عن الضحاك ^(٢) .
 وروى أبو حيان : أنا الله الرحمن ^(٣) .

﴿الم﴾

روى الطبرى عن أبى الضحى وسعيد بن جبير عن ابن عباس : أنا الله
 أعلم ^(٤) ، وهو التفسير الذى سبقه ابن مسعود إليه ، كما أوردت عن ابن
 الجوزى .

وهناك من وقف به عند سعيد بن جبير يرويه عنه عطاء بن السائب ^(٥) .
 ورواه السدى عن أبى مالك ^(٦) ، وهناك من رواه دون أن ينسبه إلى أحد ^(٧) .
 وذكر القرطبى أن الزجاج اختار هذا التفسير ^(٨) .
 وروى عطاء عن ابن عباس : أنا الله الملك الرحمن ^(٩) .

(١) الإتيان ١٠/٢

(٢) مباحث ٢٤٠ .

(٣) البحر ١٢١/٥ .

(٤) جامع ٦٧/١ . البغوى ٤٤/١ . ابن عطية ١٣٩/١ . ابن الجوزى ٢٢/١ . الرازى ٦/٢ ،
 ١٥٥ ، ٢٣٠/١٨ . القرطبى ١٥٥/١ ، ٣٢٣/١٣ . الشريينى ١٥/١ . صبيح ١٠٠ . الزرقانى ١/
 ٢٢٥ . حمودة ٢٨٢/٣ . عائشة ١٢٩ . زرزور ١٤١ . فودة ٢٧٢ . أبو زيد ٢١٦ . العدل ١٣ .

(٥) الطبرى ٦٧/١ . ابن الجوزى ٢٢/١ .

(٦) ابن كثير ٣٦/١ .

(٧) الطبرسى ٣٢/١ .

(٨) الجامع ١٥٥/١ . وانظر العدل ١٣ .

(٩) الرازى ٢٣٠/١٨ .

ونقل عياض عن سهل بن عبد الله التستري : الألف هو الله ، واللام جبريل ، والميم محمد .

وحكى هذا القول السمرقندى ولم ينسبه إلى سهل ، وجعل معناه الله أنزل جبريل على محمد بهذا القرآن لاريب فيه ^(١) .

ونقل الرازى عن الماوردى : المراد أنه أَلَمَّ بكم ذلك الكتاب ، أى نزل عليكم ، والإلمام الزيارة ، وإنما قال - تعالى - ذلك لأن جبريل نزل به نزول الزائر ^(٢) .

ونقل الرازى عن بعض الصوفية : الألف معناه أنا ، واللام معناه لى ، والميم معناه منى ^(٣) .

وقال الرازى أيضا : الألف معناه أَلَفَ الله محمدا فبعثه نبيا ، واللام أى لأمه الجاحدون ، والميم أى ميم الكافرون : غيظوا وكُتبتوا بظهور الحق ^(٤) .

وقال : الألف إشارة إلى مالا بد منه من الاستقامة فى أول الأمر ، وهو رعاية الشريعة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا ﴾ [سورة فصلت : ٣٠] ، واللام إشارة إلى الانحناء ، الحاصل عند المجاهدات ، وهو رعاية الطريقة ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [سورة العنكبوت : ٦٩] ، والميم إشارة إلى أن يصير العبد ، فى مقام المحبة ، كالدائرة التى تكون نهايتها عين بدايتها ، وبدايتها عين نهايتها . وذلك إنما يكون بالفناء فى الله بالكلية ، وهو مقام الحقيقة ، قال تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ تَعَالَى ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٩١] ^(٥) .

(١) الشفا ٣٤/١ .

(٢) مفاتيح ٧/٢ . النيسابورى ١٢٢/١ . وانظر ص ١٢٠ .

(٣) مفاتيح ٦/٢ . النيسابورى ١٢١/١ .

(٤) مفاتيح ٦/٢ .

(٥) مفاتيح ٧/٢ - ٨ . النيسابورى ١٣٧/١ . الآلوسى ١٠٣/١ .

ونقل القرطبي عن بعضهم : أنزلت عليك هذا الكتاب من اللوح المحفوظ^(١) .

وقال النيسابورى : قيل : معناه : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٢] ، الألف واللام من أوله ، والميم من آخره ، أى أخذت منكم كتاب العهد فى يوم الميثاق^(٢) .

﴿ المر ﴾

روى الطبرى عن أبى الضحى وسعيد بن جبير عن ابن عباس : أنا الله أرى^(٣) .

وروى البغوى عن سعيد بن جبير : أنا الله أعلم وأرى^(٤) . وأورده الطبرسى دون نسبة^(٥) .

وروى الرازى عن ابن عباس : أنا الله الملك الرحمن^(٦) .

﴿ المص ﴾

روى أبو الضحى عن ابن عباس : أنا الله أفصل^(٧) ، ورواه عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير^(٨) ، وجعله د. عدنان زرزور : أنا الله أفضل^(٩) .

(١) جامع ١٥٦/١ .

(٢) غرائب ١٢٣/١ .

(٣) جامع ٦١/١٣ . الرازى ٢٣٠/١٨ . النيسابورى ١٢١/١ .

(٤) معالم ٤٤/١ . ابن عطية ١٠٨/٨ . الخازن ٥٢/٣ . الشرينى ١٥/١ . الآلوسى ٨٤/١٣ .

(٥) مجمع ٣٢/١ .

(٦) مفاتيح ٢٣٠/١٨ . الخازن ٥٢/٣ .

(٧) الطبرى ٨٥/٨ . ابن عطية ١٣٩/١ ، ٤٢٢/٥ . الرازى ٦/٢ ، ١٥٥ ، ١٤/١٤ . القرطبى ١٥٥/١ . الخازن ٢٠٨/٢ . ابن كثير ٢٠٥/٢ . الزركشى ١٧٤/١ . الإتيقان ١٠/٢ . المنار ٢٦٤/٨ . صبيح ١٠٠ . الصالح ٢٣٩ . عائشة ١٢٩ . فودة ٢٧٢ .

(٨) الطبرى ٨٥/٨ . الآلوسى ٧٤/٨ . العدل ١٣ .

(٩) القرآن ٤١ . أبو زيد ٢١٦ .

وروى البغوى عن سعيد عن ابن عباس : أنا الله أعلم وأفضل ^(١) . وأتى به الطبرسى دون نسبة ^(٢) .

ونسب د. صبحى الصالح إلى ابن عباس أنه قال : أنا الله المصور ، وأنا الله الصادق ^(٣) . ولكن ابن عطية نسب التفسير الأول منهما إلى زيد بن علي ^(٤) ، ونسب السيوطى الثانى إلى الضحاك ^(٥) .

واعترض الرازى على تحديد التفسير قائلا : ليس هذا اللفظ على قولنا : أنا الله أفضل ، أولى من حمله على قوله : أنا الله أصلح ، أنا الله أمتحن ، أنا الله الملك ، لأنه إن كانت العبرة بحرف الصاد ، فهو موجود فى قولنا : أنا الله أصلح . وإن كانت العبرة بحرف الميم ، فكما أنه موجود فى العلم ، فهو أيضا موجود فى الملك والامتحان . فكان حمل قولنا (المص) على ذلك المعنى بعينه محض التحكم . وأيضا فإن جاء تفسير الألفاظ بناء على ما فيها من الحروف ، من غير أن تكون تلك اللفظة موضوعة فى اللغة لذلك المعنى ، انفتحت طريقة الباطنية فى تفسير سائر ألفاظ القرآن بما يشاكل هذا الطريق ^(٦) .

ونسب الكرمانى إلى بعض المفسرين : معناها : ألم نشرح لك صدرك ، بدليل قوله بعدها : ﴿ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾ ^(٧) .

(١) معالم ٤٤/١ . الرازى ١٤/١٤ . الخازن ٢٠٨/٢ . النيسابورى ٥٦/٨ . الآلوسى ٧٤/٨ .

غلاب ٣٩ .

(٢) مجمع ٣٢/١ .

(٣) مباحث ٢٤٠ .

(٤) المحرر ٤٢٣/٥ .

(٥) الإتيقان ١٠/٢ . الآلوسى ٧٤/٨ . المنار ٢٦٤/٨ . وانظر البغوى ٤٤/١ .

(٦) مفاتيح ١٤/١٤ - ١٥ .

(٧) أسرار ٢١ - ٢٢ . الزركشى ١٧٠/١ . النيسابورى ٥٦/٨ . الإتيقان ١٤/٢ .

الآلوسى ٧٤/٨ .

﴿ حَمَّ ﴾

نقل القرطبي : قال الضحاک بن مزاحم وعلى بن حمزة الكسائي معناه : قُضِيَ ما هو كائن ، أى وقع . قال كعب بن مالك :

فلما تلاقيناهم ودارت بنا الرحي وليس لأمر حمّه الله مدفع ^(١)

ونقل عنه أيضا : المعنى : حم أمر الله ، أى قرب ، يريد : قرب نصر الله لأوليائه وانتقامه من أعدائه كيوم بدر ^(٢) .

ونقل عن الزجاج : أى حُمّ الأمر ، أى قضى ^(٣) .

وقال د . محمد غلاب : اختصار ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٤) .

﴿ حم عسق ﴾

نقل ابن كثير عن أبي يَغْلَى الموصلي قال : صعد عمر بن الخطاب المنبر فقال : أيها الناس : هل سمع منكم أحد رسول الله - ﷺ - يفسر ﴿ حم عسق ﴾ ؟ فوثب ابن عباس فقال : أنا ، حم اسم من أسماء الله . قال : فعين ؟ قال : عاين المولود عذاب يوم بدر . قال : فسبين ؟ قال : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ [سورة الشعراء : ٢٢٧] . قال : فقاف ؟ فسكت . فقام أبو ذر الغفاري ففسر كما قال ابن عباس ، ثم قال : قاف قارعة من السماء تغشى الناس ^(٥) .

(١) الجامع ٢٨٩/١٥ . ابن عطية ٣/١٣ . النيسابوري ٢٤/٢٤ ، ٢٦/١٠٥ . الإتيان ١٤/٢ . الشوكاني ٤٨٠/٣ . وانظر الخازن ٦٥/٤ ، ٧٢ ، ٩٠ ، ١٩٢ .

(٢) الجامع ٢٨٩/١٥ . الشوكاني ٤٨٠/٣ .

(٣) الجامع ٢/١٧ . الخازن ١٩٢/٤ .

(٤) نظرات ٤٣ .

(٥) ابن كثير ١١٤/٤ . القرطبي ٨٨/١٣ . الشوكاني ٥٢٤/٣ .

ولكن ابن كثير لم يقبل الحديث ، ووصم إسناده بأنه ضعيف جدا ومنقطع^(١) . ووافقه الشوكاني والآلوسی ، ورجحا عدم ثبوته^(٢) .

ونقل الطبري عن أروطة بن المنذر قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال له وعنده حذيفة بن اليمان : أخبرني عن قول الله : ﴿ حم عسق ﴾ فأطرق معرضا عنه . فكرر الرجل طلبه ثلاث مرات وابن عباس لا يجيبه . فقال له حذيفة : أنا أنبئك بها ، قد عرفت لم كرهها . نزلت في رجل من أهل بيته يقال له : عبد الإله أو عبد الله ، ينزل على نهر من أنهار المشرق ، تبنى عليه مدينتان يشق النهر بينهما شقا^(٣) . فإذا أذن الله في زوال ملكهم ، بعث الله على إحداهما نارا ليلا ، فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت ، كأن لم تكن مكانها . وتصبح صاحبها متعجبة كيف أفلتت . فما هو إلا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد . ثم يخسف الله بها وبهم جميعا . فذلك قوله : ﴿ حم عسق ﴾ يعني عزيمة من الله وفتنة وقضاء حُكم ، عين : عدلا منه ، سين : يعني سكون ، وقاف يعني واقع بهاتين المدينتين^(٤) .

كذلك رفض ابن كثير هذا الخبر ، وعده أثرا غريبا عجيبا منكرا^(٥) . ووافقه الشوكاني معلنا : هذا الحديث لا يصح ولا يثبت ، وما أظنه إلا من الموضوعات المكذوبات ، والحامل لواضعه عليه ما يقع لكثير من الناس من عداوة الدول^(٦) . وكان رأى الآلوسی فيه رأيه في سابقه^(٧) .

(١) ابن كثير ١١٤/٤ .

(٢) فتح ٥٢٤/٣ . روح ١٠/٢٥ .

(٣) واضح أن المراد مدينة بغداد .

(٤) جامع ٥/٢٥ ، ابن عطية ١٣/١٣٨ . القرطبي ٢/١٦ . الشوكاني ٥٢٤/٣ . الآلوسی

١٠/٢٥ . غلاب ٣٦ .

(٥) ابن كثير ١١٤/٤ .

(٦) فتح ٥٢٤/٢ .

(٧) روح ١٠/٢٥ .

وفسرها الخازن بما يلي :

ح : حرب فى قريش يعز فيها الدليل ، ويذل فيها العزيز .

م : ملك يتحول من قوم إلى قوم .

ع : عدو لقريش يقصدهم .

س : سنون كسنى يوسف .

ق : قدرة الله فى خلقه ^(١) .

وقال النيسابورى : قيل :

الحاء : حرب على ومعاوية .

الميم : ولاية المروانية .

العين : ولاية العباسية .

السين : ولاية السفينانية .

القاف : قدرة المهدى .

ثم علق على ذلك : هذه الأقاويل ممالا معول عليه ^(٢) .

﴿ ص ﴾

عزا الخازن إلى ابن عباس : صدق محمد ^(٣) . وعزا الشوكانى هذا التفسير إلى عطاء ^(٤) . وأتى به آخرون دون عزو إلى أحد مع تكملته إلى : صدق محمد فى كل ماأنخبر به ^(٥) .

وروى الطبرى عن أبى روق عن الضحاك : صدق الله ^(٦) . وأتى بهذا التفسير الرازى والسيوطى دون عزو ^(٧) .

(١) لباب ٩٠/٤ .

(٢) غرائب ٢٢/٢٥ .

(٣) لباب ٣٣/٤ . تبيان ابن القيم ٦٣/١ .

(٤) فتح ٤١٩/٣ .

(٥) الرازى ١٧٤/٢٦ . أبو حيان ٣٨٣/٧ . النيسابورى ٨٢/٢٣ .

(٦) جامع ٧٥/٢٣ . القرطبى ١٤٣/١٥ ، ٣٣٧ . أبو حيان ٣٨٣/٧ . الشوكانى ٤١٩/٣ .

الآلوسى ١٦١/٢٣ .

(٧) الرازى ١٤٦/٢٨ . الإقنان ١٤/٢ .

وروى الآلوسی عن ابن مردويه عن الضحاك أيضا : إني أنا الله الصادق ^(١) .
 وذكر الطبري أن الحسن البصري قرأ الآية : ﴿ صَادٍ ﴾ بخفض الدال . ورأى
 أن المعنى : حادث القرآن أو عارضه ، أي أعرضه على عملك ، فانظر أين عملك
 من القرآن ، واعمل بأوامره ، وانه عن نواهيه ^(٢) . وأتى الرازي والنيسابوري بهذا
 التفسير دون عزو ^(٣) .

وقال القرطبي : معناه : صاد محمد قلوب الخلق واستمالها حتى آمنوا ^(٤) .
 واستغرب الآلوسی هذا القول وقال : لعل القائل به اعتبره فعلا ماضيا مفتوح
 الآخر أو ساكنه للوقف ، وأنا لا أقول به ولا أرتضيه وجها ^(٥) .
 وقال النيسابوري : قيل : صد الكفار عن قبول هذا الدين ^(٦) .

(طسم)

قال الرازي : قال جعفر بن محمد بن علي : الطاء شجرة طوبى ، والسين
 سدرة المنتهى ، والميم محمد . وقال عبد الله بن محمد بن عقيل : الطاء طور
 سيناء ، والسين إسكندرية ، والميم مكة . وقيل : قارعة تحل بقوم ^(٧) .
 وذكر د. محمد غلاب أن المستشرق اسيرانجيو رأى أنها - لكي تفهم -
 يجب أن تعكس لتكون رمزا لقول القرآن : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [سورة
 الواقعة : ٧٩] وأن لوث أخذ بهذا الرأي ، ونبذه هيرشفلد ونولدكه وشفالي ^(٨) .

(١) روح ١٦١/٢٣ .

(٢) جامع ٧٤/٢٣ . الرمخشري ٣٥٨/٣ . ابن عطية ٤١٤/٩ . أبو حيان ٣٨٣/٧ . الإتيقان ١٤/٢ . الشوكاني ٤١٩/٣ .

(٣) مفاتيح ١٧٤/٢٦ . النيسابوري ٨٢/٢٣ .

(٤) الجامع ١٤٣/١٥ . الإتيقان ١٤/٢ . الشوكاني ٤١٩/٣ .

(٥) روح ١٦١/٢٣ .

(٦) غرائب ٨٢/٢٣ . الآلوسی ١٦١/٢٣ .

(٧) مفاتيح ٨٨/١٣ - ٨٩ .

(٨) نظرات ٤٢ .

(طه)

نقل السيوطى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : هو كقولك : افعل ^(١) .
ولعل السيوطى كان يقصد تفسير هذا القول المبهم حين قال : قيل : ﴿ طه ﴾ :
أى طأ الأرض أو اطمئن ، فيكون فعل الأمر ، والهاء مفعول أو للسكت أو مبدلة
من الهمزة ^(٢) .

ووضع الزمخشري الأمر ، فنقل عن الحسن البصرى أن النبى - ﷺ - كان
يقوم فى تهجده على إحدى رجليه ، فأمر بأن يطأ الأرض بقدميه معا ، وقال
الزمخشري : الأصل (طأ) فقلبت همزته هاء ، أو قلبت ألفا فى (يطاء) فيمن قال :
لا هناك المززع ، ثم بنى عليه الأمر ، والهاء للسكت ^(٣) .

وروى ابن عطية هذا الكلام دون عزو إلى أحد ^(٤) . ونسبه كثيرون إلى الربيع
ابن أنس ^(٥) ، والشوكانى إلى ابن الأنبارى ^(٦) .

واعترض الرازى على القول بأن الأصل (طأها) ثم خففت الهمزة بأنه لو كان
كذلك لم تسقط منه الألفان . ورسم المصحف - وإن كان لا ينقاس - لكن
الأصل فيه موافقته للقياس . فلا يُعدّل عنه لغير داع . وليست هذه الألف فى اسم
ولا وسطا كما فى (الحرث) ونحوه لتحذف ، لاسيما وفى حذفها لبس ،
فلا يجوز ^(٧) .

ونقل القرطبى عن مجاهد ومحمد بن الحنفية : طوبى لمن اهتدى ^(٨) .

(١) الإتقان ١٤/٢ .

(٢) نفسه ١٣/٢ - ١٤ .

(٣) الكشف ٥٢٨/٤ . الرازى ٣/٢٢ . القرطبى ١٦٧/١١ . أبو حيان ٢٢٤/٦ . النيسابورى ٧٨/١٦ . الشوكانى ٣٥٦/٣ .

(٤) المحرر ٢/١٠ . الخازن ٢٥٦/٣ .

(٥) عياض ١٠٧ . ابن كثير ١٥٠/٣ . الشوكانى ٣٥٦/٣ . الألوسى ١٤٨/١٦ .

(٦) فتح ٣٥٦/٣ .

(٧) مفاتيح ٣/٢٢ .

(٨) الجامع ١٦٦/١١ . وانظر الشوكانى ٣٥٦/٣ .

وقال الرازي : قال الثعلبي (طا) شجرة طوبى ، والهاء الهاوية ، فكأنه أقسم بالجنة والنار ^(١) .. وقال الرازي أيضا : الطاء طَوَّلَ القراء ، والهاء هبَّتهم فى قلوب الكفار ، قال الله تعالى : ﴿ سَكُنْ لِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٥١] ^(٢) . ثم عقب على هذا التأويل وأمثاله قائلا : قد عرفت فيما تقدم أن أمثال هذه الأقوال لا يجب أن يُعقَدَ عليها ^(٣) .

﴿ ق ﴾

نقل القرطبي عن الزجاج : أى قُضى الأمر ، كما قيل فى ﴿ حم ﴾ : حم الأمر ^(٤) . وأتى جماعة بهذا القول دون نسبة ^(٥) . وقال الخازن : معناه قضى الأمر أو قضى ما هو كائن ^(٦) .

ونقل القرطبي عن أبى بكر الوراق : معناه : قِف عند أمرنا ونَهيننا ولا تَغْدُهما ^(٧) .

وقال النيسابورى : قف - يامحمد - على أداء الرسالة ^(٨) . وأضاف السيوطى إليه : والعمل بما أمرت به ^(٩) .

وقال الآلوسى : يجوز أن يكون (قاف) أمرا من مفاعلة (قفا أثره) أى تبعه ، والمعنى اتبع القرآن واعمل بما فيه . ولم يُسمَعْ مأثورا ^(١٠) .

(١) مفاتيح ٣/٢٢ .

(٢) مفاتيح ٣/٢٢ .

(٣) مفاتيح ٣/٢٢ .

(٤) الجامع ١٢/١٧ .

(٥) الرازى ١٤٥/٢٨ - ٦ . ابن كثير ٢٣٧/٤ . النيسابورى ١٠٥/٢٦ . الإتيقان ١٤/٢ .

(٦) لباب ١٧٤/٤ .

(٧) الجامع ١٣/١٧ .

(٨) غرائب ١٠٥/٢٦ .

(٩) الإتيقان ١٤/٢ .

(١٠) روح ١٧١/٢٦ .

ولما لم يجد د. رمضان عبد التواب فى تفسيرات القدماء مايرضيه أدار نظره نحو المستشرقين يستطلع ما عندهم . فوجد بور وجوسنز يذهبان إلى أن هذه الحروف ليست إلا اختصارات للأسماء القديمة للسور ، وأن كل واحد منهما حاول معتسفا تكملة ماسماه اختصارا .

أما بور فاقترح التفسيرات الآتية :

يس : يسمى (فى آية ١٩) .

ص : الصافات (آية ٣٠) .

ق : قرينة (آية ٢٢ ، ٢٦) .

طه : طوى (آية ١٢) + هارون (آية ٣١ ، ٧٣ ، ٩٢ ، ٩٤)

ن : مجنون (آية ٢) .

حم : الجحيم أو جهنم (تردد كثيرا فى هذه السور) .

حم عسق : الجحيم أو جهنم + لعل الساعة قريب (آية ١٧) .

كهيعص : سيكفرون بعبادتهم ، ويكونون عليهم ضدا (آية ٨٢) .

طس : طور سينين (سورة ٢/٩٥) .

طسم : طور سينين (سورة ٢/٩٥) + موسى (يتردد كثيرا فى هذه السور) .

الم : المثنائى (سورة ٨٧/١٥) (سور الم الست + المص أو المر) .

الر : الرحمن ^(١) .

كما افترض أن السور التى تحمل رموزا كانت - ذات يوم - منفصلة عن باقى السور ، عند أحد جماع القرآن ، وأن هذا الجامع فرّق بين الأسماء التى كانت مستعملة حينذاك للسور وبين نص هذه السور ، بأن اختصر هذه الأسماء فى رموز مثل ن ، ق ، ص .. إلخ . ثم جاء الشخص الذى جمع القرآن الجمع الأخير بصورته الحالية ، فلم يدرك أنها اختصارات لأسماء السور ، فأضافها إلى النص نفسه بعد البسملة ، واخترع لبقية السور الخالية من الرموز أسماء أخرى .

(١) حول ١٧٨ - ١٧٩ .

وأما جوستنر فقد عاب على بور أنه كان لا يختار التكملات أحيانا من السورة التي يوجد الرمز على رأسها ، الأمر الذي جعل دائرة الاختيار أمامه واسعة ، فلم تأت تفسيراته حتمية . وحتم هو تكملة الرمز من سورته نفسها ولكنه لم يجد في بعض السور تكملة مناسبة للرمز الموجود في أولها ، فاضطر إلى ارتكاب ماسماه عبد التواب مشقة كبيرة وحماقات لم يكن لها مبرر سوى الهوى والغرض ، مثل افتراض أن سورتين كانتا في القديم متحدتين ثم فصلتا فيما بعد ، وافتراض نقل آيات معينة من مكانها القديم إلى مكان آخر .

وجاء جوستنر بالتفسيرات الآتية :

ن : النون (في سورة ٨٧/٢١) = الحوت (في سورة ن ٤٨/٦٨)

ق : القرآن (آية ١)

يس : آل ياسين (سورة الصافات ٣٧/١٣٠) على اعتبار أن سورة الصافات كانت جزءا من (يس) بعد حذف ١١ آية من أولها !

ص : الصافات (سورة الصافات ٣٧/١) على اعتبار أن الآيات ١-١١ من الصافات كانت موجودة في أول سورة ص .

الر : الرسل ، لأن هذه المجموعة من السور تحكى قصة الرسل .

المر : المرسلون .

الم : المثل (في كل سور هذه المجموعة ماعدا سورة السجدة ٣٢) = المضاجع (آية ١٦)

المص : المصور (آية ١٠ كلمة (صورناكم) .

كهيعص : الكهف + يحيى + عيسى + الضلالة (على اعتبار أن سورتى الكهف ومريم كانتا سورة واحدة .

طه : طوى + هارون .

طسم في سورة الشعراء : الطور (آية ٦٣) + الشعراء (آية ٢٢٤) + موسى (آيات ٩ - ٦٨)

طسم فى سورة القصص : الظل (٢٤) أو الطور (٢٩) أو الطين (٣٨) + الشاطيء (٣٠) + موسى (٢) أو مدين (٢١) .

طس : الطير (آية ١٦) + سليمان (آية ١٦) أو سبأ (آية ٢٢) .

حم : الحميم ، لأن هذه الكلمة توجد فى بعض سور المجموعة ، وإن اختلف معناها من الصديق إلى الماء الحميم .

حم عسق : الحميم + لعل الساعة قريب (آية ١٦)^(١) .

ووصم عبد التواب هاتين المحاولتين بالاعتساف وعدم الحتمية ، لأن الرمز (يس) يمكن أن يكون مختصرا من كلمة « يسعى » (آية ١٩) أو « يستهزئون » (آية ٣٠) أو « يستطيعون » (آية ٥٠ ، ٧٥) .. إلخ ، إلى جانب ما اقترحه بور ؛ والرمز (الم) يمكن أن يكون مختصرا من كلمة « المؤمن » التى توجد فى سور هذه المجموعة ، و (حم) يمكن أن يكون من « الحمد » أو « الحكيم » .. إلخ ، إضافة إلى ما اقترحه جوسنز .

وذهب د. عبد التواب إلى أن هذه الرموز : لو كانت أسماء للسور أو اختصارا للأسماء ، لوجب أن توضع قبل البسملة لابعدها ، كما هو الحال فى العناوين الحالية . وعاب فى تفسيرات جوسنز ترقيع الرمز الواحد من عدة كلمات لا رابطة بينها كما فعل فى كهيعص وطسم^(٢) .

وذكر د. محمد غلاب أن المستشرق اسبرانجيو ذهب إلى أن السين تشير إلى سيناء ، والميم إلى موسى ، لأن سورتهما تتحدث عن موسى وطور سينين . و (حم) تشير إلى جهنم ، ولعلها كانت تبتدئ بحرف الجيم الذى يشبه حرف الحاء تماما ، فاختلط الأمر على العرب الذين كانت كتابتهم حينذاك غير منقوطة .

ثم عقب على هذه الأقوال قائلا : ونحن لا يسعنا أن نعلق على هذا الرأى

(١) حول ١٧٩ - ١٨١ .

(٢) حول ١٧٨ - ١٨١ .

بأكثر من أنه يستوجب الضحك حتى فى الأوقات التى يتعسر فيها الضحك ويعز
الابتسام ^(١) .

وجعل د. على حلمى موسى حرف الحاء فى (حم) رمزا للوحى ، والميم
لتسهيل الذكر ، و(ق) إشارة إلى القرآن ^(٢) .

* * *

(١) نظرات ٤٣ .

(٢) جريدة الأهرام ١٩٩٣/٣/٣ ص ١٣ .

تفسيرات خاصة بفرق

أورد الرازى تفسيراً صوفياً لفاتحة سورة الشعراء يقول : (طسم) : الطاء إشارة إلى طرب قلوب العارفين ، والسين سرور المحبين ، والميم مناجاة المريدن^(١) . وأورد د. رمزي نعناعة تأويلاً لإحدى فرق الشيعة مصحوباً برأيه فيه ، فقال : مما لا ينقضى منه العجب ما ذكره المولى عبد اللطيف الكازراني في « مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار » عن الحجة القائم أنه سئل عن تأويل ﴿كَهَيَّصَ﴾ فقال : إن هذه الحروف من أنباء الغيب : أطلع الله عليها عبده زكريا ، ثم فصلها على محمد . وذلك أن زكريا سأل ربه أن يعلمه أسماء الخمسة . فأهبط الله عليه جبريل فعلمه إياها . فكان زكريا إذا ذكر محمداً وعلياً وفاطمة والحسن سُرِّي عنه همه وانجلي كربه . وإذا ذكر الحسين خنقته العبرة ، ووقعت عليه البهرة . فقال ذات يوم : إلهي ، ما بالي إذا ذكرت أربعا منهم تسليت بأسمائهم عن همومي ، وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي ؟ فأنبأه - تعالى - عن قصته ، فقال : كهيعص . فالكاف اسم كربلاء ، والهاء هلاك العترة ، والياء يزيد - لعنه الله - وهو ظالم الحسين ، والعين عطشه ، والصاد صبره . فلما سمع زكريا بذلك لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ، منع فيها الناس من الدخول عليه^(٢) .

وأورد في (الم) : الألف من أقصى الحلق ، وهو أول مخارج الحروف ، واللام من طرف اللسان ، وهو وسط المخارج ، والميم من الشفة ، وهي آخر المخارج فهذه إشارة إلى أنه لا بد وأن يكون أول ذكر العبد ووسطه وآخره ليس إلا الله تعالى ، على ما قال : ﴿فَفَرُوا إِلَى اللَّهِ﴾^(٣) .

(١) مفاتيح ١١٨/٢٤ .

(٢) مفاتيح ٨/٢ .

(٣) بدع ٦٣ - ٦٤ .

دفاع وهجوم

لعل ابن قتيبة كان أول من دافع عن المختصرات قال : وإن كانت حروفا مأخوذة من صفات الله ، فهذا فن من اختصار العرب . وقلما تفعل العرب شيئاً في الكلام المتصل الكثير إلا فعلت مثله في الحرف الواحد المنقطع . فكما يستعيرون الكلمة فيضعونها مكان الكلمة لتقارب ما بينهما ، أو لأن إحداها سبب للأخرى ، فيقولون للمطر سماء ، لأنه من السماء ينزل ... وكذلك يستعيرون الحرف في الكلمة مكان الحرف فيقولون : مدهته ، بمعنى : مدحته ، لأن الحاء والهاء يخرجان جميعاً من مخرج واحد .. (١) .

وتبعه الطبرى فذكر أن أصحاب تفسير هذه الاختصارات نحوا بتأويلهم ذلك نحو قول الوليد بن عقبة :

قلنا لها : قفى لنا . قالت : قاف لا تحسبى أنا نسينا الإيجاف

يعنى بقوله : « قالت : قاف » قالت : قد وقفت . فصرخوا قوله : (الم) وما أشبهه إلى نحو هذا المعنى .

قالوا : ومستفيض ظاهر في كلام العرب أن ينقص المتكلم منهم الأحرف من الكلمة ، إذا كان فيما بقى دلالة على ما حذف منها ؛ ويزيد فيها ما ليس منها ، إذا لم تكن الزيادة ملبسة معناها على سامعها ، كحذفهم - فى الترخيم - الثاء من « حارث » فيقولون : يا حار ، وكما قال آخر منهم :

بالخير خيرات ، وإن شَرًّا فا

يريد : فشرا ،

ولا أريد الشر إلا أن تا

يريد : إلا أن تشاء .

(١) تأويل ٢٣٢ .

والى مثل هذا القول ذهب الأخفش والزجاج وابن فارس وابن الأنبارى ^(١) .

ورأى السيد محمد على الهندى أن أسلوب استعمال الحروف المقطعة فى القرآن لم يكن حديثا فى الأسلوب الأدبى ، بل هو موجود فى كثير من اللغات . وقد ألف الناس استعماله فى غير ماحرج للدلالة على المعانى التى يقصدونها ، واللغة العربية ليست بدعا من اللغات ^(٢) .

وشبه محمود شلتوت هذه الحروف بالرموز العلمية . قال : الحروف المقطعة رموز إلى معان لاتخفى على العلماء بالله وبآياته وبأحكامه وبحكمتها . ولدنيا أمثلة من علوم الهندسة والكيمياء والطب والفلك والرياضيات . فإذا قرأ الرجل العادى المعادلة $٢١ + \text{يد} (١) + ٢ \leftarrow \text{يد} ٢ \text{ أ} ، \text{أو كب } ٢ + ٢ \text{ أ} \leftarrow \text{ثانى أكسيد الكبريت} ، فإنه لا يستطيع أن يفهم منها شيئا . ولكن الكيميائى يعرف - بمجرد النظر - أن الأولى : اكسجين + إيدروجين يساوى ماء ، والثانية : كبريت + اكسجين يعطى ثانى أكسيد الكبريت . فإذا جاء الرجل العادى وقال : إن هذه الرموز لاتعنى شيئا ، أو أنها أسرار لا يعلمها الإنسان بصفة عامة ، لم يكن - بقوله هذا - حجة على العلم ولا على العلماء ^(٣) .$

ووجه أول هجوم عثرت عليه إلى تفسير هذه الاختصارات نحو تحديدها ، بل إلى نوع خاص من التحديد ، وهو جعلها أسماء للذات العلية ، وكان صاحبه القاضى عبد الجبار . قال : ليس جعلها أسماء لله أولى من جعلها أسماء لبعض رسله من الملائكة أو الأنبياء . فالاسم إنما يصير اسما للمسئى بواسطة الوضع والاصطلاح ، وذلك مفقود هاهنا ^(٤) .

(١) جامع ٧٠/١ . ابن عطية ١٤٠/١ ، ٤٢٣/٩ . ابن الجوزى ٢١/١ . القرطبى ١٥٥/٢ . الزركشى ١٧٣/١ . الشوكانى ٢٩/١ . زرزور ١٤١ .

(٢) حمودة ٢٧٩/٣ . شرف ٥٩ .

(٣) شرف ٦١ - ٦٢ .

(٤) الرازى ١٥/٢ .

ووجه ابن العربي هجومه إلى عملية التأويل عامة ، كما رأينا في الحديث عن المتشابه .

وجمع الرازى بين هجومين . فقد كره التأويل عامة . ووصم أقوال المؤولين بالضعف ، وأنها لا يُعقَد عليها ، لأنها غير موضوعة في لغة العرب لإفادة المعانى التى فسروها بها ، فلا يجوز القول بها لأن القرآن إنما نزل بلغة العرب . ولو فتحنا هذا الباب لانفتحت أبواب تأويلات الباطنية وسائر الهذيانات ^(١) .

وتابع ابن جنى فى رفض تخصيصها بأسماء الله ، وأضاف إليه رفض تخصيص آخر أخذه من الطبرى ، وهو تخصيصها باسم معين من أسماء الله . قال : ليست دلالة الكاف مثلاً على الكبير أولى من دلالة على الكريم . أو على اسم آخر من أسماء الرسول أو الملائكة أو الجنة أو النار ، فيكون حملة على بعضها دون البعض تحكما لاتدل عليه اللغة أصلاً ^(٢) .

واعترض ابن كثير على دفاع ابن قتيبة والطبرى وغيرهما لأن ماأنشدوه من الشواهد على صحة إطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة ينطبق هناك لأن فى السياق مايدل على ما حذف بخلاف الأمر هنا ^(٣) .

وأوجب ابن خلدون فى تأويل المختصر أن يكون بنقل صحيح ، ثم أعلن أن النقل الصحيح متعذر ^(٤) .

ووضع رشيد رضا شرطاً لقبول التأويل ، فقال : إنما يصح أن يكون فيها إشارة إلى ما ذكر ، بشرط أن تتفق مع هداية القرآن . وعلى الرغم من ذلك صرح أنه لا يصح أن يقال : إنها ماأراد الله ^(٥) .

(١) مفاتيح ١٠/٢ ، ١٧٩/٢١ ، ٣/٢٢ ، ٧٧/٣٠ .

(٢) مفاتيح ١٠/٢ ، ١٧٩/٢١ .

(٣) ابن كثير ٣٧/١ .

(٤) المقدمة ١٠٥٢ .

(٥) المنار ٢٦٤/٨ .

وضرب مثالا لما يمكن أن يقع لو فتح هذا الباب دون شروط ، فقال : يقرب من هذا الضعف والسخف ماعنى به بعض الشيعة من حذف المكرر من هذه الحروف ، وصياغة جمل مما بقى منها فى مدح على المرتضى كرم الله وجهه أو تفضيله وترجيح خلافته ؛ فقولوا بجمل أخرى مثلها تنقض ذلك ، كما وضحناه فى مقالتنا (المصلح والمقلد) (١) .

ورفض عبد الوهاب حمودة القول بالاختصار عامة ، لأن هذا النوع من الدلالات - فى رأيه - لم تعرفه العرب فى مجادلتها ، ولم يكن من أساليب بلاغتها . بل لم نره فى أى نص لبلوغ من بلغائهم ، أو فى شعر قديم لأحد من فحول شعرائهم ، ولا سيما الكتاب الكريم . فهو كتاب مبين ، جاء ليوضح أغراضه ومقاصده لا ليلغزها وييهمها . وهو قد نزل بما ألفه العرب من أساليبهم ، حتى لا يكون لهم حجة فى عجزهم عن الإتيان بمثله أو عذر فى فشلهم عن معارضته (٢) .

وذهب د. صبحى الصالح إلى أنه لا يخفى على أحد مافى هذه الآراء كلها من التخرصات والظنون . وأقام رأيه هذا على اختلاف الباحثين - بل الأقوال المتعددة للباحث الواحد - فى الإشارة إلى مرموز الحرف الواحد . واستطرد مؤكداً أن مثل هذه التخرصات لاتقف عند حد ، وماهى إلا تأويلات شخصية مردّها هوى كل مفسر . وختم أقواله متسائلا : لماذا تكون القاف مثلا الحرف الأول من اسم الله القاهر ، لا من اسمه القدوس أو القدير أو القوى ؟ ولماذا تدل العين على العليم لا على العزيز ... ومن أين لنا أن (الم) هى الأحرف البارزة فى الرحمن لا فى الرحيم ولا فى قولهم المشهور : اللهم (٣) ؟

واتفق معهما د . عبد التواب ورأى أن هذا رأى ليس بشيء ، ولا يستطيع

(١) المنار ١/ ١٠٣ .

(٢) رسالة ١/ ٧٤ .

(٣) مباحث ٢٣٩ - ٢٤١ .

النقل ولا البحث الحديث أن يقبله حلا للمشكلة . واستند إلى ما استند إليه حمودة والصالح . وأضاف إليهما أن الناظر إلى الروايات الإسلامية في هذا الرأي يجدها ترجع - في معظمها - إلى ابن عباس أو محمد بن كعب من الصحابة . ولا ترجع إلى الرسول نفسه ، إلا في واحد من تفسيرات ﴿كَهَيَّصَ﴾ . وأعلن أنه لم يعثر على هذا الحديث في كتب الحديث الصحاح مما يشكك في وروده عن النبي ^(١) .

ورفض د. غلاب هذه الاختصارات معلنا : في الحق أن هذه التأويلات قد بلغت من الفروض والتخمينات حد الأخيلة والأحلام التي استوجبت - في العصور القديمة - سخرية الباقلاني وأمثاله من ذوى العقول الراجحة ، واستهزاءهم بها وبأصحابها ، كما استوجبت - ولا تزال تستوجب في العصر الحديث - من السخرية أكثر مما كان لدى الأقدمين ^(٢) .

ووجهت د. عائشة هجومها إلى الزركشى متجاهلة كل من سبقه من أصحاب التفسيرات ، وقالت يبدو أن المناسبة بين الحرف في أول السورة وحروفها لما لم تطرد في سائر السور المفتحة بالحروف ، عمد الزركشى إلى التأويل والتخريج ، حتى خرج بها إلى إشارات بعيدة من مثل قوله : (الم) جمعت المخارج الثلاثة ^(٣) ...

وسار على الدرب نفسه سعد العدل وصرح بأن هذا الكلام يفتح لنا باب الاحتمالات لما قد يكون مختصرا بعدد كلمات اللغة العربية ، طالما لم يقدّم دليل على صحة ما نفترض . وحيث أن أصحاب هذا الاتجاه لم يقدموا ولو دليلا واحدا يثبت صحة مايقولون ، فبقى فرضيتهم كما هي في عداد الفروض ونظرية الاحتمالات ^(٤) .

(١) حول ١٦٨ - ١٦٩ .

(٢) نظرات ٣٩ .

(٣) الإعجاز ١٣٤ .

(٤) الهيرغليفية ١٧ .

وتبين هذه الجولة أن عدد المعارضين فاق عدد المؤيدين بكثير ، وأن المؤيدين اعتمدوا على أن الاختصار عُرف عربى ، وأتوا بشواهد عليه ، وأن المعارضين أنكروا أن يكون الاختصار عرفا عربيا ، وشككوا فى صحة ماأتى به المؤيدون من شواهد أو رأوا أنها لاتنطبق على حالة الحروف المقطعة . واستنكروا التخمينات التى لجئوا إليها ، وعدوها هذيانا ، وخشوا على القرآن من فتح باب التأويل ، كيلا تلج منه الفرق المختلفة . واعتمدوا على أن كل ماينتمى إلى اللغة يجب أن يكون وضعاً واصطلاحاً بين المتكلمين بها ، وأن ذلك مفقود فى هذه الحروف .

وما أكثر من رفضوا اختصارات معينة ، سواء من الرافضين لمبدأ الاختصار أو المؤيدين له . وكان من الرافضين من رفضوا تحديد الرمز باسم واحد ، وإهمال بقية الأسماء التى تبدأ بهذا الرمز . وكان منهم من رفضوا توجيه الرموز وجهة واحدة ، مع إمكان توجيهها وجهات متعددة .

ووضع ابن خلدون - لقبول هذه الاختصارات - شرط الاعتماد على نقل صحيح ، ورشيد رضا شرط الاتفاق مع هداية القرآن .

وقفه مع الأحاديث

قدمت بعض الفصول السالفة فى التناول لورود الأحاديث التى صدرت بها حديثى عنها ، لأنها - لو صحت - تدل على أن محاولة تفسيرها بما فسرت به بدأت فى حياة الرسول - ﷺ .

ولكننا - إذا استبعدنا الحديث الخاص بظه ويس اللذين رأينا أن لهما وضعاً خاصاً يفردهما عن بقية الحروف - وجدنا أن هذه الصحة موضع شك كبير ، ومنذ عهد بعيد .

فقد نفى الطبرى تعرض النبى - ﷺ - للحروف المقطعة بالتفسير ، حين أعلن : لو أراد الله بها ، أو بشيء منها ، الدلالة على معنى واحد مما تحتمله ، دون سائر المعانى ، لأبان ذلك لهم رسول الله - ﷺ - إبانة غير مشككة ، إذ كان - جلّ ثناءه - إنما أنزل كتابه على رسوله - ﷺ - ليبين لهم ماختلفوا فيه ^(١) .

وكذلك فعل الشوكانى . قال : فإن قلت : هل ثبت عن رسول الله فى هذه الفواتح شيء يصلح للتمسك به ؟

قلت : لا أعلم أن رسول الله - ﷺ - تكلم فى شيء من معانيها . ولو كان شيء لما قاله الصحابة مأخوذاً عن النبى - ﷺ - لاتفقوا عليه ولم يختلفوا كسائر ما هو مأخوذ عنه . فلما اختلفوا فى هذا ، علمنا أنه لم يكن مأخوذاً عن النبى - ﷺ - ثم لو كان عندهم شيء عن النبى - ﷺ - فى هذا ، لما تركوا حكايته عنه ، ورفعوا إليه ، لاسيما عند اختلافهم واضطراب أقوالهم فى مثل هذا الكلام الذى لا مجال للغة العرب فيه ولا مدخل لها ^(٢) .

وسار على دربهما محمود شلتوت ، قال : لم يصح عن الرسول - ﷺ -

(١) جامع ٧٣/١ . شقرف ٥٨ .

(٢) فتح ٣١/١ - ٣٢ . فودة ٢٧٢ .

بيان المراد معها ^(١) . ووافقهم د. محمود بسيونى فودة حين قال : لم يثبت عن رسول الله - ﷺ - أنه تكلم فى شيء من معانيها ^(٢) .

ومما له دلالة التى لا تخفى أن هذه الأحاديث لم ترد عند المفسرين الأوائل ، وإنما ظهرت - للمرة الأولى - عند مفسرى القرنين السابع والثامن ، وإن كانوا قد أخذوها من كتب متقدمة . أضيف إلى ذلك ماورد من الشك فيها .

* * *

(١) علم الجفر ٥٤ . شحاتة ٨٥ .

(٢) المرشد ٢٧١ .

الترتيب التاريخي لسور الحروف

ذكر عبد الوهاب حمودة أن السيد محمد على الهندي ذهب إلى أنه ينبغي أن نتبع الترتيب التاريخي لنزول السور للوقوف على تأويل الحروف .

ثم ذكر أن سورة القلم أقدم سورة افتتحت بهذه الحروف ، وأن السياق يرجح تفسير ﴿ ن ﴾ فيها بالقلم ؛ وأن ﴿ الم ﴾ و ﴿ حم ﴾ كل منهما افتتاح لخمس سور ، أو لست إذا أضفنا حرفا ، وأن مجموعة السور التي اتحدت في حروف افتتاحها اتحدت أيضا في عصر نزولها : كما هو الشأن في المجموعة التي مفتحتها ﴿ حم ﴾ و ﴿ الر ﴾ . أما مجموعة ﴿ الم ﴾ فقد نزل أربع سور منها في العهد المكي ، واثنان في العهد المدني .

وذكر أن خير تأويلات ﴿ الم ﴾ أنا الله عالم . وأعلن أن في ذلك إشارة إلى التنبؤات بانتصار الإسلام . فإن السور المكية الأربع من هذه المجموعة - مع السورة السابقة عليها ﴿ المص ﴾ - تشير إلى مبدأ التنبؤ ، ثم في السورتين المدنيتين كمال تلك التنبؤات بالانتصار . فإنه - ﷺ - منذ الهجرة - وهي بدء العهد المدني - أخذت الانتصارات تتوالى ، وشمس الإسلام تشرق .

ونزلت مجموعة ﴿ حم ﴾ في الأيام الأخيرة من منتصف العهد المكي ، حيث ذاق الرسول الأمرين من اضطهاد المشركين وإيذائهم . فدلّت على صفتين من صفات الله هما الرحمن الرحيم ، وإشارة إلى أنه - على الرغم من سوء أفعالهم - رحيم في معاملتهم .

وتتنسب مجموعة ﴿ المر ﴾ إلى أخريات العهد المكي الذي بلغت فيه معارضة المشركين مبلغا ليس بعده حد . فأشارت ﴿ الم ﴾ من ﴿ المر ﴾ إلى ما أشارت إليه في الافتتاحات السابقة .

كذلك تمت مجموعة ﴿ طسم ﴾ إلى أواخر سور العهد المكي . وإذا اعتمدنا على موضوعها ظهر لنا أن اللون الغالب عليها هو قصة موسى . ولذا نجترئ ونقول : إنها إشارة إلى طور سينا ، وهو الجبل الذي تلقى عليه موسى

الوحي . وفى ذلك تلميح إلى مشابهة الوحي الذى نزل على محمد بالوحي الذى نزل على موسى فى جبل طور سينا ^(١) .

وأعلنت د. عائشة عبد الرحمن أن منهجها يتجه ابتداء إلى استقراء كامل لجميع السور المفتحة بالحروف المقطعة ، مرتبة بحسب النزول ، وهى محاولة لا تعلم أن أحدا ممن قرأت لهم اتجه إليها ، مع أنها التى يمكن أن تهدينا إلى ملحظ مشترك فى هذه السور جميعا ، مأخوذ من تدبير سياقها ، وفهم طبيعة المقام الذى اقتضى إثارها بهذه الفواتح ، مرتبطا بسير الدعوة عصر المبعث ونزول آيات المعجزة .

وذكرت أن أول سورة نزلت مفتحة بالحروف هى سورة القلم - وهى ثانى السور على المشهور فى ترتيب النزول - ووضح أن الآيات فيها موجهة إلى تأييد المصطفى وتثبيت قلبه ، فى مواجهة من يكذبونه ويجادلون فى معجزته . فيزعمون أن هذا القرآن من مثل مايسطرون من أساطير الأولين . وربطت بينها وبين سورة العلق التى سبقتها فى النزول .

ووالى تحليل السور تحليلا مطولا على ترتيب نزولها : ن ، ق ، ص ، الأعراف ، يس ، مريم ، طه ، الشعراء ، النمل ، القصص ، يونس ، هود ، يوسف ، الحجر ، لقمان ، غافر ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف ، إبراهيم ، السجدة ، الروم ، العنكبوت ، البقرة ، آل عمران ، الرعد .

وخلصت من هذا الاستقراء إلى :

١ - أنها بدأت من أوائل الوحي لافتة إلى سر الحرف . ثم كثرت وتتابع فى أواسط العهد المكى حين بلغ الجدل أشده . فغرضت قضية التحدى ، وظلت الآيات تعاجزهم وتتحداهم أن يأتوا بمثله أو بسورة منه ، إلى أول العهد المدنى ،

(١) رسالة ٢٨٠/٣ - ٢٨٣ .

الذى نزلت فيه آية البقرة ، فحسنت الجدل العقيم ، بعد أن لزمتهم الحجة على صدق المعجزة بعجزهم مجتمعين أن يأتوا بسورة من مثله .

٢ - أكثر السور المبدوءة بالحروف نزلت فى المرحلة التى بلغ فيها عتو المشركين أقصى المدى ، وأفحشوا فى حمل الوحى على الافتراء والسحر والشعر والكهانة ، فواجههم القرآن بالتحدى ^(١) .

* * *

(١) الإعجاز ١٢٧ ، ١٤٥ - ٦٧ .

رموز الهيروغليفية

وفى أواخر سنة ١٩٩٩ أصدر سعد عبد المطلب العدل كتاباً بعنوان «الهيروغليفية تفسر القرآن الكريم» أثار زوبعة من الجدل . فقد رفض كل التفسيرات السابقة عليه ، وسعى إلى تفسير وصفه بالعلمى . فأدى به هذا إلى أن هذه الرموز ليست حروف هجاء ، وإنما هى كلمات وجمل . ولما وجد أن هذه الكلمات لا تؤدي إلى معنى فى اللغة العربية ، كان لزاماً عليه - يقول : أن يبحث فى لغة أخرى من اللغات القديمة أو المعاصرة لنزول القرآن . وهداه البحث إلى اللغة الهيروغليفية ^(١) .

وقد مهد لهذه النتيجة بعدد من الحقائق والفروض :

أولها أن منطقتنا التى هى قلب العالم اختصها الله بكل الرسائل السماوية ^(٢) .

وثانيها أن اللغة المصرية القديمة ، التى تعرف الآن تحت مسمى (اللغة الهيروغليفية) كانت لغة عالمية . أى كانت لسان العصر لكل من أراد أن يعبر أو يكتب أو يتكلم حتى بعثة نبيينا محمد . واستدل على ذلك بإقامة عدد من الأنبياء فى مصر ^(٣) .

وثالثها وجود صلات بين اللغتين الهيروغليفية والعربية ، استدل عليها بوجود (كلمات لاتعد ولا تحصى) فى قاموس اللغتين ، وإطلاق أسماء مصرية الأصل على (معظم أسماء الأماكن والمدن والجبال والقبائل والنبات والحيوان ، وجميع أسماء القبائل اليهودية التى كانت تعيش فى الجزيرة العربية على عهد الرسول) ^(٤) .

(١) ١٨ ، ١٩ .

(٢) ٢٠ .

(٣) ٢٠ - ٢٢ .

(٤) ٢٤ - ٢٩ .

ورابعها وجود صلات بين الهيروغليفية والقرآن ، استدل عليها بكلمات وصفها بأن علاقتها بالعربية ضعيفة مما جعل القرآن يوضحها بإيراد آيات تشرح معناها بعدها أو بالتساؤل عن مرادها ، وفسرها هو من المصرية ^(١) .

وانطلق المؤلف فى تفسير الحروف بالهيروغليفية ، متوخيا - كما قال - تحديد الرموز القرآنية بإعادة كتابتها بلغتها الأصلية ، ثم البحث عن معانيها فى قاموس اللغة المصرية القديمة ، ثم التأكد من صحة معناها فى السياق ، سواء بالحس اللغوى التفسيرى أو بما نستطيع الحصول عليه من كتب السيرة والسنة من إشارات فى هذا الاتجاه ^(٢) .

ومثل أية دعوة جديدة : توجس بعض العلماء مما وراءها من خبيء ورحب بها بعضهم بصفتها محاولة للاجتهاد مع التوقف عن الفصل فيها ، وهاجمها بعضهم هجوما صريحا عنيفا .

وكان أهم ما اعتمد عليه فى الرفض :

١ - أن القرآن نص فى ثلاث عشرة سورة على أنه قرآن عربى مبين ، مما يحدد اللغة التى نزل بها تحديدا واضحا .

٢ - أن إسحاق ويعقوب والمسيح لم تكن الهيروغليفية لغتهم أو تعلموها ، وأما الذى كان يعرفها فهما يوسف وموسى مع احتفاظهما بلغة قومهما .

٣ - ليس هناك رسول نزلت عليه رسالة بالهيروغليفية فيما هو معروف فى علم الأديان إلى الآن ^(٣) .

* * *

(١) ٣٠ .

(٢) ٣٥ .

(٣) صوت الأزهري . ٢٥ جمادى الأولى ١٤٢١ .

الفصل الثاني

نظام الحروف

السمية الحروف

لم يقصر الدارسون جهودهم على استبانة دلالة الحروف المقطعة ، بل تعدوها إلى استبانة وضعها للغوى ، وبعض الأمور الأخرى . وكان من أول ما اعتنوا به : هل مازالت هذه الحروف حروفاً أو فقدت حرفيتها وصارت أسماء ؟

فنقل لنا الطبرى فى ﴿ حَم ﴾ : قال آخرون : بل هو اسم . واحتجوا لقولهم ذلك بقول شريح بن أوفى العبسى :

يذكّرنى ﴿ حَم ﴾ والرمح شاجرٌ فهلاً تلا ﴿ حَم ﴾ قبل التقدم
وبقول الكميت :

وجدنا لكم فى آل ﴿ حَم ﴾ آية تأوّلها منا تقىّ ومُعرب

وحُدّثت عن معمر بن المثنى عن يونس الجرمى : ومن قال هذا القول فهو منكّر عليه ، لأنّ السورة ﴿ حَم ﴾ ساكنة الحروف ، فخرجت مخرج التهجى ، وهذه أسماء خرجت متحركات . وإذا سميت سورة بشيء من هذه الأحرف المجزومة دخله الإعراب ^(١) .

وأعلن الزمخشري فى صراحة : اعلم أن هذه الألفاظ التى يتهجى بها أسماء ، مسمياتها الحروف المبسوطة التى منها رُكبت الكلم ^(٢) .

وأورد قول من قال : هلا زعمت أنها حروف كما وقع فى عبارات المتقدمين ! وأجاب : قد استوضحت بالبرهان الثّير أنها أسماء غير حروف . فعلمت أن

(١) جامع ٢٧/٢٤ .

(٢) الكشف ٧٦/١ . الرازى ٢/٢ . النسفى ٩/١ . أبو حيان ٣٢/١ . البيضاوى ١٢/١ .
النيسابورى ١٣٣/١ . أبو السعود ٢٣/١ . الآلوسى ٩٨/١ .

قولهم خليف بأن يُصَرَّف إلى التسامح . وقد وجدناهم متسامحين فى تسمية كثير من الأسماء التى لا يقدح إشكال فى اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف ، مستعملين الحرف فى معنى الكلمة ^(١) .

وذلك أن قولك : ألف ، دلالة على أوسط حروف (قال) و (قام) دلالة (فرس) على الحيوان المخصوص ، لا فضل فيما يرجع إلى التسمية بين الداليتين ^(٢) .

ألا ترى أن الحرف مادل على معنى فى غيره ، وهذا دال على معنى فى نفسه ^(٣) .

ولأنها متصرفة فيها بالإمالة كقولك : أباتا ، وبالتفخيم كقولك : باتا ، وبالتعريف والتذكير ، والجمع ، والتصغير ، والوصف ، والإسناد ، والإضافة ، وجميع ما للأسماء المتصرفة ^(٤) .

والحق إن الزمخشري هو الذى أفاض فى شرح اسمية هذه الحروف ، والبرهنة عليها ، فاضطر كل من تعرض لهذا الجانب بعده أن يعتمد على أقواله . وفرق بعضهم بين مابدئ بحرف واحد وما بدئ بأكثر . قال الزركشى : أما مابدئ بحرف واحد فاختلفوا فيه : فمنهم من لم يجعل ذلك حرفا . وإنما جعله اسما لشيء خاص ، ومنهم من جعله حرفا ، وقال : أراد [الله] أن يتحقق الحروف مفردا ومنظوما ^(٥) .

(١) الكشف ٧٨/١ . النيسابورى ١٣٣/١ . أبو السعود ٢٣/١

(٢) الكشف ٨٧/١ - ٨٩ .

(٣) الكشف ٧٩/١ . النسفى ٩/١ .

(٤) الكشف ٧٩/١ . الرازى ٢/٢ . النسفى ٩/١ . البيضاوى ١٢/١ . النيسابورى ١٣٣/١ .

أبو السعود ٢٣/١ . الآلوسى ٩٨/١ .

(٥) البرهان ١٦٨/١ .

إِعْرَابُ الحُرُوفِ

خصص سيويوه بابا في كتابه لإعراب الحروف المقطعة . فأبان أن :
ص لا يُصَرَف .

ن يجوز صرفه عند من يصرف هنداً ، فيجوز رفعه ونصبه .
ص ويس يجوز بناؤهما على الفتح .

حم وطس ويس : لا ينصرف ، جعلته اسماً للسورة ، أو أضفته إليه ، لأنهم
أنزلوه بمنزلة الاسم الأعجمي .

طسم إن شئت بنيته على فتح الجزئين - طاسين ميم - بمنزلة بعلبك .
وإن شئت حكيت ، وتركت الحروف ساكنة على حالها .
كهيعص والمر : ليس فيهما إلا الحكاية ^(١) .

وأفاض الزمخشري طويلاً في الحديث عن هذا الجانب ، فقال : حكمها -
مالم تله العوامل - أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفة كأسماء الأعداد ، فيقال :
ألف ، لام ، ميم ، كما يقال : واحد ، اثنان ، ثلاثة . فإذا وليتها العوامل أدركها
الإعراب ^(٢) .

فإن قلت : من أي قبيل هي من الأسماء : أمعرية أم مبنية ؟

قلت : بل هي أسماء معربة . وإنما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من
الأسماء ، حيث لا يمسها إعراب ، لِفَقْدِ مقتضيه وموجبه . والدليل على أن
سكونها وقف ليس ببناء أنها لو بُنيت لُحِذِي بها حذو كيف وهؤلاء ، ولم يقل :
ص ، ق ، ن ، مجموعاً فيها بين الساكنين ^(٣) .

(١) الكتاب ٢٥٦/٣ - ٢٥٩ .

(٢) الكشف ٧٨/١ ، الرازي ٢/٢ . أبو حيان ٣٢/١ . البياضوي ١٢/١ . النيسابوري
١٣٣/١ . أبو السعود ٢٤/١ ، ٢٦ ، الآلوسي ٩٩/١ . المنار ١٢٢/١ ، ١٩٦/٨ . شرف ٤٨ .

(٣) الكشف ٨٢/١ - ٣ . الرازي ٣/٢ . النسفي ٩/١ . البياضوي ١٢/١ . النيسابوري
١٣٤/١ . الآلوسي ٩٩/١ ، ١٠٤ .

وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها ، في حد مالا ينصرف ، بباب أسماء السور ^(١) .

وهي في ذلك على ضربين : أحدهما مالا يتأتى فيه إعراب نحو كهيعص والمر . والثاني ما يتأتى فيه الإعراب . وهو إما أن يكون اسما فردا كص ، وق ، ون ، أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس ، فإنها موازنة لقابيل وهابيل ، وكذلك طسم يتأتى فيها أن تفتح نونها وتصبح ميم مضمومة إلى طس ، فيجعل اسما واحدا كدارابجرد . فالنوع الأول محكى ليس إلا . وأما النوع الثاني فسائغ فيه الأمران : الإعراب والحكاية ^(٢) ، قال قاتل محمد بن طلحة السجاد ، وهو شريح بن أوفى العبسي :

يذكرني ﴿حَم﴾ والرمح شاجر فهلا تلا ﴿حَم﴾ قبل التقدم

فأعرب حم ومنعها الصرف . وهكذا كل مأعرب من أخواتها ، لاجتماع سببي منع الصرف فيها ، وهما العلمية والتأنيث . والحكاية أن تجيء بالقول - بعد نقله - على استبقاء صورته الأولى ، كقولك : دعنى من تمرتان ، وبدأت بـ « الحمد لله » .

وروى منصوبا ومجرورا . فإن قلت : فما وجه قراءة من قرأ ص ، وق ، ون ، مفتوحات ؟

قلت : الأوجه أن يقال : ذاك نصب وليس بفتح . وإنما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف . وانتصابها بفعل مضمر نحو (اذكر) ^(٣) .
وحكى أبو سعيد السيرافي أن بعضهم قرأ ﴿يَس﴾ ويجوز أن يقال : حركت لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ^(٤) .

(١) الكشف ٨٣/١ .

(٢) الكشف ٨٣/١ . الرازي ١١/٢ - ٢ . الزركشي ١٧١/١ . النيسابوري ١٣٨/١ . أبو السعود ٢٦/١ . الآلوسی ١٠٤/١ .

(٣) الكشف ٨٤/١ - ٨٦ . النيسابوري ١٣٨/١ - ٩ . الآلوسی ١٠٥/١ .

(٤) الكشف ٨٦/١ . النيسابوري ١٣٩/١ . أبو السعود ٢٦/١ .

والذى ييسط من عذر المحرك أن الوقف لما استمر بهذه الأسامي ، شاكلت لذلك مااجتمع فى آخره ساكنان من المبنيات . فعوملت تارة معاملة الآن ، وأخرى معاملة هؤلاء^(١) .

فإن قلت : هلا زعمت أن ﴿ تَ وَالْقَلِيلِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ - عند نصبها - مقسم بها ، وأنها نُصِبَتْ نَصْبَ قولهم : نَعَمْ اللهُ لأفعلن ، وآى اللهُ لأفعلن ، على حذف حرف الجر ، وإعمال فعل القسم !

قلت : إن القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما . فلو زعمت ذلك لجمعت بين قَسَمِينَ على مُقَسَّم واحد . وقد استكروهوا ذلك^(٢) .

فإن قلت : فقدُرْها مجرورة بإضمار الباء القسمية لا بحذفها ، فقد جاء عنهم : اللهُ لأفعلن - مجرورا - واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير إلى ما أشرت إليه !

قلت : هذا لايعد عن الصواب ، ويعضده مارووا عن ابن عباس أنه قال : أقسم الله بهذه الحروف^(٣) .

فإن قلت : هل تسوِّغ لى فى المحكية مثل ماسوغت لى فى المعربة من إرادة معنى القسم ؟

قلت : لاعليك فى ذلك ، وأن تقدر حق القسم مضمرا فى نحو قوله : ﴿ حَمَّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ كأنه قيل : أقسم بهذه السورة ، والكتاب المبين ، إنا جعلناه^(٤) .

فإن قلت : هل لهذه الفواتح محل من الإعراب ؟

(١) الكشف ٩١/١ . النيسابورى ١٣٩/١ . أبو السعود ٢٦/١ .

(٢) الكشف ٨٦/١ - ٨٧ . أبو السعود ٢٦/١ .

(٣) الكشف ٩٠/١ - ٩١ .

(٤) الكشف ٩١/١ - ٩٢ .

قلت : نعم ، لها محل فيمن جعلها أسماء السور ، لأنها عنده كسائر الأسماء الأعلام .

فإن قلت : ما محلها ؟

قلت : يحتمل الأوجه الثلاثة : أما الرفع فعلى الابتداء ، وأما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة ﴿ الله والله ﴾ على اللغتين .
ومن لم يجعلها أسماء للسور ، لم يتصور أن يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة والمفردات المعددة ^(١) .

وأجمل ابن عطية الحديث عنها مع الشمول فقال : الوقف على هذه الحروف على السكون لنقصانها ، إلا إذا أخبرت عنها أو عطفتها ، فإنك تعربها . وموضع ﴿ الم ﴾ من الإعراب رفع على أنه خبر ابتداء مضمر ، أو على أنه ابتداء ^(٢) ، أو نصب بإضمار فعل ، أو خفض بالقسم . وهذا الإعراب يتجه الرفع منه في بعض الأقوال المتقدمة في الحروف ، والنصب في بعض ، والخفض في قول ابن عباس : إنها أسماء لله ، أقسم بها ^(٣) .

وكشف القرطبي عن موقف النحاة منها فقال : اختلف : هل لها محل من الإعراب ؟ فقول : لا ، لأنها ليست أسماء متمكنة ، ولا أفعالا مضارعة ، وإنما هي بمنزلة حروف التهجي ، فهي محكية . هذا مذهب الخليل وسيبويه . ومن قال : إنها أسماء السور ، فموضعها عنده الرفع على أنها عنده خبر ابتداء مضمر ، أى هذه ﴿ الم ﴾ ، كما تقول : هذه سورة البقرة ، أو تكون رفعا على الابتداء . والخبر ذلك ، كما تقول : زيد ذلك الرجل . وقال ابن كيسان النحوي : ﴿ الم ﴾ في موضع نصب كما تقول : اقرأ ﴿ الم ﴾ ، أو عليك ﴿ الم ﴾ . وقيل : في موضع خفض بالقسم ، لقول ابن عباس ^(٤) .

(١) الكشف ١٠٧/١ - ١٠٨ . الرازي ١٢/٢ . النسفي ١٠/١ . ابن جزي ٦٠/١ .
النيسابوري ١٣٩/١ . الشرييني ١٥/١ .

(٢) المحرر ١٤١/١ . وانظر المنار ٤/١٢ .

(٣) المحرر ٦/١ .

(٤) جامع ١٥٦/١ - ١٥٧ .

نظام الحروف المستخدمة

كان أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني أول من أشار إلى أن الحروف المقطعة المذكورة في أول السور ذات نظام خاص ، فقد جعل المعنى [الوجه] التاسع من معانى بديع نظم القرآن المتضمن للإعجاز .

١ - أن الحروف التي بُنى عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفاً ، وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة ^(١) .

٢ - وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور نصف الجملة ، وهو أربعة عشر حرفاً ^(٢) ، ليدل بالمذكور على غيره ، وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم .

٣ - والذي تنقسم إليه هذه الحروف - على ما قسمه أهل العربية ، وبنوا عليها وجوهها - أقسام ، نحن ذاكروها :

فمن ذلك أنهم قسموها إلى حروف مهموسة ، وأخرى مجهورة . فالمهموسة عشرة ، وهي الحاء ، والهاء ، والخاء ، والكاف ، والشين ، والطاء ، والفاء ، والطاء ، والصاد ، والسين . وما سوى ذلك من الحروف فهي مجهورة .

وقد عرفنا أن نصف الحروف المهموسة مذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السور . وكذلك نصف الحروف المجهورة على السواء ، لزيادة ولا نقصان .

وكذلك مما يقسمون إليه الحروف ضربان : أحدهما حروف الحلق ، وهي ستة أحرف : العين ، والحاء ، والهمزة ، والهاء ، والخاء ، والغين .

(١) إعجاز ٤٤ . الزمخشري ١٠١/١ . الرازي ١٢/٢ . النسفي ٩/١ . الخازن ٢٧/١ .
البيضاوي ١٢/١ . الزركشي ١٦٦/١ - ١٧٧، ٨ . النيسابوري ١٣٧/١ . أبو السعود ٢٥/١ .
الشوكاني ٢٩-٣٠ . الألوسي ١٠١/١ . صبيح ١٥٢ . حمودة ١٩٥/٢ . غلاب ٣٧ . شرف
٣٧ . بن نبي ٣٣٠ . عائشة ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٤٠ . إسماعيل ٢٦٦ . حمادة ١٦٠ . أحمد ٢٠٥ .
ظاهرة ١٣٧ . كفاي ١٣٣ . خليف ٨٠ . شقرف ٣٣ .

والنصف من هذه الحروف [الحلقية] مذكور فى جملة الحروف التى تشتمل عليها الحروف المثبتة فى أوائل السور . وكذلك النصف من الحروف التى ليست بحروف الحلق .

وكذلك تنقسم هذه الحروف إلى قسمين آخرين : الحروف الشديدة ، وهى التى تمنع الصوت أن يجرى فيه ، وهى الهمزة ، والقاف ، والكاف ، والجيم ، والطاء ، والذال ، والطاء ، والباء ؛ والحروف غير الشديدة . ومن ذلك الحروف المطبقة ، وهى أربعة أحرف : الطاء ، والطاء ، والصاد ، والضاد ؛ وما سواها منفتحة .

وقد علمنا أن نصف هذه وتلك مذكور فى جملة تلك الحروف المبدوء بها فى أوائل السور .

فدل وقوع الحروف المقطعة الموقع الذى يقع التواضع عليه ، بعد العهد الطويل ، أنه لايجوز أن يقع إلا من الله ، لأن ذلك يجرى مجرى علم الغيوب . وإن كان اللغويون إنما تنبهوا على مابنى عليه اللسان فى أصله ، ولم يكن لهم فى التقسيم شئ ، فذلك أيضا من البديع الذى يدل على أن أصل وضعه وقع موقع الحكمة التى يقصر عنها اللسان .

فإن كان أصل اللغة توقيفا ، فالأمر فى ذلك أئين . وإن كان على سبيل التواضع فهو عجيب أيضا ، لأنه لاتصح أن تجتمع همهم المختلفة على نحو هذا إلا بأمر من عند الله ، وكل ذلك يوجب إثبات الحكمة فى ذكر هذه الحروف على حد يتعلق به الإعجاز من وجه (١) .

نستبين مما سبق أن الباقلانى وقف فى نظام الحروف المقطعة عند ثلاثة جوانب : عدد السور التى وردت فى أوائلها ، وعدد الحروف نفسها ، واحتوائها على نصف كل واحد من أجناس حروف اللغة ، وعلى هذا الترتيب أتحدث عنها .

(١) إعجاز ٤٤ - ٥٥ . المنار ٢٦٢/٨ . عائشة ١٢٨ . أبو زيد ٢١٧ - ٢١٨ .

عدد السور

اتفق الزمخشري مع الباقلاني في أن الحروف المقطعة وردت في صدر تسع وعشرين سورة ، أى على عدد حروف المعجم ^(١) .

وأول محبى الدين بن عربى هذا العدد تأويلا صوفيا ، فقال فى « الفتوحات المكية » : جعلها - تبارك وتعالى - تسعا وعشرين سورة ، وهو كمال الصورة ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ ﴾ [سورة يس : ٣٩] . والتاسع والعشرون القطب الذى به قوام الفلك ، وهو علة وجوده ، وهو سورة آل عمران ﴿ الم الله ﴾ . ولولا ذلك ما ثبتت الثمانية والعشرون ^(٢) .

وأولها الزركشى تأويلا قريبا فقال : الأولى أن الأحرف إنما جاءت فى تسع وعشرين سورة ، لتكون عدة السور دالة لنا على عدة الحروف . فيعلم أن الأربعة عشر عوض عن تسعة وعشرين . ويحتمل أن السور المبدوءة بالحروف خصصت بعلامات لفضيلة ، وجب من أجلها أن تُعلم لينبه على فضلها ^(٣) .

ولست أدري علام اعتمد محمد عزة دروزة عندما جعلها ٢٧ سورة ^(٤) .

وذهب مالك بن نبي إلى أن فى وجود هذه الحروف فى بعض السور دون بعضها الآخر مايدل على وجود تنظيم ضمنى مقصود ، ينفى افتراض الصدفة ، أو مجرد شروء ذات سلبية غير واعية ^(٥) .

(١) الكشف ١٠١/١ . الزمكاني ٥٩ . الزركشى ١٦٥/١ - ٨ ، ١٧٧ - ١٠٨ . الشوكاني

٢٩/١ . المنار ٢٦٢/٨ . صبيح ١٠١ . غلاب ٣٧ . عبد التواب ١٦٥ . حمادة ١٦٠ ، ١٦٣ .

زرزور ١٣٩ . العدل ٩ .

(٢) الآلوسى ١٠١/١ . الصالح ٢٣٨ .

(٣) البرهان ١٧٨/١ .

(٤) القرآن ٣٥٠ .

(٥) الظاهرة ٣٣٣ .

ونقل د. محمد غلاب أن بعض الباحثين رتب السور التي ابتدأت بها ووضع لها جدولاً على النحو التالي :

سورة ٢ البقرة الم	سورة ١٠ يونس الر	سورة ١٣ الرعد الم
سورة ٣ آل عمران الم	سورة ١١ هود الر	سورة ١٤ إبراهيم الم
سورة ٧ الأعراف المص	سورة ١٢ يوسف الر	سورة ١٥ الحجر الر
سورة ١٩ مريم كهيعص	سورة ٣١ لقمان الم	سورة ٤٣ الزخرف حم
سورة ٢٠ طه	سورة ٣٢ السجدة الم	سورة ٤٤ الدخان حم
سورة ٢٦ الشعراء طسم	سورة ٣٦ يس يس	سورة ٤٥ الجاثية حم
سورة ٢٧ النمل طس	سورة ٣٨ ص ص	سورة ٤٦ الأحقاف حم
سورة ٢٨ القصص طسم	سورة ٤٠ غافر حم	سورة ٥٠ ق ق
سورة ٢٩ العنكبوت الم	سورة ٤١ فصلت حم	سورة ٦٨ القلم ن
سورة ٣٠ الروم الم	سورة ٤٢ الشورى حم	
	عسق	

عدد الحروف

ذكر الباقلانى - كما رأينا - أن عدد حروف اللغة ٢٩ ، وعدد الحروف المقطعة ١٤ ، وعلى الرغم من ذلك وصفها بأنها نصفها . ثم استدرك الأمر فقال : يشبه أن يكون التنصيف وقع فى هذه الحروف دون الألف ، لأن الألف قد تُلغى ، وقد تقع هى والهمزة موقعا واحدا ^(١) .

واتفق معه الزمخشري ، وسرد هذه الحروف ، فقال : اعلم أنك - إذا تأملت ما أورده الله فى الفواتح من هذه الأسماء وجدتها نصف أسامى حروف المعجم : أربعة عشر سواء ، وهى الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون ^(٢) .

وفطن الزمخشري إلى أن الحروف التى ذكرها القرآن كثيرة الدوران ، قال : إنك إذا استقرت الكلم وتراكيبها ، رأيت الحروف التى ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها . فسبحان الذى دقت فى كل شىء حكمته .. ومما يدل على أنه تعمد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعا فى تراكيب الكلم أن الألف واللام لما تكاثرت وقوعهما فيها ، جاءتا فى معظم هذه الفواتح مكررتين ، وهى فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والأعراف والرعد ويونس وإبراهيم وهود ويوسف والحجر ^(٣) .

(١) إعجاز ٤٦ . البيضاء ١٢/١ .

(٢) الكشف ١٠٠/١ - ١ . الرازى ١٢/١ ، ٣٩/٢٦ . الزمكاني ٥٨ . ابن أبى الإصبع ٧٥ - ٧٦ . النسفى ٩/١ . الخازن ٢٦/١ . ابن كثير ٣٧/١ . البيضاء ١٢١/١ . الزركشى ١٦٥/١ . ١٧٦ . النيسابورى ١٣٧/١ . الإتيقان ١٣/٢ . الشوكاني ٢٩/١ . الألوسى ١٠١/١ . المنار ٢٦٢/٨ . الصالح ٢٣٥ . حمودة ٧٥/١ . شرف ٣٧ . عبد التواب ١٦٥ . غلاب ٣٧ . عائشة ١٢٧ . إسماعيل ٢٦٧ . حمادة ١٦٠ ، ١٦٣ . أحمد ٢٠٦ . زرزور ١٤٠ ، ١٤٣ . العمرى ١٠٨ - ١٠٩ . شحاتة ٨٣ . شقر ٣٣ . أبو زيد ٢١٥ - ٢١٦ .

(٣) الكشف ١٠٣/١ - ١٠٤ .

وحصر ابن أبي الإصبع ورود هذه الحروف في السور حسب بنيتها ، فقال :

١ - المفردات . أى الفواتح من حرف واحد - ثلاث سور ، هى ص ، ق ، ن

٢ - الثنائيات تسع سور ، وهى طه ، طس ، يس ، والحواميم سوى الشورى .

٣ - الثلاثيات ثلاث عشرة سورة ، وهى ثلاثة أضرب :

ضرب افتتح بـ ﴿الْمَ﴾ وهو ست سور : البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة .

وضرب افتتح بـ ﴿الرَّ﴾ وهو خمس سور : وهى يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، الحجر .

وضرب افتتح بـ ﴿طَسَمَ﴾ ، وهو سورتان : الشعراء ، القصص .

٤ - الرباعيات سورتان ، وهما ﴿الْمَصَّ﴾ الأعراف ، و ﴿الْمَرَّ﴾ الرعد .

٥ - الخماسيات سورتان أيضا ، وهما ﴿كَهَيَّعَ﴾ مريم ، و ﴿حَدَّ عَسَقَ﴾ الشورى ^(١) .

وذهب الرازى إلى أن حروف لسان العرب ٢٨ حرفا ، على قولنا : الهمزة ألف متحركة ^(٢) .

وذكر أنه - تعالى - قسم الحروف ثلاثة أقسام :

- ١ - تسعة أحرف من الألف إلى الذال .
 - ٢ - وتسعة أحرف أخر فى آخر الحروف من الفاء إلى الياء .
 - ٣ - وعشرة من الوسط : من الراء إلى العين .
- وأعلن أنه ذكر من القسم الأول حرفين ، هما الألف والحاء ، وترك سبعة . وترك من القسم الثانى حرفين ، هما الفاء والواو ، وذكر سبعة . وذكر من القسم الأخير حرفا وترك حرفا : فذكر الراء وترك الزاى ، وذكر السين وترك الشين ، وذكر الصاد وترك الضاد ، وذكر الطاء وترك الظاء ، وذكر الغين وترك العين .

(١) الخواطر ٧٥ - ٧٦ . الرازى ٣٩/٢٦ . الزركشى ١٦٧/١ . الصالح ٢٣٤ - ٢٣٥ . حمادة ١٥٩ . زررور ١٣٩ . المعرى ١٠٧ . العدل ١٠ - ١١ .

(٢) مفاتيح ٣٩/٢٦ .

ولم يترك من القسم الأول ، من حروف الحلق والصدر ، إلا واحدا ، لم يذكره ، وهو الخاء ، ولم يذكر من القسم الثانى ، من حروف الشفة ، إلا واحدا لم يتركه ، وهو الميم ^(١) .

وإذا كان الزمخشري نظر إلى مدى دوران الحروف المذكورة والحروف المهملة فى الكلام ، فإن ابن كثير نظر إلى قدرها فى ذاتها ، ورأى أن المذكور منها أشرف من المتروك ^(٢) .

وقال الزركشى : هذا واضح على من عدّ حروف المعجم ثمانيا وعشرين حرفا ، وقال : (لا) مركبة من اللام والألف . والصحيح أنها تسعة وعشرون حرفا . والجواب على هذا المذهب أن الحرف لا يمكن تنصيفه ، فيتعين سقوطه ، لأنه الأليق بالإيجاز ^(٣) .

وحصر مجموعها الكلى وتفصيله ، فقال : اعلم أن الأسماء المتهجئة فى أول السور ثمانية وسبعون حرفا ^(٤) .

فالكاف والنون : كل واحد منهما فى مكان واحد .

والعين والياء والهاء والقاف : كل واحد فى مكانين .

والصاد فى ثلاثة .

والطاء فى أربعة .

والسين فى خمسة .

والراء فى ستة .

والحاء فى سبعة .

والألف واللام فى ثلاثة عشر .

والميم فى سبعة عشر ^(٥) .

(١) مفاتيح ٣٩/٢٦ .

(٢) التفسير ٣٧/١ .

(٣) البرهان ١٧٦/١ - ١٧٧ .

(٤) نفسه ١٦٧/١ . شقرف ٣٣ .

(٥) نفس الموضع .

وذكر الزرقاني أن الله خلق العالم منظما محكما ، متناسقا متناسبا .
والكتاب السماوى - إذا جاء مطابقا لنظامه ، موافقا لإبداعه - دل ذلك على أنه من عنده . والعالم المشاهد فيه عدد الثمانية والعشرين ، وذلك فيما يأتى :

- ١ - مفاصل اليدين فى كل يد أربعة عشر .
- ٢ - خرزات عمود ظهر الإنسان منها أربع عشرة فى أسفل الصلب ، وأربع عشرة فى أعلاه .
- ٣ - خرزات العمود التى فى أصلاب الحيوانات التامة الخلقة كالبقرة والجمال والحمير والسباع وسائر الحيوانات التى تلد أولادها ، منها أربع عشرة فى مؤخر الصلب وأربع عشرة فى مؤخر البدن .
- ٤ - عدد الريشات التى فى أجنحة الطير المعتمدة عليها فى الطيران أربع عشرة ريشة ظاهرة فى كل جناح .
- ٥ - عدد الخرزات التى فى أذنان الحيوانات الطويلة الأذنان كالبقرة والسباع .
- ٦ - عمود صلب الحيوانات الطويلة الخلقة ، كالسمك والحيات وبعض الحشرات .
- ٧ - عدد الحروف التى فى لغة العرب التى هى أتمُّ اللغات - ثمان وعشرون حرفا . منها أربعة عشر يدغم فيها لام التعريف ، وأربعة عشر لاتدغم اللام فيها .
- ٨ - الحروف التى تَحْطُّ بالقلم قسمان . منها أربعة عشر معلمة بالنقط وهى :
ب ت ث ...
وأربعة عشر غير معلمة ، وهى ا ح د ... وبقيت الياء ، وهى تنقط فى وسط الكلمة ، ولا تنقط فى آخرها .
- ٩ - منازل القمر ثمان وعشرون منزلة . فى البروج الشمالية أربع عشرة ، وفى الجنوبية أربع عشرة ...

فمن أين لبشر كمحمد أو غيره أن ينظم هذا النظام ، ويجعل هذه الأعداد موافقة للنظام الذى وضعته ؟

إن القرآن تنزيل منى . وقد وضعت هذه الحروف فى أوائل السور لتستخرجوا منها ذلك ^(١) .

وذكر د. محمد رشاد خليفة أن القرآن يتميز بخاصة هامة ، هى وجود الحروف النورانية المعروفة باسم فواتح السور . فإننا نجد بالضبط (١٤) حرفا تشترك فى (١٤) فاتحة من فواتح السور . وهذه الفواتح نجدها فى ٢٩ سورة ، لأن بعض هذه الفواتح تجىء فى أكثر من سورة فإذا جمعنا ١٤ + ١٤ + ٢٩ = نجد أن المجموع ٥٧ ، وهو ثلاثة أضعاف رقم (١٩) . ونجد أن الرقم (١٩) هو القاسم المشترك الأعظم بين جميع فواتح السور دون استثناء ^(٢) .

وذهب د. غلاب إلى أنه مما هو خليق بالذكر هنا أن جميع حروف فواتح السور نجدها فى فاتحة الكتاب .

ومن ذلك أيضا أن علماء العلوم الخفية اتفقوا على أن الحروف الهجائية قسمان :

أولهما حروف النور المتعلقة بالأمر العلوية .

والآخر حروف الظلمة المتعلقة بالأمر السفلية .

وجميع حروف فواتح السور هى حروف النور كلها . وليس منها حرف واحد من حروف الظلمة ^(٣) .

ونقل عبد المنعم شقرف أن محبى الدين بن عربى حصر تكرار كل واحد من الحروف المقطعة ، فكانت النتيجة كما يلى :

(١) مناهل ٢٢٧/١ - ٢٢٩ .

(٢) الحمصى ١٩٧ ، ٢٨٥ .

(٣) نظرات ٤٥ .

حرف الألف	١٣ مرة	حرف الحاء	٧ مرات
حرف الراء	٦ مرات	حرف السين	٥ مرات
حرف الصاد	٣ مرات	حرف الطاء	٤ مرات
حرف العين	مرتين	حرف القاف	مرتين
حرف اللام	١٣ مرة	حرف الميم	١٣ مرة
حرف النون	مرة واحدة	حرف الهاء	مرتين
حرف الياء	مرتين ^(١)		

ورصد سعد العدل المرات التي تكررت فيها هذه الرموز . فجاءت كما يلي :

الم	تكرر	٦ مرات
المص	» ١	
الر	» ٥	
المر	» ١	
كهيعص	» ١	
طه	» ١	
يس	» ١	
طس	» ١	
طسم	» ٢	
حم عسق	» ١	
حم	» ٦	
ص	» ١ وتكررت في آخر كهيعص والمص	
ق	» ١ » » » عسق	
ن	» ١ ^(٢)	

(١) علم الجفر ٣٣ - ٣٤ . وانظر العدل ٩ .

(٢) الهيروغليفيه ١٠ .

أجناس الحروف

تبين لنا أن الباقلاني فطن إلى أن الحروف المقطعة اشتملت على نصف الحروف المجهورة والمهموسة ، والحلقية وغيرها ، والشديدة وغيرها ، والمطبقة والمنفتحة .

وقد اتفق معه في هذه الظاهرة الزمخشري ، غير أنه توسع فيها وجعلها نظرية أثرت فيمن جاء بعده ، قال : إذا نظرت في هذه الحروف الأربعة عشر وجدتها مشتملة على نصف أجناس الحروف . بيان ذلك أن فيها :

من المهموسة نصفها : الصاد ، والكاف ، والهاء ، والسين ، والحاء .
ومن المجهورة نصفها : الألف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والباء والنون .

ومن الشديدة نصفها : الألف والكاف والطاء والقاف .
ومن الرخوة نصفها : اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون .

ومن المطبقة نصفها : الصاد والطاء .
ومن المنفتحة نصفها : الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون .

ومن المستعلية نصفها : القاف والصاد والطاء .
ومن المنخفضة نصفها : الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون .

ومن حروف القلقله نصفها : القاف والطاء ..
فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته (١) .

(١) الكشف ١٠١/١ - ٣ . الزمكاني ٥٩ . النسخي ٩/١ - ١٠ . ابن كثير ٣٧/١ .
البيضاوي ١٢/١ . الزركشي ١٦٦/١ . النيسابوري ١٣٧/١ . الإنقان ١٣/٢ . الشوكاني ٢٩/١ .
الآلوسي ١٠١/١ . الصالح ٢٣٦ . حمودة ٧٥/١ . عائشة ١٢٧ - ١٢٨ . حمادة ١٦٠ ، ١٦٣ .
العمري ١٠٩ . شحانة ٨٦ . زرزور ١٤٣ . أبو زيد ٢١٦ - ٢١٧ .

وزاد البيضاوى عليه : ومن اللينتين الياء لأنها أقل ثقلا .
ومن حروف البدل - وهى ثمانية عشر - الألف والهاء والطاء والميم والياء
والنون واللام والصاد والعين .
ومما يدغم فى مثله ، ولا يدغم فى المقارب - وهى خمسة عشر : الهمزة
والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والحاء ، أى نصفها الأقل .
ومما يدغم فيهما - وهى ثلاثة عشر - نصفها الأكثر : الحاء والقاف
والكاف والراء والسين واللام والنون ، لما فى الإدغام من الخفة والفصاحة .
ومن الأربعة التى لاتدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها نصفها : الميم
والسين .
ولما كانت الحروف الذلقية - التى يعتمد عليها بذلق اللسان ، وهى ستة
يجمعها « رب منفل » ، والحروف الحلقية ، كثيرة الوقوع فى الكلام ، ذكر
ثليهما .
ولما كانت أبنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ، ذكر من الزوائد العشرة التى
يجمعها « اليوم تنساه » سبعة أحرف منها ، تنبيهها على ذلك ^(١) .
ويبدو أن نسخة الكشف التى كانت عند الزركشى كانت ناقصة ، فعابه
 بإهمال الحروف الشديدة والمنفتحة ، ثم أضاف إليه أشياء أخرى ، قال : بقى
 عليه من الأصناف الشديدة والمنفتحة ، وقد ذكر - تعالى - نصفها .
أما حروف الصفير فهى ثلاثة ليس لها نصف ، فجاء منها السين والصاد .
وكذلك الحروف اللينة ثلاثة ، ذكر منها اثنين : الألف والياء .
أما المكرر - وهو الراء - والهاوى - وهو الألف - والمنحرف - وهو اللام
- فذكرها .
ولم يأت خارجا عن هذا النمط إلا ما بين الشديدة والرخوة ، فإنه ذكر فيه
أكثر من النصف ^(٢) .

(١) أنوار ١٢/١ - ١٣ .

(٢) البرهان ١٦٦/١ .

والحق إن أغلب ماأضافه البيضاوى والزركشى لاتنطبق عليه نظرية الأنصاف التى نادى بها الباقلانى والزمخشري .

وقال الزركشى أيضا : تأمل اقتران الطاء بالسين والهاء فى القرآن - يريد طه وطس - فإن الطاء جمعت من صفات الحروف خمس صفات لم يجمعها غيرها ، وهى الجهر والشدة والاستعلاء والإطباق والإصمات ، والسين مهموس رخو مستفل صغرى منفتح . فلا يمكن أن يجمع إلى الطاء حرف يقابلها كالسين والهاء . فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف ^(١) .

وأضاف السيوطى : ومن التى فوق حروف الحلق : القاف والكاف ، ومن الحرفين الشفهيين : الميم ^(٢) .

وأراد أبو السعود أن تتسع عبارته لكل ماذكر - وبخاصة فى الأعداد - دون أن يعيها أحد ، فصرح أن الحروف المقطعة تنطوى على أنصاف أصنافها تحقيقا أو تقريبا ^(٣) .

وعاب الشوكانى فعل [الباقلانى و] الزمخشري ومن تبعهما فقال : هذا التدقيق لا يأتى بفائدة يعتد بها . ويانه أنه - إذا كان المراد منه إلزام الحجة والتبكيث - كما قال - فهذا متيسر بأن يقال لهم : هذا القرآن هو من الحروف التى تتكلمون بها ليس هو من حروف مغايرة لها . فيكون هذا تبكيثا وإلزاما يفهمه كل سامع منهم من دون إلغاز ، وتعمية ، وتفريق لهذه الحروف فى فواتح تسع وعشرين سورة ، فإن هذا - مع مافيه من التطويل الذى لا يستوفيه سامعه إلا بسماع جميع هذه الفواتح - هو أيضا مما لا يفهمه أحد من السامعين ولا يتعقل شيئا منه ، فضلا عن أن يكون تبكيثا له وإلزاما للحجة أيا كان . فإن ذلك هو أمر وراء الفهم .

(١) البرهان ١/١٦٩ . أحمد ٢٠٧ .

(٢) الإتقان ١٣/٢ . الصالح ٢٣٦ . العمرى ١٠٩ .

(٣) إرشاد ٢٥/١ . إسماعيل ٢٦٧ .

ولا ذكر أهل العلم عن فرد من أفراد الجاهلية الذين وقع التحدى لهم بالقرآن أنه بلغ فهمه إلى بعض هذا فضلا عن كله .

ثم كون هذه الحروف مشتملة على النصف من جميع الحروف التي ركب لغة العرب منها ... هو أمر لا يتعلق به فائدة لجاهلى ولا إسلامى ، ولا مقر ولا منكر ، ولا مسلم ولا معارض ، ولا يصح أن يكون مقصدا من مقاصد الرب ، الذى أنزل كتابه للإرشاد إلى شرائعه والهداية به .

وهب أن هذه صناعة عجيبة ونكتة غريبة ، فليس ذلك ما يتصف بفصاحة ولا بلاغة حتى يكون مفيدا أنه كلام بليغ أو فصيح .

وإذا عرفت هذا ، فاعلم أن من تكلم فى بيان معانى هذه الحروف جازما بأن ذلك هو ماأراد الله فقط ، غلط أقبح الغلط ، وركب فى فهمه ودعواه أعظم الشطط (١) .

وعلق د. صبحى الصالح على هذه الظاهرة قائلا : إذا كنا اليوم - بعقلية القرن العشرين - لا نرى فى هذا الأمر أكثر من مصادفة ، فما كان ليخطر على بال السلف الصالح إلا أن الفواتح نظمت فى القرآن على هذا النمط منذ الأزل ، لتحتمى على كل مامن شأنه إعجاز البشر عن الإتيان بمثل هذا الكتاب العزيز ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (٢) .

ووصفها عبد الوهاب حمودة بأنها أشبه بيرلمان تمثل هذه الأحرف الأربعة عشر أخواتها الباقية (٣) .

وعلق د. نصر حامد على كلام الباقلانى قائلا : إن الدلالة التى يضيفها الباقلانى هنا دلالة مشابهة لدلالة « الإخبار عن الغيوب » على إعجاز النص . ولكن

(١) فتح ٣٠/١ .

(٢) مباحث ٢٣٦ .

(٣) رسالة ٧٥/١ .

علينا أن نكون على ذكر بأن هذه الدلالة دلالة أضافتها الثقافة على هذه الحروف بعد تطور الدرس اللغوى . ولا يقلل من هذه الدلالة الآن أن تقسيم الأصوات مخالف لتقسيم القدماء الذين كانوا يعتمدون على مجرد الملاحظة المباشرة . هذا بالإضافة إلى تطور نطق بعض الأصوات فى اللغة الحديثة ^(١) .

* * *

بنية الحروف

لاحظ الزمخشري اختلاف بنية هذه الحروف فى السور المختلفة ، وبحث عن علته ، فقال : فإن قلت : فهلا جاءت على وتيرة واحدة ! ولم اختلفت أعداد حروفها ، فوردت ص وق ون على حرف واحد ، وطه وطس ويس وحـم على حرفين ، والم والر وطسم على ثلاثة أحرف ، والمص والمر على أربعة أحرف ، وكهيعص وحـم عسق على خمسة أحرف ^(١) .

قلت : هذا على عادتهم فى افتنانهم فى أساليب الكلام ، وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب متنوعة ^(٢) .

وكما أن أبنية كلماتهم على حرف وحرفين إلى خمسة أحرف فقط لم تتجاوز ذلك ، سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك ^(٣) .

فإن قلت : فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التى اختصت بها ؟ قلت : إذا كان الغرض هو التنبيه ، والمبادئ كلها فى تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة ، كان تطلب وجه الاختصاص ساقطاً ، كما إذا سمي الرجل بعض أولاده : زيدا ، والآخر : عمرا : لم يُقَلْ له : لم خصصت ولدك هذا بزید ، وذلك بعمرو ؛ لأن الغرض هو التمييز ، وهو حاصل أية سلك ^(٤) .

(١) الكشف ١٠٤/١ - ٥ . الرازى ١٢/١ ، ٣٩/٢٦ . الزركشى ١٦٧/١ . النسفى ١٠/١ . ابن كثير ٣٨/١ . الإتيقان ١٣/٢ . الشرينى ١٥/١ . أبو السعود ٢٥/١ . حمودة ٧٥/١ . الصالح ٢٣٤ . غلاب ١٠٧ . شرف ٣٧ . عائشة ١٤٠ . إسماعيل ٢٦٧ . أحمد ٢٠٥ . شحاتة ٨٤ . زرزور ١٣٩ . العبرى ١٠٧ . كفافى ١٣٣ . خليف ٨٠ . شقرف ٣٣ . العدل ١٠ .

(٢) الكشف ١٠٥/١ . النسفى ١٠/١ . الشرينى ١٥/١ . أبو السعود ٢٥/١ . صبيح ١٠٠ . حمودة ٧٦/١ . إسماعيل ٢٦٧ .

(٣) الكشف ١٠٥/١ . النسفى ١٠/١ . ابن كثير ٣٨/١ . الإتيقان ١٣/٢ . الشرينى ١٥/١ . حمودة ٧٦/١ . عائشة ١٤٠ . إسماعيل ٢٦٧ .

(٤) الكشف ١٠٥/١ . الشرينى ١٥/١ . عائشة ١٣٧ .

وقال الرازى : فإن قال قائل : فما الحكمة فى اختصاص بعض السور بهذه الحروف .

فنقول : عقل البشر عن إدراك الأشياء الجزئية على تفاصيلها عاجز ^(١) .

وقال : فماذا يقول هذا القائل فى تخصيص بعض السور بالحرف الواحد ، والبعض بأكثر ؟ فلا يعلم تمام السر إلا الله ومن أعلمه الله به ^(٢) .

وذكر الآلوسى أن محبى الدين بن عربى تكلم على سر عدد حروفها بالتكرار ، وعدد حروفها بغير تكرار ، وعلى جملتها فى السور ، وعلى أفرادها فى ص و ق و ن ، وتثنيتهما فى يس وطه وأخواتهما ، وجمعها من ثلاثة فصاعدا ، ولم بلغت خمس حروف ، ولم يُصل بعضها وقُطع بعض ^(٣) . وطبيعى أن كلامه كان تأويلا صوفيا لكل مظاهرها .

وعجيب أن يقتصر سعد العدل - عندما تكلم عن أشكالها - على المكونة من حرف واثنين وثلاثة ، وسها عن المكون من أربعة وخمسة ^(٤) .

* * *

(١) مفاتيح ٢٦/٢٢ . عائشة ١٣٧ .

(٢) مفاتيح ٤٠/٢٦ ، ١٤٦/٢٨ .

(٣) روح ١٠١/١ .

(٤) الهيروغليفة ١٠ .

دوران الحروف

تساءل الزمخشري عن عدم جمع كل الحروف المقطعة في موضع واحد في أول القرآن وإيثار تفريقها على السور . ثم ذكر أن سبب ذلك إعادة التنبيه على أن المتحدّى به مؤلف منها لا غير ، وتجديده في غير موضع واحد أوّصل إلى الغرض ، وأقرّ له في الأسماع والقلوب ، من أن يفرد ذكره مرة . وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن ، فالمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره ^(١) .

ونظر ابن كثير إلى أقوال الزمخشري نظرة عامة ، ثم لخصها في أنه قال : لم ترد كلها مجموعة في أول القرآن ، وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدى والتبكيث ، كما كررت قصص كثيرة ، وكرر التحدى بالصریح في أماكن ^(٢) . وذكر أبو السعود أن ذلك كان لأسباب ثلاثة :

١ - للافتنان .

٢ - ولما في التكرير والإعادة من زيادة الإفادة .

٣ - ولتخصيص كل منها بسورتها ^(٣) .

والتمس عبد المنعم السيد حسن سر التكرار في ثلاثة أمور أيضا :

الأول : أن إثبات إعجاز القرآن يستدعى مزيدا من العناية والاهتمام بالوسائل المثبتة له . فتكرارها تذكير للمنكرين وتجديد لإيمان المؤمنين بإعجاز كتاب الله .

الثاني : أن إثبات الإعجاز من الأمور المتصلة بالعقيدة . وقد ألفنا من القرآن معاودة التذكير بهذه الأمور ، وإعطائها المزيد من التركيز ، كآيات التوحيد والبعث .

(١) الكشف ١٠٤/١ . النسفي ١٠/١ . البيضاوي ١٣/١ . الشريني ١٥/١ . صبيح ٥٠ .

(٢) ابن كثير ٣٨/١ .

(٣) إرشاد ٢٥/١ - ٢٦ . إسماعيل ٢٦٧ .

الثالث : أن في إيراد هذه الأحرف على هذا النسق من الغموض والإبهام ما يدعو إلى الإيمان بالغيب . فتكرارها دليل على مدى خضوع المؤمنين لله ، وتفويضهم له كل ما يرد في كتابه ^(١) .

* * *

(١) ظاهرة ١٣٦ - ١٣٧ .

القسم الثاني
الفواتح اللفظية

الفصل الأول

كتاب ابن أبي الإصبع

إذا كنت قد أطلت في الحديث عن افتتاح السور بالحروف المقطعة فإن السبب أن المفكرين أطلوا الحديث عنها وشعبوه . ولكنهم - مع ذلك - لم يهتموا الفواتح اللفظية ، بل أعطوها شيئا من الاهتمام .

وأقدم من تعرض لها من مصادر الطبرى ، الذى أتى بإشارة موجزة فى أثناء حديثه عن ﴿ كَهَيْعَق ﴾ قال : كل حرف منها دل على اسم من أسمائه وصفة من صفاته ، كما افتتح سورا كثيرة بتحميده ، وتسييحه ، وتعظيمه ^(١) . فذكر ثلاثة أنواع من الفواتح .

وقفزت الدراسة بسرعة إلى كتاب مستقل صغير خاص بالفواتح عند ابن أبى الإصبع ، سماه « الخواطر السوانح فى أسرار الفواتح » .

دفعه إلى ذلك - فيما يقول - أنه لحظ كل لفظة افتتحت بها سورة - دون مابعداها من كلمات - كللفظة (الحمد) بمجرداها من الفاتحة ، فرآها ينتظم منها إعجاز يحصل به الاستدلال القاطع للمنازع عند الجدل ، على أنها مفردات ، على الرغم أن الإعجاز يقع بالجمل المؤلفات . فكان هذا خارجا مخرج العجب العجيب ^(٢) .

وبنى المؤلف كتابه على مقدمة وثلاثة أركان ، ينقسم كل واحد منها إلى بايين ، ثم خاتمة .

أما المقدمة التى لم يضع لها عنوانا فقد تحدث فيها عن الإعجاز ، وظروف تأليفه كتابه ، وخطته فيه .

(١) الجامع ١٥/١ . ابن كثير ٣٦/١ . النيسابورى ١٢١/١ . الآلوسى ٥٧/١٦ .

(٢) الخواطر ٧٣ - ٧٤ .

وخصص الركن الأول لتعريف الفواتح وحصر أقسامها ، والركن الثاني لكشف أسرارها وخصائصها ، وجعل الباب الأول فى كل منهما لما سماه الفواتح المعجمة ، وعنى بها الحروف المفردة ، والباب الثانى لما سماه الفواتح المعربة ، أى ما سمّيته الفواتح اللفظية . وخصص الباب الأول من الركن الثالث للاستدلال على دلالة الفواتح على الصانع والمصنوعات ، والباب الثانى لاستنباط المعجزات .

وحصر الفواتح المعربة (اللفظية) فى خمس وثمانين فاتحة ، قسمها إلى خمسة أقسام ، كما فعل مع الحروف ، هى مايلى :

- ١ - المفتاح بالخبر .
- ٢ - المفتاح بالاستخبار .
- ٣ - المفتاح بالقسم .
- ٤ - المفتاح بالأمر .
- ٥ - المفتاح بالشرط .

ثم تناول كل واحد منها بالدراسة كما يلى ^(١) :

(١) المفتاح بالخبر ^(٢)

خمسون سورة . وجعل الزركشى وزرور المفتاح بالجمل الخبرية ٢٣ سورة ^(٣) .

وهى على ضربين :

الضرب الأول المؤتلف العدد : وهو ما وقعت أقسامه كلها متساوية فى عدد السور التى تنتمى إليها ، فكلها خماسية السور .
الضرب الثانى المختلف العدد ، فمنه الخماسى والسداسى والسباعى ، ولا شئ فوق ذلك .

(١) الخواطر ٧٧ - ٧٨ .

(٢) الخواطر ٧٧ - ٧٨ . الزركشى ١٧٩/١ . زرور ١٣٩ .

(٣) البرهان ١٧٩/١ . القرآن ١٣٩ .

الضرب الأول المؤلف : وينقسم إلى أربعة أقسام :

١ - ما افتتح بالتحميد : يشمل خمس سور هي الفاتحة ، الأنعام ، الكهف ، سبأ ، فاطر ^(١) .

٢ - ما افتتح بالتسبيح ، خمس سور هي [الإسراء] ، الحديد ، الحشر ، الصف ، التغابن ^(٢) .

وجمع الزركشى وزرور بين التحميد والتسبيح تحت عنوان الشاء على الله . وذكر أنه قسمان :

إثبات لصفات المدح نحو (الحمد لله) في خمس سور ^(٣) ، و(تبارك) في سورتين ^(٤) .

وتنزيه عن صفات النقص نحو ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى ﴾ [سورة الإسراء : ١] . وحصر الشاء في أربع عشرة سورة ، نصفها لثبوت صفات الكمال ، ونصفها لسلب النقائص ^(٥) .

وعقب الزركشى على هذا قائلا : وهو سر عظيم من أسرار الألوهية ^(٦) . وجمع دروزة بين الشاء والحمد والتسبيح ، وحصرها في تسع سور هي : الفاتحة ، الأعلى ، الملك ، فاطر ، سبأ ، الفرقان ، الكهف ، الإسراء ، الأنعام ^(٧) .

(١) الخواطر ٧٨ .

(٢) الخواطر ٧٨ .

(٣) البرهان ١٦٤/١ . القرآن ١٣٨ . وهي الفاتحة ، الأنعام ، الكهف ، سبأ ، فاطر .

(٤) وهما الفرقان والملك .

(٥) وسور التنزيه هي الإسراء ، الأعلى ، الحديد ، الحشر ، الصف ، الجمعة ، التغابن .

(٦) البرهان ١٦٥/١ .

(٧) القرآن ٣٥٠ .

٣ - ما افتتح بنداء الأمة : خمس سور ، وهى : النساء ، المائدة ، الحج ، الحجرات ، الممتحنة ^(١) .

٤ - ما افتتح بنداء الرسول : خمس سور وهى : الأحزاب ، الطلاق ، التحريم ، المزمل ، المدثر ^(٢) .

وجمع الزركشى وزرور نوعى النداء معا ^(٣) ودروزة بين النداء والأمر تحت اسم خطاب النبى ، ووضع فيه ٩ سور ، هى : الناس ، الفلق ، الإخلاص ، الكافرون ، الكوثر ، العلق ، المدثر ، المزمل ، الجن ^(٤) .
الضرب الثانى المختلف : ثلاثون سورة وقسمها إلى :

١ - ماضٍ باسم ، وهو قسمان :

أ - ضِدْر باسم مجرد : وهى ١٤ ^(٥) سورة ، هى : التوبة ، النور ، الزمر ، محمد ، الفتح ، الرحمن ، سبحان (الإسراء) ، الحاقة ، نوح ، المطففون ، القدر ، القارعة ، الهمزة ، الكوثر .

ب - ضِدْر باسم مجرور : سورة واحدة ، هى قریش .

٢ - ما صدر بفعل ، وينقسم إلى :

أ - فعل ماضٍ ، وهو صنفان :

- مُعلم ، وهو سورتان : المؤمنون ، المجادلة

- مُغْفَل ، وهو عشر سور ، هى : النحل ، الإسراء ، الأنبياء ،

الفرقان ، القمر ، الملك ، المعارج ، عبس ، التكاثر ، المسد .

ب - فعل مضارع ، وهو صنفان :

- موجب : وهو سورة واحدة ، هى الأنفال .

- منفى ، ثلاث سور ، هى : القيامة ، البلد ، البينة ^(٦) .

(١) الخواطر ٧٨ .

(٢) الخواطر ٧٨ .

(٣) البرهان ٧٨/١ . القرآن ١٣٨ .

(٤) القرآن ٣٥٠ .

(٦) الخواطر ٧٨ - ٧٩ .

(٥) فى الأصل ١٣ .

(٣) المفتاح بالاستخبار^(١)

وهو على ضربين :

- ١ - ماصدر بحرف الاستفهام : خمس سور ، هي : الإنسان ، الغاشية ، الشرح ، الفيل ، الماعون .
 - ٢ - ماصدر بجازّ ومجرور : سورة واحدة ، هي النبأ .
- وسماه الزركشى ودروزة وزرور المفتاح بالاستفهام . وانفرد زرور بجعلها تسع سور هي : الماعون ، الفيل ، الشرح ، القارعة ، الغاشية ، النبأ ، الإنسان ، المعارج ، الحاقة^(٢) .

(٤) المفتاح بالقسم^(٣)

- اتفق ابن أبي الإصبع والزركشى وزرور على أنها ١٥ سورة ، ذكرها الزركشى وهي : الصافات ، الذاريات ، الطور ، النجم ، المرسلات ، النازعات ، البروج ، الطارق ، الفجر ، الشمس ، الليل ، الضحى ، التين ، العاديات ، العصر . وجعلها دروزة ١٧ سورة بزيادة القيامة والبلد : المبدوءتين ب (لا أقسم)^(٤) .
- وقسم ابن أبي الإصبع المفرد بالتقسيم هذه السور إلى :
- ١ - المقسم فيه بالملائكة ، سورة واحدة . هي الصافات .
 - ٢ - المقسم فيه بالأفلاك ، سورتان هما : البروج والطارق .
 - ٣ - المقسم فيه بلوازم الأفلاك ، ست سور هي : النجم ، الفجر ، الشمس ، الليل ، الضحى ، العصر .
 - ٤ - المقسم فيه بالعناصر ، وهو قسمان :
- أ - بالهواء ، سورتان ، هما المرسلات والذاريات .

(١) الخواطر ٧٩ . الزركشى ١/ ١٨٠ . دروزة ٣٥٠ . زرور ١٣٩ .

(٢) القرآن ٣٥٠ .

(٣) ابن أبي الإصبع ٨٠ - ٨٢ . الزركشى ١/ ١٧٩ . دروزة ٣٥٠ . زرور ١٣٩ .

(٤) القرآن ٣٥٠ .

ب - بالتربة ، سورة واحدة ، هي الطور .

والحكمة فى ذكر هذين العنصرين أن جميع المولدات من العناصر لاتخرج عن لطيف وكثيف ، فكثافة الكثيف من التراب ، ولطافة اللطيف من الهواء .
فلأجل ذلك كان ذكرهما دون غيرهما مما تقتضيه البلاغة . يضاف إلى ذلك أن طبيعتهما تمثل طبيعة الحياة والموت ، اللذين لايعرى الموجود عن أحدهما .

٥ - المقسم فيه بالمولدات ، وهو ثلاثة أضرب :

أ - الجمادات ، سورة واحدة ، هي الطور .

ب - النبات ، سورة واحدة ، هي التين .

ج - الحيوان ، وهو صنفان .

- الحيوان الناطق ، سورة واحدة ، هي النازعات .

- الحيوان البهيم ، سورة واحدة ، هي العاديات .

(٥) المفتاح بالشرط ^(١)

سبع سور ، جعلها ابن أبى الإصبع على ضربين :

١ - ولى شرطه اسم ، ثلاث سور هي : التكوير ، الانفطار ، الانشقاق .

٢ - ولى شرطه فعل ، أربع سور هي : الواقعة ، المنافقون ، الزلزلة ، النصر .

وسمى دروزة هذا النوع مايتدىء بحرف (إذا) التنبيهى أوالتنكيرى ،

وجعله ٥ سور فقط ، ياهمال المنافقون والنصر .

(٦) المفتاح بالأمر ^(٢)

جعلها الزركشى وزرور ست سور ، ذكرها أولهما وهى : الجن ، العلق ،

الكافرون ، الإخلاص ، المعوذتان . وجعلها ابن أبى الإصبع سبع سور ، فزاد عليها

الأعلى ، وقسمها قسمين :

(١) الخواطر ٨٢ . الزركشى ١٨٠/١ . دروزة ٣٥١ . زرور ١٣٩ .

(٢) ابن أبى الإصبع ٨٢ . الزركشى ١٨٠/١ . زرور ١٣٩ .

- ١ - قسم مشتق من القول : خمس سور .
 ٢ - قسم مشتق من غير القول ، سورتان : سورة مشتقة من التسبيح ،
 هي الأعلى ؛ وسورة مشتقة من القراءة هي العلق .

(٧) المفتاح بالدعاء^(١)

وهي ثلاث سور : المطففون ، الهمة ، المسد . وجمع دروزة بين الدعاء
 والإنذار ، وجعل سورهما أربعاً ، هي المسد ، الهمة ، التكاثر ، المطففون .

(٨) المفتاح بالتعليل^(٢)

سورة واحدة هي قریش .
 وهنا ختم الزركشى الفصل . وصرح بأن الذى جمعه هو أبو شامة عبد
 الرحمن بن إسماعيل المقدسى ، الذى سجل الملاحظ الآتية على ماعمل :
 - ما ذكرناه فى قسم الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر .
 - وكذا الثناء على الله كله خبر إلا ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ فإنه يدخل
 أيضًا فى قسم الأمر ، و﴿ سُبْحَنَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ يحتمل الأمر والخبر .
 ونظم ذلك فى بيتين قال فيهما :

أثنى على نفسه سبحانه بشبو
 ت المدح والسلب لما استفتح السورا
 والأمر شرط النداء بالتعليل والقسم الـ
 لدعا حروف التهجى استفهم الخبرا^(٣)

(١) الزركشى ١٨٠/١ . دروزة ٣٥٠ . زررور ١٣٩ .

(٢) الزركشى ١٨٠/١ . زررور ١٣٩ .

(٣) البرهان ١٨٠/١ - ١٨١ .

الفصل الثاني

بلاغة وإعجاز دلالة أنصاف الأجناس

مهد الباقلاني لإعلان إعجاز القرآن بإبانة أن اللغة العربية مؤهلة لأن يوجد فيها كتاب معجز من الجانب البياني . فذكر أن الله اختارها ، وجعلها حلبة لنظم القرآن ، وعلق بها الإعجاز ، الذي صار دلالة في النبوة ، لأنها أشد اللغات تمكّنا وأشرفها تصرفا ، وأعدلها .

• واستدل على ذلك بأن أكثرها موضوع بالحروف المعتدلة ، لأن العرب أهملوا الألفاظ المستكرهة في نظمها ، وأسقطوها من كلامهم ، وجعلوا عامة لسانهم على الأغدل . ولذلك صار أكثر كلامهم من الثلاثي - لأنهم بدءوا بحرف ، وسكتوا على آخر ، وجعلوا حرفا وُصلة بين الحرفين ، ليتم الابتداء والانتهاء على ذلك - والثنائي أقل ، وكذلك الرباعي والخماسي أقل . ولو كان كله ثنائيا لتكررت الحروف . ولو كان رباعيا أو خماسيا لكثرت الكلمات .

وكذلك بنى أمر الحروف التي ابتدء بها السور على هذا . فأكثر هذه السور التي ابتدئت بذكر الحروف ذكر فيها ثلاثة أحرف . وما هو أربعة أحرف سورتان ، وما ابتدء بخمسة أحرف سورتان ^(١) .

وجعل الباقلاني الوجه الثالث من وجوه إعجاز القرآن أنه بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يُعَلَم عجز الخلق عنه . ومن أجل إثبات ذلك نسق حديثه في عشر معاني ، كان التاسع منها إتيان القرآن بأنصاف أجناس الحروف التي تحتوى عليها اللغة العربية قبل أن يفتن إليها العلماء بزمان طويل ،

كما ذكرنا سابقا مما يوجب إثبات الحكمة في ذكر هذه الحروف على حد يتعلق به الإعجاز من أحد الوجوه ^(١) .

* * *

(١) إعجاز ٣٥ ، ٤٤ .

دلالة نطق الأمي بأسماء الحروف

لم يكتف الزمخشري بإثبات إعجاز القرآن اعتمادا على تحديه باستعمال الحروف العربية للإتيان بمثيل للقرآن ، وسلك طريقا آخر اعتمد فيه على طريقة إتيان القرآن بهذه الحروف . قال : النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الأقدام : الأميون منهم وأهل الكتاب ، بخلاف النطق بأسماء الحروف ، فإنه كان مختصا بمن خُطَّ وقرأ ، وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم . وكان مستغريا مستبعدا من الأمي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة ، كما قال - عز وجل = ﴿ وَمَا كُنْتَ تَسْمَعُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ بِيَمِينِكَ إِذًا لِأَرْتَابَ الْمُبِطِّلُونَ ﴾ (١) .

فكان حكم النطق بذلك - مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيئا من أهله - حكم الأفاضل المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدِينها في شيء من الإحاطة بها ، في أن ذلك حاصل له من جهة الوحي ، وشاهد بصحة نبوته ، وبمنزلة أن يتكلم بالبطانة من غير أن يسمعا من أحد » (٢) .

وقد أوضح الرازي قول الزمخشري في عبارة موجزة ، فقال : إن التكلم بهذه الحروف - وإن كان معتادا لكل أحد - إلا أن كونها مسماة بهذه الأسماء لا يعرفه إلا من اشتغل بالتعلم والاستفادة . فلما أخبر الرسول عنها من غير سبق تعلم واستفادة ، كان ذلك إخبارا عن الغيب . فلهذا السبب قدم الله ذكرها ليكون أول ما يسمع من هذه السورة معجزة دالة على صدقه (٣) .

وعبر د. غلاب عن هذا الرأي تعبيرا أدبيا فقال : جاءت كذلك ليكون مطلع مايتلى عليهم مستقلا بضرب من الغرابة أنموذجا لما في الباقي من فنون الإعجاز .

(١) سورة العنكبوت ٤٨ . وانظر الزركشي ١٧٦/١ .

(٢) الكشف ٩٩/١ ، ١٠٠ .

(٣) مفاتيح ٧/٢ .

فإن النطق بأنفس الحروف في تضاعيف الكلام - وإن كان على طرف الثمام يتناوله الخواص والعوام - لكن التلفظ بأسمائها إنما يتأتى عن درس وخط . وأما من لم يحم حول ذلك فأعز من يبيض الأنوق ، وأبعد من مناط العيوق ، ولاسيما إذا كان على نمط عجيب ، وأسلوب غريب ، منبىء عن سر سرى ، مبنى على نهج عبقرى ، بحيث يحار فيه أرباب العقول ، ويعجز عن إدراكه ألباب الفحول^(١) .

* * *

التوازن الحرفي

عرّف مصطفى الدباغ ماسماه « التوازن الحرفي » بأن المقصود به هو ذلك الإعجاز القرآني الذي يبدو في مجال حروف القرآن ، من حيث عددها وتكراراتها وترابطها مع غيرها ^(١) .

وذكر أن الأولين تنبهوا لها وكتبوا عن بعض جوانبها ، وأن محمد حقي بن على النازلي الصوفي عقد بابا لأقوال الأئمة والمشايخ في خواص الآيات الخمس التي تحتوى كل منها على عشر قافات .

ولعلنا لا نتجاوز الحق عند مانفهم من كتاب النازلي أن أبا العباس أحمد بن على البوني المتصوف أول من فطن إلى هذا الإحصاء ونبه عليه ^(٢) .

وذكر مصطفى الدباغ أن فكرة الرقم (١٩) - وهو عدد حروف البسملة - ودلالته الخاصة التي جعلت منه ميزانا لسائر حروف القرآن ، وميزانا للنظام الإحصائي العددي فيه ، كان أول من أشار إليها وفصل القول فيها د. محمد رشاد خليفة ، الذي أفاد من الدراسات الحديثة واستخدام الحاسب الالكتروني (الكمبيوتر) .

فقد كشف عن ترابط كامل بين البسملة وهذه الحروف فمثلا الحرف (ق) وُجد في سورتي ﴿قَٓ﴾ والشورى . وعدد القافات في سورة ﴿قَٓ﴾ ٥٧ أى ٣ × ١٩ . وكذلك عددها في سورة الشورى ، مع أن سورة الشورى أطول من سورة ﴿قَٓ﴾ بمرتين ونصف . فهناك إذن سورتان يتكرر الحرف ق في كل منهما ٥٦ مرة . وأضاف الله في بدايتهما هذا الحرف ليتم العدد ٥٧ . فلو جمعنا القافات في السورتين كان الناتج ١١٤ وهو يساوى عدد سور القرآن . والسؤال الآن : من الذي يمكن أن تتوفر لديه القدرة على معرفة توزيع الحروف الأبجدية

(١) وجوه ٥٥ .

(٢) خزينة ٧٣ .

فى القرآن ؟ ثم معرفة أن هناك سورتن فقط تحتوىان على هذا العدد المساوى لعدد سور القرآن ؟ من الذى يمكنه ذلك حتى قبل اكتمال نزول القرآن ؟ هو الله - تعالى - ولا شىء غير هذا .

ولزيادة الإيضاح ذكر أن قوم لوط مذكورون فى القرآن ١٢ مرة . وفى كل مرة يسمون قوم لوط ، ماعدا سورة ﴿ ق ﴾ إذ يسمون فيها : إخوان لوط . ولو استخدمت كلمة « قوم » لازدادت القافات إلى ٥٨ - وهذا العدد ليس من مكررات الرقم ١٩ - ولاختل النظام . كما أنه لو حدث - خلال ١٤٠٠ سنة الماضية - أى تحوير أو تحريف بكلمة تحوى هذا الحرف فى السورتين ، لاختل النظام واختفت هذه الظواهر الإعجازية .

واستمر فدرس تكرر حرفى التون والصاد ، بل الفواتح المكونة من أكثر من حرف واحد ، فوصل إلى أن الحروف - عندما نجمعها ليس فقط فى السورة نفسها بل فى السور المختلفة التى يوجد فيها الحرف نفسه - نجد مجموع هذه الحروف من مضاعفات الرقم ١٩ .

وأجمل ماوصل إليه فى الجداول والنتائج الآتية :

جدول رقم (١)

الفواتح	عدد السور	مجموع حروفها	مضاعفات ال ١٩
ن	١	١٣٣	١٩×٧
ق	٢	١١٤	١٩×٦
ص	٣	١٥٢	١٩×٨
يس	١	٢٨٥	١٩×١٥
طه	١	٣٤٢	١٩×١٨
طس	٦	٤٩٤	١٩×٢٦
طسم	٦	١٤٤٤	١٩×٧٦
حم	٧	٢١٦٦	١٩×١١٤
عسق	١	٢٠٩	١٩×١١
حم عسق	١	٥٧٠	١٩×٣٠
الم	٨	٢٦٦٧٦	١٩×١٤٠٤
الر	٥	٩٧٠٩	$١٩ \times ٥١١ + \text{الرعد}$
المص	١	٥٣٥٨	١٩×٢٨٢
المر	١	١٥٠١	١٩×٧٩
كهيعص	١	٧٩٨	١٩×٤٢
المجموع		٤٩٩٥١	١٩×٢٦٢٩

جدول رقم (٢)

الحروف	عددها	مضاعفات ال ١٩
أ	١٧٤٩٩	١٩×٩٢١
ل	١١٧٨٠	١٩×٦٢٠
م	٨٦٨٣	١٩×٤٥٧
ر	١٢٣٥	١٩×٦٥
ص	١٥٢	١٩×٨
ح	٣٠٤	١٩×١٦
ق	١١٤	١٩×٦
ن	١٣٣	١٩×٧
ط + س	٤٩٤	١٩×٢٦
ط + هـ	٥٨٩	١٩×٣١
ي + س	٩٦٩	١٩×٥١ <small>حرف مكسر</small>
ع + س + ق	٧٢٢	١٩×٣٨
ح + م	٨٩٨٧	١٩×٤٧٣
أ + ل + م	٣٧٩٦٢	١٩×١٩٩٨
أ + ل + ر	٣٠٥١٤	١٩×١٦٠٦
ط + س + م	٩١٧٧	١٩×٤٨٣
أ + ل + م + ر	٣٩١٩٧	١٩×٢٠٦٣
أ + ل + م + ص	٣٨١١٤	١٩×٢٠٠٦

ملاحظة : فى جدول ١ عدد السور هو عدد السور التى افشحت بالحرف المذكور فى الخانة الأولى . وأما (عددها) فى جدول ٢ هو مجموع هذه الحروف فى السور التى افشحت بها .

من ناحية أخرى ، وفى مجال التوازن الحرفى نفسه ، سنجد أن أعلى المتوسطات والمعدلات للحرف ق موجودة فى سورة ق . وقد تفوقت هذه السورة حسابيًا على المصحف كله فى هذا الحرف من حيث عدده البالغ بها ٥٧ . وبالمثل سورة الشورى . سورة الرعد تبدأ بالحروف أ ل م ر . وتتوارد هذه الحروف فى داخل السورة بمجاميع على هذا النحو :

أ ترد ٦٢٥ مرة

ل ترد ٤٧٩ مرة

م ترد ٢٦٠ مرة

ر ترد ١٣٧ مرة

فى ترتيب تنازلى كما نرى وكما كتبت الحروف فى أول السور أ ل م ر وإن معدلات توارد هذه الحروف فى المصحف هى أقل منها فى سورة الرعد . فهذه السورة تفوقت حسابيًا فى عدد توارد هذه الحروف على جميع المصحف .

والأمر نفسه نجده فى البقرة ٤٥٩٢ مرة ، ل ٣٢٠٤ مرة ، م ٢١٩٥ مرة وبالترتيب التنازلى نفسه ، ولهذه الحروف الثلاثة تفوق حسابى على باقى الحروف فى داخل السورة نفسها .

وكذلك نجد فى سورة آل عمران أ وردت ٢٥٧٨ مرة ، ل ١٨٨٥ مرة ، م ١٢٥١ مرة . وبالترتيب التنازلى وهى تتوارد فى السورة بمعدلات أعلى من باقى الحروف .

والأمر نفسه فى سورة العنكبوت حيث أ ترد ٧٨٤ مرة ، ل ٥٥٤ مرة ثم م ٣٤٤ مرة . وبالترتيب التنازلى وهى تتوارد فى السورة بمعدلات أعلى من باقى الحروف .

كذلك الأمر فى سورة الروم حيث أ ٤٥٧ مرة ، ل ٣٩٦ مرة ، م ٣١٨ مرة
وبترتيب تنازلى ، وتتوارد بالسورة بمعدلات أعلى من باقى الحروف .

وفى جميع السور التى ابتدأت بالحروف أ ل م نجد أن السور المكية تتفوق
حسابيا فى معدلاتها من هذه الحروف على باقى السور المكية ، والمدنية تتفوق
حسابيا فى معدلاتها من هذه الحروف على باقى السور المدنية .

وبالمثل فى أ ل م ص سورة الأعراف ، فمعدلات هذه الحروف هى أعلى
ما تكون فى سورة الأعراف وأنها تتفوق حسابيا على كل السور المكية فى
المصحف . وكذلك فى سورة طه الحرف ط والحرف ه ، وفى سورة مريم نجد
أن الحرفين ط ، ه ترتفع معدلاتهما على جميع السور المكية .

والأمر نفسه ينطبق على حم فى جميع السور التى افتتحت به حيث معدلات
توارد الحرف ح والحرف م تتفوق على جميع السور المكية فى القرآن الكريم ^(١) .

وبالمثل فالسورتان اللتان افتتحتا بحرف ص وهما سورة ص والأعراف أ ل م
ص وهما متتابعتان نزولاً فى الوحي ، إذا ضمتا معاً تفوقتا حسابيا فى هذه الحروف
على باقى سور القرآن الكريم .

وكذلك السور التى افتتحت بالحروف أ ل ر وهى إبراهيم ويونس وهود
ويوسف والحجر ، وأربع منها جاءت متتابعة فى تواريخ الوحي ، فإنها إذا ضمت
لبعضها فإنها ذات أعلى معدلات فى نسبة تواردها أ ل ر على جميع السور
المكية فى القرآن الكريم .

أما فى سورة يس فإننا نلاحظ الدلالة الإحصائية نفسها ولكن معكوسة حيث
ترتيب الحروف جاء بعكس الترتيب الأبجدي فنجد أن توارده الحرف ي و س فى
السورة هو أقل من توارده فى جميع المصحف مكيا ومدنيا !!

(١) مصطفى محمود . حوار مع صديقي الملحد . دار المتوسط بيروت ص ١٠٦ -

وترتيب السور التي جاءت بها أ ل م كافتاحيات لها هي :

البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة ، ونجد أن تكرارات أ ل م في البقرة أعلى منها في آل عمران ، وهي في آل عمران أعلى منها في العنكبوت ، وفي العنكبوت أعلى منها في سورة الروم ، وبالترتيب التنازلي نفسه بالنسبة للسور كما كان بالنسبة للحروف ^(١) .

إن التوازن الحرفي هو أحد وجوه الإعجاز العددي أو الإحصائي للقرآن الكريم . وهذا الوجه لاشك سوف نظل في حيرة ودهشة بل في انبهار أمام عظمة هذا البناء الفذ الذي هو في منتهى الإحكام والتناسك والتوازن جاءنا على يدي رجل أُمي - ﷺ - وعلى مدى ٢٣ عامًا . وصدق الله عز وجل :

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَا خَشْيَةً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾

[٢١ - الحشر]

﴿ كَتَبْنَا أَحْكَامَ آيَاتِنَا ثُمَّ فَضَّلْنَا .. ﴾ [١ - هود]

مناسبة فاتحة السورة لختام التي قبلها

كان الأخفش أول من فطن - من مصادري - إلى العلاقة بين فاتحة السورة وختام السورة التي قبلها . قال أبو حيان عن سورة قريش : ومناسبتها لما قبلها ظاهرة ، ولا سيما إن جعلت اللام متعلقة بنفس (فجعلهم) وهو قول الأخفش ، أو بإضمار فعلنا ذلك لإيلاف قريش ، وهو مروى عن الأخفش ^(١) .

وعنى الرازى بالكشف عن الروابط بين السور المتعاقبة . قال مثلاً فى أول تفسيره لسورة العنكبوت : المسألة الأولى فى تعلق أول هذه السورة بما قبلها . وفيه وجوه :

الأول : لما قال الله - تعالى - قبل هذه السورة ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ وكان المراد منه أن يرده إلى مكة ظاهراً ، غالباً على الكفار ، ظافراً طالباً للثأر ، وكان فيه احتمال مشاق القتال ، صعب على البعض ذلك ، فقال الله : ﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْآيَاتُ أَنْ يَقُولُوا ءَمِنَّا ﴾ ولا يؤمروا بالجهاد .

الوجه الثانى هو أنه - تعالى - لما قال فى أواخر السورة المتقدمة : ﴿ وادع إلى ربك ﴾ وكان فى الدعاء إليه الطعان والحراب والضراب ، لأن النبى - عليه السلام - وأصحابه كانوا مأمورين بالجهاد ، إن لم يؤمن الكفار بمجرد الدعاء . فشق على البعض ذلك ، فقال : ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا ﴾ .

الوجه الثالث : هو أنه - تعالى - لما قال فى آخر السورة المتقدمة : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ذكر بعده ما ييطل قول المنكرين للحشر فقال : ﴿ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ يعنى ليس كل شىء هالكا من غير رجوع بل كل هالك وله رجوع إلى الله ^(٢) .

(١) أبو حيان ٥١٣/٨ . الزركشى ٣٨/١ ، ١٨٦ . الإنفاق ١٢٨/٢ . العمرى ١٢٢ .

(٢) مفاتيح ٢٥/٢٥ . عبد الحميد ١٦٣ - ١٦٤ .

واتفق معهم الكواشي الذي قال : لما ختم سورة النساء أمرا بالتوحيد والعدل بين العباد ، أكد ذلك بقوله في أول سورة المائدة : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (١) .

وعلل تاج الدين السبكي تقديم سورة الإسراء على الكهف بأن التسبيح - حيث جاء - مقدم على التحميد نحو ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ (٢) ﴿ فَسُبْحَنَ اَللّٰهُ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ ﴾ (٣) .

وعد الزركشى المناسبة بين فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها من أسرار القرآن . وجعل من لطائف سورة الكوثر - أنها كالمقابلة لسورة الماعون التي قبلها ، لأن السابقة وصف الله فيها المنافق بأمر أربعة : البخل ، وترك الصلاة ، والرياء فيها ، ومنع الزكاة . فذكر هنا :

في مقابلة البخل : ﴿ إِنَّا ءَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴾ أى الكثير .
وفى مقابلة ترك الصلاة : ﴿ فَضَلْ ﴾ أى دُم عليها .
وفى مقابلة الرياء : ﴿ لِرَبِّكَ ﴾ أى لرضاه لا للناس .
وفى مقابلة منع الماعون : ﴿ وَانْحَرْ ﴾ وأراد به التصدق بلحم الأضاحي (٤) .

وروى السيوطى أن هناك من قال : إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته فى غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى ، كافتتاح سورة الأنعام بالحمد ، فإنه مناسب ختام المائدة من فصل القضاء كما قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥) .

(١) الزركشى ١٨٦/١ ، الإنقان ١٢٨/٢ . العمري ١٢٢ .

(٢) سورة الحجر ٩٨ . النصر ٣ . وانظر طه ١٣٠ . الفرقان ٥٨ . غافر ٥٥ . ق ٣٩ . الطور ٤٨

(٣) معترك ٨٢/١ . الاتقان ١٣١/٢ . وانظر سورتي الروم ١٧ ، ١٨ ، والصفات ١٨٠ ،

١٨٢ .

(٤) الإنقان ١٨٢/٢ . زرزور ٣٩ ، ١٨٦ .

(٥) الإنقان ١٢٨/٢ . العمري ١٢٠ - ١٢٢ .

وروى أن بعضهم رأى أن لترتيب السور فى المصحف الأسباب الآتية :

أحدها : بحسب الحروف كما فى الحواميم .

الثانى : موافقة أول السورة لآخر ما قبلها كآخر الحمد [الفاتحة] فى المعنى وأول البقرة .

الثالث : التوازن فى اللفظ كآخر تَبَّت [المسد] وأول الإخلاص .

الرابع : مشابهة جملة السورة لجملة السورة الأخرى كالضحى وألم نشرح^(١) .

* * *

مناسبة فاتحة السورة لمضمونها

رأينا الطبرى أول من فطن إلى أن القرآن راعى أمورا معينة فى مستهل السور . فذكر أن الله جعل مفاتها حمد نفسه مثل ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الفاتحة : ٢] و ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [سورة الأنعام : ١] . وتعظيمها وإجلالها بالتسبيح كما قال : ﴿ سُبْحَنَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ [سورة الإسراء : ١] ، وتعظيمها وتنزيهاها ومدحها أحيانا بالعلم ، وأحيانا بالعدل ، وأحيانا بالإحسان ، وما أشبه ذلك ^(١) .

وذكر على بن إبراهيم الحوفى أن الفاتحة افتتحت بقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فوصف بأنه مالك جميع المخلوقين ، وفى الأنعام والكهف وسبأ وفاطر لم يوصف بذلك ، بل بفرد من أفراد صفاته ، وهو خلق السموات والأرض والظلمات والنور فى الأنعام ، وإنزال الكتاب فى الكهف ، ومالك مافى السموات ومافى الأرض فى سبأ ، وخلقهما فى فاطر ؛ لأن الفاتحة أم القرآن ومطلعه ، فناسب الإتيان فيها بأبلغ الصفات وأعمها وأشملها ^(٢) .

وعلى الزملى كانى بدء سورتي الإسراء والكهف ، قال : سورة الإسراء لما اشتملت على الإسراء الذى كذب المشركون به النبى - وتكذيبه تكذيب لله - أتى بـ (سبحان) لتنزيه الله عما نُسب إليه ولنبية من الكذب .

وسورة الكهف لما أنزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف ، وتأخر الوحي ، نزلت مبيئة أن الله لم يقطع نعمته عن نبيه ولا عن المؤمنين ، بل أتم عليهم النعمة بإنزال الكتاب ، فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة ^(٣) . وضرب العلوى أمثلة للافتتاحات التى وصفها بالروعة من القرآن وغير القرآن . نكتفى منها بقوله : ومن هذا قوله - تعالى - فى افتتاح سورة النساء ﴿ يَأْتِيهَا

(١) جامع ٧١/١ . ابن كثير ٣٦/١ .

(٢) معترك ٨٢/١ - ٨٣ . الإتيقان ١٣١/٢ .

(٣) معترك ٨٢/١ . الإتيقان ١٣١/٢ . العمرى ١٢٢ .

النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴿١﴾ لأنه لما كان غرضه بيان الأحكام المشروعة في حقهن من الطلاق والميراث وغير ذلك من الأحكام ، صدر السورة بما يكون فيه دلالة وتنبيه على ذلك .

وخالف ما ذكره في صدر سورة الحج لما ذكره في سورة النساء ، حيث قال : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ لأنه لما كان غرضه ذكر البعث ، والاحتجاج عليه ، والنعي على منكبيه ، صدره بما يلائمه ويناسبه من ذلك .

فافتتاح كل واحدة من السورتين مخالف للأخرى ، لكنه مناسب لما يريد ذكره من كل واحدة منهما من الأغراض والمقاصد التي ضمَّنها فيها ^(١) .

والتفت الآلوسى إلى الصلة بين فواتح السور المتوالية ، وإلى فاتحة السورة ومضمونها ، قال : عندى فيما نحن فيه لطائف ، وسبحان من لا تنهاى أسرار كلامه . فقد أشار بمفتتح الفاتحة حيث أتى واضحا إلى اسمه الظاهر ، وبمبدأ سورة البقرة إلى اسمه الباطن . فهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن . وأشار بتقديم الأول إلى أن الظاهر مقدم ، وبه عموم البعثة ، نحن نحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر . وأيضا فى الأول إشارة إلى مقام الجمع ، وفى الثانى رمز إلى الفرق بعد الجمع .

وأیضا افتتاح هذه السورة بالمبهم ثم تعقيبه بالواضح ، فيه أتم مناسبة لقصة البقرة التى سميت السورة بها : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَنفَسًا فَأَدْرَأَتْهُمُ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ ^(٢) .

وصرح د. عبد الله شحاتة بالمناسبة بين فاتحة كل سورة ومضمونها قائلا :

(١) الطراز ٢٦٩/٣ .

(٢) روح ١٠٣/١ .

فى كل سورة نجد روحا عامة تسيطر عليها ، وفكرة أساسية هى محور اهتمامها .
وقد تنوعت فواتح السور تبعا لتنوع موضوعها ^(١) .
وعقد عبد المنعم السيد حسن فصلا للمسبحات من السور ، عرّف فيه
التسبيح ، وصيغته ، وتحدث عن العلاقة بين فاتحة السورة ومضمونها ، وبين فاتحة
السورة وخاتمة السورة التى قبلها ^(٢) .

* * *

(١) علوم ٨٣ . ظاهرة ١١٦ .

(٢) ظاهرة ١٠٨ - ١٢٧ .

مناسبة فاتحة السورة لختمها

وفطن الكرمانى إلى المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها . قال فى سورة ص : بدأها بالذكر . وختمها به فى قوله : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ وفى سورة ن بدأها بقوله : ﴿ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ وختمها بقوله ﴿ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ ^(١)

ووافقه الزمخشري فقال : وقد جعل الله فاتحة سورة المؤمنون ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ وأورد فى خاتمتها ﴿ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة ^(٢) .

وسار على دربهما الرازى فقال عن سورة الحجرات : ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ إشارة إلى أنه لا يخفى عليه أسراركم . وأعمال قلوبكم الخفية . وقال ﴿ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ يبصر أعمال جوارحكم الظاهرة . وآخر السورة - مع التثامه بما قبله - فيه تقرير ما فى أول السورة ، وهو قوله : ﴿ لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُوا اللَّهَ ﴾ فإنه لا يخفى عليه سر ، فلا تتركوا خوفه فى السر ، ولا يخفى عليه علن ، فلا تأمنوه فى العلانية ^(٣) .

وعد الزركشى المناسبة بين فواتح السور وخواتمها من أسرار القرآن . وقال ذات مرة انظر إلى سورة القصص كيف بدئت بأمر موسى ونصرته وقوله : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ وخروجه من وطنه ، وختمت بأمر النبى - ﷺ - بأن لا يكون ظهيراً للكافرين ، وتسليته عن إخراجهم من مكة ، ووعده بالعودة إليها لقوله فى أول السورة : ﴿ إِنَّا رَاوَدُّوهُ ﴾ ^(٤) .

(١) الإتيان ١٢٨/٢ .

(٢) الكشف ٤٥/٣ . الزركشى ١٨٦/١ . الإتيان ١٢٨/٢ .

(٣) مفاتيح ١٤٤/٢٨ .

(٤) البرهان ١٨٥/١ . الإتيان ١٢٨/٢ .

واتسع السيوطى فى هذا السبيل ، فألف كتابا لطيفا سماه « مراصد المطالع فى تناسب المقاطع والمطالع » ^(١) .

ودأب سيد قطب على إبانة مايربط فاتحة كل سورة فسرهما بخاتمتها .

قال مثلا عن سورة البقرة : فى النهاية نرى ختام السورة ينعطف على افتتاحها ، فيبين طبيعة التصور الإيماني ، وإيمان الأمة المسلمة بالأنبياء كلهم . وبالكتب كلها ، وبالغيب وماوراءه ، مع السمع والطاعة : ﴿ ءَاَمَنَ الرَّسُولُ ... فَأَنصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ومن ثم يتناسق البدء والختام ، وتتجمع موضوعات السورة بين صفتين من صفات المؤمنين وخصائص الإيمان ^(٢) .

وكشف دروزة عن الروابط بين فواتح السور وخواتمها ، وماتضمنه من آيات متعاقبة . فقال : مثل (الصف) التى فيها استطراد إلى ذكر موسى وعيسى ومواقف أقوامهم معهم : مما يتناسب مع التنديد الذى بدأت به السورة . وقد ختمت بالدعوة إلى الجهاد ، وضرب المثل بانتصار الحواريين لعيسى ، مما يتناسب كذلك مع بداية السورة ^(٣) .

* * *

(١) الإتقان ١٢٨/٢ .

(٢) فى ظلال ٢٧٧، ٣٥ ، ٧٥٢ .

(٣) القرآن ٣٥٦ - ٣٥٧ .

جمال التعبير

قال ابن أبي الإصبع : ميل النفوس بالطبع إلى الموزون من الكلام وغيره أكثر من ميلها إلى غير الموزون . ومع هذا فإنك تجد الموزون الموصوف بجميع صفات الحسن ، المنفى عنه كل صفات القبح ، إذا قرُن بهذه الفواتح ، وما ثلث بينه وبينها ، وجدت النفوس الزكية ذوات الطباع السليمة إليها أميل إيثارا للفضيلة ، وترجيحا للمرتبة العلية النبيلة ، لأن هذه الفواتح فى باب البلاغة أعلى رتبة من كل ما يماثلها ، وأوزن خصاصة من كل كلام يوازنها ويعادلها . لأنك ترى الكلمة الواحدة قد أفادت معانى تضيق العبارة عن حصرها ، وتعا الألفاظ دون عدها . وتجد البيت العالى من الشعر النادر والمتخير من أشعار الشاعر الفاضل ، ساقطا فى معناه دون اللفظة الواحدة من هذه الألفاظ التى هى فواتح السور ، مقصرا عما جمعت من الحاصل الطائل ، والمعانى الجلائل ، فحينئذ يشهد أن هذا النمط لا يكون فى وسع البشر ، ولا يتأتى لمخلوق ، ولا يقدر عليه إلا القادر المطلق الذى عجزت قدرته القادرين ، ويتحقق أن عجز المتكلمين عن مماثلة كلامه كعجز أرباب الصناعات عن مماثلة مصنوعات^(١) .

وقال الزملكانى عن الحروف المقطعة : إذا نظرتها بيادى الرأى وجدتها مما يكاد يمتجه السمع ، ويقل به النفع ، مع أنها من الحسن ترفل فى أثواب الحبر ، ويقصر عنها دقيق النظر ، وذلك من وجوه ... ومن وقف على ذلك علم أن هذا القرآن ليس من كلام البشر ، وجزم بأنه كلام خالق القوى والقدر ... وكذلك لسائر الحروف الفواتح شأن ليس لغيرها . ووراء ذلك من الأسرار الإلهية مالا تستقل بفهمه البشرية^(٢) .

وصرح البيضاوى بأن القرآن راعى فى فواتحه ما يعجز عنه الأديب الأريب الفائق فى فنه^(٣) .

(٢) البرهان ٥٧ - ٦٠ .

(١) الخواطر ١١٧ - ١١٩ .

(٣) أنوار ١٢/١ .

وذهب يحيى بن حمزة العلوى إلى أن الوجه السديد من وجوه الإعجاز هو ماتضمنه القرآن من المزايا الظاهرة ، والبدائع الرائقة ، وفى الفواتح والمقاصد والخواتيم فى كل سورة ، وفى مبادئ الآيات وفواصلها ^(١) .

وذهب السيوطى إلى أن الوجه الخامس من وجوه إعجاز القرآن : افتتاح السور وخواتمها ^(٢) .

وذكر أن أهل البيان يعدون حسن الابتداء من البلاغة ، وأن جميع فواتح السور جاءت على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها ^(٣) .

وخص بالحديث نوعا من الابتداء الحسن سماه « براءة الاستهلال » ، وعرفه بأن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ، ويشير إلى ماسبق الكلام لأجله .

وجعل الفاتحة - التى هى مطلع القرآن - العَلَمَ الأسنى فى ذلك . وعلل ذلك بأنها - بسبب الافتتاح بها - نه فيها على جميع مقاصد القرآن . وهذا هو الغاية فى براءة الاستهلال ، مع ما شتملت عليه من الألفاظ الحسنة ، والمقاطع المستحسنة ، وأنواع البلاغة . وضرب مثالا آخر بسورة العلق ^(٤) .

وذكر د. زكى مبارك عددا من الصفات تفرد بها القرآن عن الآثار النثرية . فكان منها : الابتداء بهذه الحروف . وختم كلامه بأن هذا النمط من الابتداء لم نجده فى النصوص الأدبية الجاهلية ولا الإسلامية ^(٥) .

ووصف د. دراز القرآن بالجمع بين إقناع العقل وإمتاع العاطفة فكان مما قال فى صدد التدليل على ذلك : أولا تراه - فى معمعة براهينه وأحكامه - لا ينسى

(١) الطراز ٤٠٣/٣ - ٤٠٤ .

(٢) معترك ٧٤/١ . الصابونى ١٠١ . العمرى ١٠٤ . شرف الدين ٨٧ .

(٣) معترك ٧٤/١ - ٧٥ . الإتيقان ١٢٢/٢ . شرف الدين ٨٧ .

(٤) معترك ٧٥/١ . الإتيقان ١٢٢/٢ .

(٥) النشر ٤٧/١ . صبيح ١٥٢ .

حظ القلب ، من تشويق وترقيق ، وتحذير وتنفير ، وتهويل وتعجيب ، وتبكيث وتأنيب ؟

يث ذلك فى مطالع آياته ومقاطعها وتضاعيفها ﴿ نَفْسَعِرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ^(١) [سورة الزمر : ٢٣] .

وجعل هبة الدين الحسينى من أسرار إعجاز القرآن : اشتماله على الرموز فى فواتح السور ، ودهشة الفكر حولها وحول غيرها مما يبعثه على التساؤل ^(٢) .

ووصف محمد الزرفاف استخدام هذه الحروف بالبعد كل البعد عن أسلوب العرب ، لأنه أسلوب ابتكر فى القرآن ، لم يسبق إليه قط . وعدّه ضرباً مما امتاز به القرآن من أساليب غريبة ، لا يبعد أن نجعله من باب الإعجاز فيه ^(٣) .

وجعلها نعيم الحمصى من المميزات الواضحة الخاصة بأسلوب القرآن ^(٤) .

ووصف دروزة بعض السور بأنها ذات بدايات ممتازة ^(٥) ، أو ذات مطلع خاص فيه دلالة ماعلى شخصية السورة واستقلالها ^(٦) ، أو ذات طابع خاص بدءاً وخاتمة يدل على شخصيتها واستقلالها ^(٧) .

وأعلن د. عبد الله شحاتة : لا يبعد أن يكون الإعجاز فى هذه الأحرف هو اشتمالها على جميع الوجوه التى ذكرها العلماء فى معانيها ^(٨) .

وقال د. أحمد جمال العمرى : إن هذه الفواتح آية من آيات الله التى لا تنفد ،

(١) النبأ ١١٦ . الغزالي ١٥٢ . نصار ٢٢١ .

(٢) الغزالي ١٥٩ .

(٣) التعريف ١١٧ .

(٤) فكرة ٢٩ . فقيهى ١٨٦ .

(٥) القرآن ٣٥٠ - ٣٥١ ، ٣٥٤ .

(٦) القرآن ٣٥١ .

(٧) القرآن ٣٥١ .

(٨) علوم ٨٩ .

ودليل على عظمة القدرة الإلهية التي أودعها الحق كتابه العظيم . فظهرت فيه بوصفها آية جديدة من آيات الإعجاز القرآنى ^(١) .

وذهب د. نصر حامد إلى أن التأويلات المتعددة للحروف تؤكد - ولاشك - إحساس القدماء بأن « غموض » دلالة هذه الحروف يشكل جانبا من جوانب خصوصية النص . فهو غموض يؤكد « الاختلاف » بين القرآن وغيره من النصوص . من هنا تختلف الحروف المقطعة عن غيرها من ظواهر الغموض التي ناقشناها فى الفقرات السابقة [من المتشابه] ، من حيث إن هذه الأخيرة ظواهر غموض دلالية تبيينها وتكشف عنها أجزاء أخرى من النص ، وهى من ثم ظواهر غموض تبرز اختلاف النص داخليا . وهكذا يكون النص قد خالف بين ذاته وبين غيره من النصوص من جهة ، وخالف بين أجزائه من جهة أخرى . ولم تكن هذه المخالفة إلا آلية من آليات النص حقق بها تميزه ، وحقق بها من ثم قدرته على التفاعل مع الثقافة فى المكان والزمان ^(٢) .

وقد لقي القول بأن الحروف آية التحدى والإعجاز الرضا العام ، ويكاد يغطى على غيره من الأقوال .

* * *

(١) مباحث ١١٧ .

(٢) مفهوم ٢١٩ - ٢٢٠ .

ضمائم

وفيات العلماء

الآلوسی - شهاب الدین محمود بن عبد الله - ۱۲۱۷ - ۱۸۰۲/۱۲۷۰ - ۱۸۵۴ .
إبراهيم بن السري = الزجاج .

ابن أبزی الخزاعی = عبد الرحمن - تابعی . ويقال : له صحبة .

ابن أبي الإصبع ، عبد العظيم بن عبد الواحد العدواني ۵۹۵ - ۱۱۹۸/۶۵۴ - ۱۲۵۶ .

ابن أبي حاتم ، عبد الرحمن بن محمد - ۲۴۰ - ۸۵۴/۳۲۷ - ۹۳۸ .

ابن أبي الدنيا ، أبو بكر عبد الله بن محمد - ۲۰۸ - ۸۲۳/۲۸۱ - ۸۹۴ .

ابن الأثير ، ضياء الدين نصر الله بن محمد - ۵۵۸ - ۱۱۶۳/۶۳۷ - ۲۳۹ .

ابن الأثير ، مجد الدين المبارك بن محمد - ۵۴۴ - ۱۱۵۰/۶۰۶ - ۱۲۱۰ .

ابن إسحاق ، محمد - ۷۶۸/۱۵۱ .

ابن الأثير ، أبو بكر محمد بن القاسم - ۲۷۱ - ۸۸۴/۳۲۸ - ۹۴۰ .

ابن بركان ، عبد السلام بن عبد الرحمن - ۱۱۴۱/۵۳۶ .

ابن بريدة = عبد الله .

ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم - ۶۶۱ - ۱۲۶۳/۷۲۸ - ۱۳۲۸ .

ابن جبیر = سعيد .

ابن جريج ، عبد الملك بن عبد العزيز - ۸۰ - ۶۹۹/۱۵۰ - ۷۶۷ .

ابن جرير = الطبري .

ابن جزى ، محمد بن أحمد - ۶۹۳ - ۱۲۹۴/۷۴۱ - ۱۳۴۰ .

ابن جنى ، أبو الفتح عثمان - ۱۰۰۲/۳۹۲ .

ابن الجوزى ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على - ۵۰۸ - ۱۱۱۴/۵۹۷ - ۱۲۰۱ .

ابن حبان ، أبو حاتم محمد التميمي البستي - ۹۶۵/۳۵۴ .

ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن على - ۷۷۳ - ۳۷۲/۸۵۲ - ۱۴۴۹ .

ابن حجر الهيتمي ، أحمد بن محمد - ۹۰۹ - ۱۵۰۴/۹۷۴ - ۱۵۶۷ .

ابن الحنفية ، محمد بن على - ۲۱ - ۶۴۲/۸۱ - ۷۰۰ .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد - ۷۳۲ - ۱۳۳۲/۸۰۸ - ۱۴۰۶ .

ابن روق ، محمد بن الحسن الراسبي - ۷۸۴/۱۶۸ .

ابن عباس = عبد الله .

ابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبد الله - ۴۶۸ - ۱۰۷۶/۵۴۳ - ۱۱۴۸ .

ابن عربى ، محبى الدين محمد بن على الحاتمي - ۵۶۰ - ۱۱۶۵/۶۳۸ - ۱۲۴۰ .

ابن عساكر ، على بن الحسن - ۴۹۹ - ۱۱۰۵/۵۷۱ - ۱۱۷۶ .

ابن عطية ، عبد الحق بن غالب - ۴۸۱ - ۱۰۸۸/۵۴۲ - ۱۱۴۸ .

- ابن فارس = أحمد .
- ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم - ٢١٣ - ٨٢٨/٢٧٦ - ٨٨٩ .
- ابن القيم ، محمد بن أبي بكر - ٦٩١ - ١٢٩٢/٧٥١ - ١٣٥٠ .
- ابن كثير ، أبو الفدا إسماعيل بن عمر - ٧٠١ - ١٣٠٢/٧٧٤ - ١٣٧٣ .
- ابن كيسان ، محمد بن أحمد - ٩١٢/٢٩٩ .
- ابن مردويه الأصبهاني ، أحمد بن موسى - ٣٢٣ - ٩٣٥/٤١٠ - ١٠١٩ .
- ابن مسعود ، عبد الله - ٦٥٣/٣٢ .
- ابن المنذر النيسابوري ، محمد بن إبراهيم - ٢٤٢ - ٨٥٦/٣١٩ - ٩٣١ .
- ابن هشام المعافري ، عبد الملك - ٨٢٨/٢١٣ .
- أبو بكر = ابن الأنباري .
- أبو بكر = الباقلاني .
- أبو بكر = الصديق .
- أبو بكر = ابن العربي .
- أبو بكر = القفال .
- أبو بكر = الوراق
- أبو حاتم - ابن حبان
- أبو حاتم = السجستاني
- أبو حامد = الغزالي
- أبو الحكم = ابن بركان
- أبو حيان ، محمد بن يوسف الجياني - ٦٥٤ - ١٢٥٦/٧٤٥ - ١٣٤٤
- أبو داود ، سليمان بن الأشعث - ٢٠٢ - ٨١٧/٢٧٥ - ٨٨٩ .
- أبو ذر الغفاري ، جندب بن جنادة - ٦٥٢/٣٢ .
- أبو روق ، عطية بن الحارث الهمداني
- أبو السعود ، محمد بن محمد - ٨٩٨ - ١٤٩٣/٩٨٢ - ١٥٧٤
- أبو سعيد = السيرافي
- أبو شامة المقدسي ، عبد الرحمن بن إسماعيل - ٥٩٩ - ١٢٠٢/٦٦٥ - ١٢٦٧
- أبو الشيخ ، عبد الله بن محمد الأصبهاني - ٢٧٤ - ٨٨٧/٣٦٩ - ٩٧٩
- أبو صالح باذان مولى أم هانئ
- أبو الضحى مسلم بن صبيح الهمداني - ٧١٩/١٠٠
- أبو العالية رفيع بن مهران - ٧٠٩/٩٠
- أبو العباس أحمد بن علي البوني - ١٢٢٥/٦٢٢
- أبو عبد الرحمن ، محمد بن الحسين السلمي - ٣٢٥ - ٩٣٦/٤١٢ - ١٠٢١
- أبو عبيدة - معمر بن المثنى - ١١٠ - ٧٢٨/٢٠٩ - ٨٢٤

- أبو علي = الجبائي .
 أبو فاختة سعيد بن غلانة الكوفي - مات في عهد عبد الملك بن مروان أو ابنه الوليد
 أبو الليث = السمرقندي
 أبو النعمان محمد بن الفضل السدوسي - ٨٣٩/٢٢٤ -
 أبو هريرة ، عبد الرحمن بن صخر الدوسي - ٢١ ق.هـ. - ٦٠٢/٥٩ - ٦٧٩ .
 أبو يعلى الموصلي ، أحمد بن علي - ٩١٩/٣٠٧ -
 أحمد بن إدريس = القرافي
 أحمد بن حنبل - ١٦٤ - ٧٨٠/٢٤١ - ٨٥٥
 أحمد بن خليل = الخويي
 أحمد بن علي = ابن حجر العسقلاني
 أحمد بن فارس - ٣٢٩ - ٩٤١/٣٩٥ - ١٠٠٤
 أحمد بن محمد = ابن حجر الهيثمي
 أحمد بن موسى = ابن مردويه
 الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة - ٨٣٠/٢١٥ -
 أرتاة بن المنذر الألهاني = ٧٨٠/١٦٣
 إسماعيل بن عبد الرحمن = السدي
 أشهب بن عبد العزيز القيسي - ١٤٥ - ٧٦٢/٢٠٤ - ٨١٩
 الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب - ٣٣٨ - ٩٥٠/٤٠٣ - ١٠١٣
 البغوي ، الحسين بن مسعود - ٤٣٦ - ١٠٤٤/٥١٠ - ١١١٧
 بلاشير ، ريجيس - ١٣١٨ - ١٩٠٠/١٣٩٣ - ١٩٧٣
 ابن نبي = مالك
 البيضاوي ، عبد الله بن عمر الشيرازي - ١٢٨٦/٦٨٥ -
 تاج الدين = السبكي
 الترمذي ، محمد بن عيسى - ٢٠٩ - ٨٢٤/٢٧٩ - ٨٩٢
 التستري = سهل .
 تقي الدين = ابن تيمية .
 تيودور = نولدكه
 ثعلب ، أحمد بن يحيى - ٢٠٠ - ٨١٦/٢٩١ - ٩٠٤
 الثعلبي ، أحمد بن محمد - ١٠٣٥/٤٢٧ -
 الثوري ، سفيان بن سعيد - ٩٧ - ٧١٦/١٦١ - ٧٧٨
 جابر بن عبد الله بن رثاب - ١٦ ق.هـ. - ٦٠٧/٧٨ - ٦٩٧
 الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر - ١٦٣ - ٧٨٠/٢٥٥ - ٨٦٩
 الجبائي ، أبو علي محمد بن عبد الوهاب - ٢٣٥ - ٨٤٩/٣٠٣ - ٩١٦

- الجبائي ، أبو هاشم عبد السلام بن محمد = ٢٤٧ - ٨٦١/٣٢١ - ٩٣٣
 جعفر بن محمد بن علي الصادق - ٨٠ - ٦٩٩/١٤٨ - ٧٦٥
 الحافظ المزي ، يوسف بن عبد الرحمن - ٦٥٤ - ١٢٥٦/٧٤٢ - ١٣٤١
 حذيفة بن اليمان - ٦٥٦/٣٦
 حسن البنا - ١٣٢٤ - ١٩٠٦/١٣٦٨ - ١٩٤٩
 الحسن بن يسار البصري - ٢١ - ٦٤٢/١١٠ - ٧٢٨
 الحسين بن الفضل البجلي - ١٧٨ - ٧٩٤/٢٨٢ - ٨٩٥
 الحكيم الترمذي ، محمد بن علي - نحو ٩٣٢/٣٢٠
 حيي بن أخطب - ٦٢٦/٥
 الخازن ، علي بن محمد - ٦٧٨ - ١٢٨٠/٧٤١ - ١٣٤١
 خالد الحذاء - خالد بن مهران أبو المنازل - ٧٥٨/١٤١
 خصيف بن عبد الرحمن الحراني - ٧٥٤/١٣٧
 الخفاجي = الشهاب
 خليف ، يوسف عبد القادر ١٣٥١ - ١٩٢٢/١٤١٥ - ١٩٩٥
 الخليل بن أحمد ١٠٠ - ٧١٨/١٧٠ - ٧٨٦
 الخويي ، أحمد بن خليل - ٥٨٣ - ١١٨٧/٦٣٧ - ١٢٤٠
 داود بن أبي هند - ٧٥٦/١٣٩
 دراز - محمد عبد الله - ١٩٥٨/١٣٧٧
 الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر - ٥٤٤ - ١١٥٠/٦٠٦ - ١٢١٠
 الرافعي ، مصطفى صادق - ١٢٩٨ - ١٨٨١/١٣٥٦ - ١٩٣٧
 الربيع بن أنس - ٧٥٧/١٤٠
 الربيع بن خثيم الثوري أبو زيد - ٦٨٤/٦٤
 الرضا ، علي بن موسى - ١٥٣ - ٧٧٠/٢٠٣ - ٨١٨
 رضا ، محمد رشيد - ١٢٨٢ - ١٨٦٥/١٣٥٤ - ١٩٣٥
 الزجاج ، إبراهيم بن السري - ٢٤١ - ٨٥٥/٣١١ - ٩٢٣
 الزرقاني محمد عبد العظيم - ١٩٤٨/١٣٦٧
 الزركشي ، محمد بن عبد الله - ٧٤٥ - ١٣٤٤/٧٩٤ - ١٣٩٢
 زكي مبارك - ١٣٠٨ - ١٨٩١/١٣٧١ - ١٩٥٢
 الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر - ٤٦٧ - ١٠٧٥/٥٣٨ - ١١٤٤
 الزملكاني ، عبد الواحد بن عبد الكريم - ١٢٥٣/٦٥١
 الزنجاني ، أبو عبد الله بن الميرزا نصر الله - ١٣ جمادى الأولى ١٣٠٩ - ٧ جمادى الثانية ١٣٦٠
 زيد بن أسلم - ٧٥٣/١٣٦

زيد بن علي - ٧٩ - ٦٩٨/١٢٢ - ٧٤٠
 سالم بن عبد الله - ٧٢٥/١٠٦
 سائل ، جرجيس - ١١٠٨ - ١٦٩٧/١١٤٩ - ١٧٣٦
 السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن علي - ٧٢٧ - ١٣٢٧/٧٧١ - ١٣٧٠
 ست الملوك ، فاطمة بنت علي - ٧١٠/١٣١٠
 السجاد ، محمد بن طلحة - ٦٥٦/٣٦
 السجستاني ، أبو حاتم سهل بن محمد - ٨٦٢/٢٤٨
 السدي ، إسماعيل بن عبد الرحمن - ٧٤٥/١٢٨
 سعيد بن جبير - ٤٥ - ٦٦٥/٩٥ - ٧١٤
 سفيان بن سعيد الثوري - ٩٧ - ٧١٦/١٦١ - ٧٧٨
 سفيان بن عيينة - ١٠٧ - ٧٢٥/١٩٨ - ٨١٤
 السمرقندي ، أبو الليث نصر بن محمد - ٩٨٣/٣٧٣
 سهل بن محمد التستري - ٢٠٠ - ٨١٥/٢٨٣ - ٨٩٦
 السهيلي = عبد الرحمن بن عبد الله
 سيويه ، عمرو بن عثمان - ١٤٨ - ٧٦٥/١٨٠ - ٧٩٦
 السيرافي ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله - ٢٨٤ - ٨٩٧/٣٦٨ - ٩٧٩
 السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر - ٨٤٩ - ١٤٤٥/٩١١ - ١٥٠٥
 سيد قطب - ١٣٢٤ - ١٩٠٦/١٣٨٧ - ١٩٦٦
 الشربيني ، محمد بن أحمد الخطيب - ١٥٧٠/٩٧٧
 شعبة بن الحجاج العتكي - ٨٢ - ٧٠١/١٦٠ - ٧٧٦
 الشعبي ، عامر بن شراحيل - ١٩ - ٦٤٠/١٠٣ - ٧٢١
 الشعراني ، عبد الوهاب بن أحمد - ٨٩٨ - ١٤٩٣/٩٧٣ - ١٥٦٥
 شلتوت = محمود
 الشهاب الخفاجي : أحمد بن محمد - ٩٧٧ - ١٥٦٩/١٠٦٩ - ١٦٥٩
 الشوكاني ، محمد بن علي - ١١٧٣ - ١٧٦٠/١٢٥٠ - ١٨٣٤
 الصديق ، أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان - ٥١ ق.هـ. - ٥٧٣/١٣ - ٦٣١
 الصدفي ، عياش بن عباس القُشَيبي - ٧٥١/١٣٣
 الضحاك بن مزاحم - ٧٢٣/١٠٥
 الطبراني ، سليمان بن أحمد - ٢٦٠ - ٨٧٣/٣٦٠ - ٨٧١
 الطبرسي ، الفضل بن الحسين - ١١٥٣/٥٤٨
 الطبري ، محمد بن جرير - ٢٢٤ - ٨٣٩/٣١٠ - ٩٢٣
 طه حسين - ١٣٠٧ - ١٨٨٩/١٣٩٣ - ١٩٧٣
 الطوسي ، محمد بن الحسن - ٣٨٥ - ٩٩٥/٤٦٠ - ١٠٦٧

- د. عائشة (محمد على) عبد الرحمن - ١٣٣٠ - ١٤١٩/١٩١٢ - ١٩٩٨
 عبد الجبار بن أحمد الأسدآبادى - ١٠٢٥/٤١٥
 عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - ٧٩٨/١٨٢
 عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي - ٥٠٨ - ١١١٤/٥٨١ - ١١٨٥
 عبد الرحمن بن محمد = ابن أبي حاتم
 عبد الرزاق بن أحمد الكاشي - ١٣٣٠/٧٣٠
 عبد العزيز بن يحيى = الكنانى - ٨٣٧/٢٢١
 عبد الله بن أحمد المروزي = القفال
 عبد الله بن بريدة - ١٤ - ٦٣٥/١١٥ - ٧٣٣
 عبد الله بن عباس - ٣ ق.هـ. - ٦١٩/٦٨ - ٦٨٧
 عبد الله بن عمرو بن العاص - ٧ ق.هـ. - ٦١٦/٦٥ - ٦٨٤
 عبد الله بن محمد بن عقيل - مات بعد ٧٥٧/١٤٠
 عبده = محمد
 عتبة بن ربيعة - ٦٢٤/٢
 عثمان بن عفان - ٤٧ ق.هـ. - ٥٧٧/٣٥ - ٦٥٦
 عرفة ، محمد أحمد - ١٣٠٦ - ١٣٩٢/١٨٩٠ - ١٩٧٣
 عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام - ٥٧٧ - ١١٨١/٦٦٠ - ١٢٦٢
 عطاء بن السائب الثقفي أبو محمد - ٧٥٣/١٣٦
 عطاء بن أبي مسلم الخراساني أبو أيوب - ٥٠ - ١٣٥/٦٧٠ - ٧٥٢
 عطية بن سعد العوفي - ٧٢٩/١١١
 عكرمة البربري مولى ابن عباس - ٢٥ - ٦٤٥/١٠٥ - ٧٢٣
 العلوى ، يحيى بن حمزة - ٦٦٩ - ٧٤٥/١٢٧٠ - ١٣٤٤
 على بن إبراهيم الحوفى - ١٠٣٩/٤٣٠
 على بن أبي طالب - ٢٣ ق.هـ. - ٦٠٠/٤٠ - ٦٦١
 على بن أبي طلحة سالم - ٧٦٠/١٤٣
 على بن أحمد = الواحدى
 على بن الحسن = ابن عساكر
 على بن حمزة الكسائي - ٨٠٥/١٨٩
 على بن فضال المجاشعى - ١٠٨٦/٤٧٩
 على بن موسى = الرضا
 عمر بن الخطاب - ٤٠ ق.هـ. - ٥٨٤/٢٣ - ٦٤٤
 عياض بن موسى اليحصبي القاضى - ٤٧٦ - ١٠٨٣/٥٤٤ - ١١٤٩
 عيثاش بن عباس = الصدفي - ٧٥١/١٣٣

- الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد - ٤٥٠ - ١٠٥٨/٥٠٥ - ١١١١
 فالخنة بنت أبي طالب (أم هانئ) - ماتت بعد ٦٦١/٤٠
 فاطمة بنت علي بن أبي طالب - ٧٣٥/١١٧
 الفراهي ، عبد الحميد - ١٢٨٠ - ١٨٦٣/١٣٤٩ - ١٩٣٠
 الفراء ، يحيى بن زياد - ١٤٤ - ٧٦١/٢٠٧ - ٨٢٢
 قتادة بن دعامة السدوسي - ٦١ - ٦٨٠/١١٨ - ٧٣٦
 القرافي ، أحمد بن إدريس - ١٢٨٥/٦٨٤
 قرة بن إياس المزني أبو معاوية . قتلته الأزارقة في زمن معاوية
 القرطبي ، محمد بن أحمد - ١٢٧٣/٦٧١
 القشيري ، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن - ٣٧٦ - ٩٨٦/٤٦٥ - ١٠٧٢
 قطب = سيد
 قطرب ، محمد بن المستنير - ٨٢١/٢٠٦
 القفال = عبد الله بن أحمد المروزي - ٣٢٧ - ٩٣٨/٤١٧ - ١٠٢٦
 الكازراني ، عبد اللطيف - أنجز كتابه في ١٨٧٨/١٢٩٥
 الكرمانى ، محمود بن حمزة - نحو ١١١٠/٥٠٥
 كعب الأخبار بن ماته الحميري - ٦٥٢/٣٢
 د. كفاي - محمد عبد السلام ١٣٣٩ - ١٩٢١/١٣٩٢ - ١٩٧٢
 الكلبي ، محمد بن السائب - ٧٦٣/١٤٦
 الكواشي الموصلي ، موفق الدين أحمد بن يوسف - ٥٩٠ - ١١٩٤/٦٨٠ - ١٢٨١
 لوث - ١٢٦٠ - ١٨٤٤/١٢٩٨ - ١٨٨١
 مالك بن أنس - ٩٣ - ٧١٢/١٧٩ - ٧٩٥
 مالك بن نبي - ١٣٢٣ - ١٩٠٥/١٣٩٣ - ١٩٧٣
 الماوردي ، علي بن محمد - ٣٦٤ - ٩٧٤/٤٥٠ - ١٠٥٨
 المبرد ، محمد بن يزيد - ٢١٠ - ٨٢٦/٢٨٦ - ٨٩٩
 مجاهد بن جبر - ٢١ - ٦٤٢/١٠٤ - ٧٢٢
 المحسن بن محمد الحاكم الجشمي ٤١٣ - ١٠٢٢/٤٩٤ - ١١٠١
 محمد أحمد = عرفة
 محمد بن الحنفية - ٢١ - ٦٤٢/٨١ - ٧٠٠
 محمد بن السائب = الكلبي
 محمد بن طلحة - السجاد
 محمد عبده بن حسن خير الله - ١٢٦٦ - ١٨٤٩/١٣٢٣ - ١٩٠٥

- محمد بن كعب القرظي - ٧٢٦/١٠٨ -
 محمد بن المثنى - ١٦٧ - ٧٨٣/٢٥٢ - ٨٦٦
 محمد بن المستنير = قطرب
 محمود شلتوت - ١٣١٠ - ١٨٩٣/١٣٨٣ - ١٩٦٣
 مرة بن شراحيل الهمداني - ٦٩٥/٧٦ -
 معاوية بن قررة المزني ٣٦ - ٦٥٦/١١٣ - ٧٣١
 معمر بن راشد - ٧٧٠/١٥٣ -
 معمر بن المثنى - ١١٠ - ٧٢٨/٢٠٩ - ٨٢٤
 مقاتل بن سليمان - ٧٦٧/١٥٠ -
 مكى بن أبى طالب القيسي - ٣٥٥ - ٩٦٦/٤٣٧ - ١٠٤٥
 المهلب بن أبى صفرة الأزدي - ٧ - ٦٢٨/٨٣ - ٧٠٢
 النازلي ، محمد حقي بن علي - ١٨٨٤/١٣٠١ -
 نافع بن الأزرق - ٦٨٥/٦٥ -
 النسفي ، عبد الله بن أحمد - ١٣١٠/٧١٠ -
 نصر بن نصر الهوريني - ١٨٧٤/١٢٩١ -
 نولدكه ، تيودور - ١٢٥١ - ١٨٣٦/١٣٤٩ - ١٩٣٠
 النيسابوري ، الحسن بن محمد القمي - بعد ١٤٤٦/٨٥٠
 هبة الدين الشهرستاني ، محمد علي بن حسين - ١٣٠١ - ١٨٨٤/١٣٨٦ - ١٩٦٧
 هيرشفلد ١٢٧٠ - ١٨٥٤/١٣٥٣ - ١٩٣٤
 الواحدي ، علي بن أحمد - ٤٦٨ / ١٠٨٦ -
 الوراق = أبو بكر محمد بن جعفر - ٩٧٩/٣٧٠ -
 يحيى بن حمزة = العلوي
 يزيد بن زياد المدني - ٧٥٣/١٣٦ -
 يوسف بن عطية الصفار - ٨٠٣/١٨٧ -
 يونس بن حبيب - ٩٤ - ٧١٣/١٨٢ - ٧٩٨

المصادر والمراجع

- الآلوسی ، شهاب الدین محمود بن عبد الله : روح المعانی فی تفسیر القرآن العظیم والسبع المثانی - بیروت - دار الفکر - ۱۳۹۸/۱۹۷۸ (فرغ من تألیفه ۱۲۶۷/۱۸۵۱ . وطبع أول مرة فی ۱۳۰۱/۱۸۸۴)
- ابن أبی الإصبع ، عبد العظیم بن عبد الواحد العدواني : الخواطر السوانح فی أسرار الفواتح تحقیق د. حفنی محمد شرف - مصر - مطبعة الرسالة - ۱۹۶۰
- ابن الأثیر ، ضیاء الدین نصر الله بن محمد :
- ۱ - الجامع الكبير فی صناعة المنظوم من الکلام والمنثور - العراق - بغداد - مطبعة المجمع العلمی العراقی - ۱۹۵۶
- ۲ - المثل السائر فی أدب الكاتب والشاعر - تحقیق محمد محیی الدین عبد الحمید - مصر - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - ۱۹۳۹
- ابن الأثیر ، المبارك بن محمد : النهاية فی غریب الحديث والأثر - لبنان - بیروت - المكتبة العلمية .
- ابن تیمیة ، أحمد بن عبد الحلیم : التفسیر الكبير - لبنان - بیروت - دار الکتب العلمية - (الطبعة الأولى فی ۱۴۰۸/۱۹۸۸) .
- ابن جزی ، محمد بن أحمد : التسهيل لعلوم التنزیل - مصر - دار الکتب الحديثة - مطبعة حسان
- ابن جنی ، أبو الفتح عثمان : المحتسب فی تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها - مصر - نشر المجلس الأعلى للشتون الإسلامية - طبع دار التحرير - ۱۳۸۹/۱۹۶۹
- ابن الجوزی ، عبد الرحمن بن علی : زاد المسیر فی علم التفسیر - المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد : المقدمة - تحقیق د. علی عبد الواحد وافی - مصر لجنة البیان العربی - ط ۱ - ۱۳۷۹/۱۹۶۰
- ابن عطية ، عبد الحق بن غالب : المحرر الوجیز فی تفسیر الكتاب العزیز - طبع علی نفقة سمو أمير دولة قطر .
- ابن قتیبة ، عبد الله بن مسلم :
- تأویل مشکل القرآن - مصر - دار إحياء الکتب العربية - ۱۳۷۳/۱۹۵۴
- تفسیر غریب القرآن - مصر - دار إحياء الکتب العربية - ۱۳۷۸/۱۹۵۸
- ابن القيم ، محمد بن أبی بکر : التبیان فی أقسام القرآن - طبع المؤسسة السعيدية بالرياض .

- ابن كثير ، أبو القدا إسماعيل بن عمر : تفسير القرآن العظيم - مصر - مطبعة الفجالة الجديدة
- ط ١ - ١٣٨٤/١٩٦٥
- ابن مسعود ، عبد الله : تفسيره - السعودية - الرياض - شركة الطباعة العربية - ط ١ -
١٩٨٥/١٤٠٥
- ابن هشام المعافري ، عبد الملك : السيرة النبوية - مصر - مطبعة مصطفى البابي الحلبي
وأولاده - ١٣٥٥/١٩٣٦
- أبو حيان ، محمد بن يوسف الجياني : البحر المحيط - السعودية - الرياض - مكتبة ومطابع
النصر الحديثة .
- د. أبو زيد ، نصر حامد : مفهوم النص - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٠
- أبو السعود ، محمد بن محمد : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - لبنان - بيروت
- دار إحياء التراث العربي .
- أبو شهبة ، محمد بن محمد : المدخل لدراسة القرآن الكريم - مصر - دار اللواء (ألفه في
١٩٧٣)
- أبو عبيدة ، معمر بن المثنى : مجاز القرآن - بيروت - مؤسسة الرسالة - ط ٢ - ١٤٠١/
١٩٨١
- أبو على ، محمد بركات حمدي : في إعجاز القرآن الكريم - منشورات الخافقين ومكتبتها -
المكتبة الدولية - ط ١ - ١٤٠٣/١٩٨٣
- أحمد عادل كمال : علوم القرآن - مصر - ١٩٥١
- أحمد = فاضل شاكر وفرج توفيق الوليد : المنتقى - بغداد - دار الحرية - ١٩٧٨
- د. إسماعيل ، شعبان محمد : المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية - القاهرة -
مطبعة التقدم - ط ١ - ١٤٠٠/١٩٨٠
- الباقلاني ، محمد بن الطيب : إعجاز القرآن - مصر - دار المعارف - ط ٤ - ١٩٧٧
- اليفوى ، الحسين بن مسعود : معالم التنزيل - لبنان - بيروت - دار المعرفة .
- د. بكار ، يوسف حسين : بناء القصيدة العربية - مصر - دار الثقافة - ١٩٧٩
- د. البوطي ، محمد سعيد رمضان : من روائع القرآن - مكتبة الفارابي - ط ٣ - شعبان
١٣٩٢/ ١ أيلول ١٩٧٢ (ألف في ٢٨ شباط ١٩٦٨)
- البيضاوي ، عبد الله بن عمر الشيرازي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل - مصر - مصطفى البابي
الحلبي وأولاده - ط ٢ - ١٣٨٨/١٩٦٨
- الحمصى ، نعيم : فكرة إعجاز القرآن - بيروت - مؤسسة الرسالة - ط ٢ - ١٤٠٠/١٩٨٠
- (ألفه في ١٩٥٥)
- الخازن ، على بن محمد : لباب التأويل في معاني التنزيل - لبنان - بيروت - دار المعرفة .

الخطيب ، عبد الكريم : إعجاز القرآن - مصر - مطابع دار الكتاب العربي - ط ١ - رمضان ١٣٨٣ / فبراير ١٩٦٤

خليف ، يوسف : دراسات في القرآن والحديث - مصر - مكتبة غريب .
الديباغ ، مصطفى : وجوه من الإعجاز القرآني - الأردن - عمان - مطابع الدستور التجارية - ط ١ - ١٩٨٢

الدبل ، محمد بن سعد : النظم القرآني في سورة الرعد - مصر - عالم الكتب - دار النصر للطباعة الإسلامية - ١٩٨١

د. دراز ، محمد عبد الله : النبأ العظيم - مصر - مطبعة السعادة - ١٣٨٩ / ١٩٦٩
دروزة ، محمد عزة : القرآن والمبشرون - المكتب الإسلامي - ١٩٧٢
الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر : مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير - طهران - دار الكتب العلمية - ط ٢

الرافعي ، مصطفى صادق : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصر - مطبعة الاستقامة . ط ٤ - ١٣٥٩ / ١٩٤٠ . (ألفه في ١٩٢٦) .

رضا ، محمد رشيد : تفسير المنار - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٢ . (ألفه بين سنتي ١٩١٦ و ١٩١٩) .

رمزي نعناعة : بدع التفاسير في الماضي والحاضر - منشورات وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية - طبع جمعية عمال المطابع التعاونية - الأردن - عمان - ١٣٩٠ / ١٩٧٠

رمضان عبد التواب : حول فواتح بعض سور القرآن الكريم - مصر - مجلة كلية الآداب بجامعة عين شمس - المجلد ٨ - السنة ١٩٦٣

الرومي ، فهد بن عبد الرحمن : خصائص القرآن الكريم - ط ٤ - شوال ١٤٠٩ / ١٩٨٨ .
الريس ، محمد فتحي إدريس : مقال الهيروغليفية لا تفسر القرآن الكريم - مجلة صوت الأزهر - ٢٥ جمادى الأولى ١٤٢١ / ٢٥ أغسطس ٢٠٠٠

د. زرزور ، عدنان : دراسات قرآنية - دمشق - مكتبة دار الفتح - ط ١ - رمضان ١٣٩٥ / أيلول / سبتمبر ١٩٧٥ .

: القرآن ونصوصه - دمشق - مطبعة خالد بن الوليد - ١٤٠٠ / ١٩٨٠ .
الزرقاني ، محمد عبد العظيم : مناهل العرفان في علوم القرآن - مصر - دار إحياء الكتب العربية - ط ٣ - جمادى الآخرة ١٣٦٢ / يونيه ١٩٤٣

الزركشي ، محمد بن عبد الله : البرهان في علوم القرآن - مصر - دار إحياء الكتب العربية - ط ١ - ١٣٧٦ / ١٩٥٧ إلى ١٣٧٨ / ١٩٥٩

زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع - مصر - دار الكتب المصرية - ١٩٣٤

- الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر : الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - بيروت - دار الفكر - ط ١ - ١٣٩٧/١٩٧٧ .
- الزملكاني ، عبد الواحد بن عبد الكريم : البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن - بغداد - مطبعة العاني - ط ١ - ١٣٩٤/١٩٧٤ .
- الزنجاني ، أبو عبد الله بن الميرزا نصر الله : تاريخ القرآن - لبنان - بيروت - منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - ط ٣ - ١٣٨٨/١٩٦٩ .
- السهيلي ، عبد الرحمن بن عبد الله : التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم - لبنان - بيروت - دار الكتب العلمية .
- سيبويه ، عمرو بن عثمان : الكتاب - لبنان - بيروت - دار الجليل - ط ١ .
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر :
- الإتقان في علوم القرآن - المطبعة الموسوية - ٢٢ شعبان ١٢٨٧ .
- معترك الأقران في إعجاز القرآن - مصر - دار الثقافة العربية للطباعة - ١٩٦٩
- سيد قطب : في ظلال القرآن - دار الشروق - ط ١٢ - ١٩٨٦/١٤٠٦ .
- د. شحاتة ، عبد الله محمود : علوم التفسير - الهيئة المصرية العامة للكتاب - المكتبة الثقافية - العدد ٣١٦ - ١٩٧٥ .
- شرارة ، عبد الجبار حمد حسين : الحروف المقطعة في القرآن الكريم - بغداد - مطبعة الإرشاد - ١٩٨٠ .
- الشرييني ، محمد بن أحمد الخطيب : السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير - لبنان - بيروت - دار الفكر
- شرف ، حفنى محمد : مقدمة تحقيقه للخواطر السوانح لابن أبي الإصبع .
- شرف الدين ، صالحة عبد الحكيم : القرآن الحكيم : إعجازه وبلاغته وعلومه - الكويت - مطابع كويت تايمز - رجب ١٤٠٤ / أبريل ١٩٨٤ .
- الشريف ، عبد الله = انظر كفاي .
- شقرف ، عبد المنعم محمد : علم الجفر .
- الشهاب الخفاجي ، أحمد بن محمد : غناية القاضى وكفاية الراضى - مصر - مطبعة بولاق - ١٢٨٣
- الشوكانى ، محمد بن على : فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير - دار الفكر - ط ٣ - ١٣٩٣/١٩٧٣ .
- د. الصالح ، صبحى : مباحث في علوم القرآن - بيروت - دار العلم للملايين - ط ٨ - كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤ - (ألفه في ١٩٥٨) .
- صبيح ، محمد : بحث جديد عن القرآن - ط ٥ - ١٩٦١ (صدرت طبعته الأولى ١٩٤٠) .

الطبرسى ، الفضل بن محمد : مجمع البيان فى تفسير القرآن - بيروت - دار إحياء التراث العربى .

الطبرى ، محمد بن جرير : جامع البيان فى تفسير القرآن لبنان - بيروت - دار المعرفة - ط ٤ - ١٩٨٠/١٤٠٠

الطوسى ، محمد بن الحسن : التبيان الجامع لعلوم القرآن - العراق - النجف الأشرف - مكتبة الأمين .

عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) : الإعجاز البيانى للقرآن ومسائل ابن الأزرى . مصر - دار المعارف - ١٩٧٧ (ألفت فى ١٩٧١) .

د. عبد التواب = رمضان .

عبد الجبار بن أحمد الأسد آبادى :

: تنزيه القرآن عن المطاعن - بيروت - دار النهضة الحديثة .

: المغنى فى أبواب التوحيد والعدل - مصر - مطبعة دار الكتب - ط ١ - ١٣٨٠ / ١٩٦٠ .

عبد الحميد ، محسن : الرازى مفسرا - بغداد - دار الحرية للطباعة - ١٩٧٤/١٣٩٤ .
(رسالة نوقشت فى ١٩٧٢) .

عبد الرحمن بن عبد الله = السهلى .

عبد الكريم = الخطيب .

عبد الله = الشريف .

عبد الله محمود = شحاتة

عبد المنعم السيد حسن : ظاهرة التكرار فى القرآن الكريم - مصر - دار المطبوعات الدولية - ط ١ - ١٩٨٠/١٤٠٠ .

عبد المنعم محمد = شقرف

عبد الوهاب حمودة : أسرار القسم فى القرآن - مجلة لواء الإسلام - جمادى الثانية ١٣٦٨ / ١٩٤٨ .

: رأى فى تأويل فواتح السور - مجلة رسالة الإسلام - العدد الأول - السنة ١٢ - رجب - رمضان ١٣٧٩ / يناير - مارس ١٩٦٠

موسيقا القرآن - مصر - مجلة الأزهر - السنة ٣٩ - رجب ١٣٨٧ / أكتوبر ١٩٦٧
العدل ، سعد عبد المطلب : الهيروغليفيه تفسر القرآن الكريم - مصر - مكتبة الأمل للأوفست

- ١٩٩٩

عرفة ، محمد أحمد : نقض مطاعن فى القرآن الكريم - مصر - مطبعة المنار - ط ١ - ١٣٥١ .

- العلوى ، يحيى بن حمزة : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز - مصر - مطبعة المقتطف - ١٩١٤ .
- على حلمى موسى : صحيفة الأهرام بتاريخ ١٩٩٣/٣/٣ ص ١٣ .
- د. العمرى ، أحمد جمال : مباحث فى إعجاز القرآن - مصر - مكتبة الشباب - ١٩٨٠ .
- عياض بن موسى اليحصبى القاضى : الشفا بتعريف حقوق المصطفى - لبنان - بيروت - دار الكتب العلمية .
- الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد : جواهر القرآن - مصر - مطبعة كردستان العلمية - ط - ١٣٢٩ .
- الغزالي ، محمد : نظرات فى القرآن - مطبعة حسان - ط ٥ .
- د. غلاب ، محمد : نظرات استشرافية فى الإسلام - مصر - دار الكاتب العربى - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر - وزارة الثقافة .
- د. فاروق حمادة : مدخل إلى علوم القرآن والتفسير - المغرب - الرباط - مكتبة المعارف - ط ١ - ١٩٧٩/١٣٩٩ .
- فاضل شاكر أحمد وفرج توفيق الوليد : المنتقى فى علوم القرآن - بغداد - مطبعة جامعة بغداد - ١٩٧٩ .
- الفراهى ، عبد الحميد : أساليب القرآن - الدائرة الحميدية - ط ١ - ١٣٨٩ .
- فرج توفيق الوليد = أحمد .
- الفراء ، يحيى بن زياد : معانى القرآن - بيروت - عالم الكتب - ط ٣ - ١٩٨٣/١٤٠٣ .
- فقيهى ، محمد حنيف : نظرية إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني - ط ١ - ١٤٠١ / ١٩٨١
- فودة ، محمود بسيونى : المرشد الوافى فى علوم القرآن - مصر - مطبعة الأمانة - ١٤٠٢ / ١٩٨٢ .
- القرطبي ، محمد بن أحمد : الجامع لأحكام القرآن - مصر - مطبعة دار الكتب المصرية .
- قطب = سيد .
- القطان ، مناع خليل : مباحث فى علوم القرآن - الرياض - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - ط ١ - ١٩٩٢/١٤١٣ (ألفه فى ١٩٧٦/١٣٩٦) ؟
- قمحاوى ، محمد الصادق : شبهات مزعومة حول القرآن الكريم ودحضها - ط ١ - ١٣٨٩ / ١٩٧٨ .
- الكرمانى ، محمود بن حمزة : أسرار التكرار فى القرآن - دار الاعتصام - ط ٢ - ١٣٩٦ / ١٩٧٦ .

- د. كفافي ، محمد عبد السلام وعبد الله الشريف : فى علوم القرآن دراسات ومحاضرات .
لبنان - بيروت - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - ١٩٨١ . (ألفاه فى ١٩٧٢) .
مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية - ترجمة د. عبد الصبور شاهين - طبع الاتحاد الإسلامى
العالمى للمنظمات الطلابية - ١٩٧٨/١٣٩٨ . (الطبعة الأولى ١/١١/١٩٦٢) .
الماوردى ، على بن محمد : أعلام النبوة - لبنان - بيروت - دار الكتب العلمية - ط ١ -
١٩٧٣/١٣٩٣ .
محسن = عبد الحميد .
محمد أحمد = عرفة .
محمد رشيد = رضا .
محمد الزفزاف : التعريف بالقرآن والحديث . مكة المكرمة - نشر عباس أحمد الباز -
١٩٨٠/١٤٠٠ . (ألفه فى ١٩٥٤) .
محمد الصادق = قمحاوى .
محمد = صبيح .
محمد عبد السلام = كفافي .
محمد عزة = دروزة .
د. محمد = غلاب .
محمود بسيونى - فودة .
مصطفى = الدباغ .
مصطفى محمود : حوار مع صديقى الملحد - بيروت - دار المتوسط .
النازلى ، محمد حقى بن على : خزينة الأسرار - مصر - المطبعة الأزهرية - ١٩٢٨
النسفى ، عبد الله بن أحمد : تفسيره - مصر - دار إحياء الكتب العربية .
نصر حامد = أبو زيد .
نعيم = الحمصى .
النيسابورى ، الحسن بن محمد القمى : تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان - على هامش
تفسير الطبرى
يحيى بن حمزة = العلوى .
يوسف = خليف .

محتويات الكتاب

٣ مقدمة
٩ القسم الأول : الفواتح الحرفية
١١ الفصل الأول : دلالات الحروف
١١ المتشابه
٢٤ حروف هجاء
٢٨ حروف هجاء للتعليم
٢٩ حروف هجاء لإبطال دعوى قدم العالم
٣٠ التحدى
٣٣ فواصل وفواتح
٣٦ أدوات تنبيه
٤٩ إشارات ورموز : مضمونية
٥١ صوتية
٥٦ ترهيبية
٥٦ خارجية
٦٣ البرهنة على صدق محمد
٦٤ الإشارة إلى فضل الكتابة
٦٥ الدلالة على عدد آيات السورة
٦٦ حساب الجمل
٧٣ أقسام
٧٨ أسماء لله
٨١ الاسم الأعظم لله
٨٣ اختصارات من أسماء الله
٩٠ مايتعلق بالذات الإلهية

٩٣	ثناء على الله
٩٤	أسماء للنبي
٩٦	ياإنسان
٩٩	ياحيي
٩٩	يارجل
١٠٤	يافلان
١٠٤	مايتعلق بالنبي
١٠٦	أسماء أنبياء وملائكة
١٠٩	أسماء للسور
١١٦	أسماء للقرآن
١١٩	الدلالة على معان شتى
١٢٢	ن
١٢٦	ق
١٣٠	أسماء مختلفة
١٣١	مختصرة من جمل وعبارات
١٤٦	تفسيرات خاصة بفرق
١٤٧	دفاع وهجوم
١٥٣	وفقة مع الأحاديث
١٥٥	الترتيب التاريخي لسور الحروف
١٥٨	رموز هيروغليفية
١٦١	الفصل الثاني : نظام الحروف
١٦١	اسمية الحروف
١٦٣	إعراب الحروف
١٦٧	نظام الحروف المستخدمة
١٦٩	عدد السور

١٧١	عدد الحروف
١٧٧	أجناس الحروف
١٨٢	بنية الحروف
١٨٤	دوران الحروف
١٨٧	القسم الثانى : الفواتح اللفظية
١٨٩	الفصل الأول : كتاب ابن أبى الإصبع
١٩٧	الفصل الثانى : بلاغة وإعجاز
١٩٧	دلالة أنصاف الأجناس
١٩٩	دلالة نطق الأمى بأسماء الحروف
٢٠١	التوازن الحرفى
٢٠٨	مناسبة فاتحة السورة لختام التى قبلها
٢١١	مناسبة فاتحة السورة لمضمونها
٢١٤	مناسبة فاتحة السورة لختامها
٢١٦	جمال التعبير
٢٢١	ضمائم
٢٢٣	وفيات العلماء
٢٣٢	المصادر والمراجع

